رحمة للعالمين

مُحمَّدٌ رسُولُ اللهِ

سيِّدُ النَّاسِ أجْمعين

نبيُّ الرَّحمةِ

الرَّحمةُ المُهداة

خاتمُ المرسلين

صلى الله عليه وسلم

نشأته، وأخلاقه، ومعجزاته، وعموم رسالته صلى الله عليه وسلم

في ضوءِ الكتابِ والسُّنَّة

تأليف الفقير إلى الله تعالى

د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني

بسم الله الرحمن الرحيم

ح سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ١٤٢٧ هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القحطاني ، سعيد بن علي وهف

رحمة العالمين محمد رسول الله ./ سعيد بن علي وهف القحطاني.- الرياض ، ١٤٢٧هـ.

٥١٢ ص، ١٧ X ٢٤ سم

ردمك : ٩ - ٤٣٢ - ٥٢ - ٩٩٦٠

١ - السيرة النبوية أ. العنوان

ديوي ٢٣٩ ١٤٢٧/١٣٥٨

رقم الإيداع : ١٣٥٨/ ١٤٢٧

ردمك : ٩ - ٤٣٢ - ٥٢ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

ربيع الأول ١٤٢٧هـ - أبريل ٢٠٠٦م

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ صلى الله عليه وعلى آله، وأصحابه، وسَلّم تسليماً كثيراً، أَمّا بعد:

فلقد أرسل الله عَزَّ وجَلَّ مُحَمّداً ﷺ رحمةً للعالمين، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1]، فهو رحمة للإنس، والجن، مؤمنهم وكافرهم؛ يدعوهم إلى الله؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، قال الله تعالى له: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧ .

بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1]، وقال تعالى للنبي ﷺ : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾[2]، فهو ﷺ رحمة للعالمين وحجة على خلقه أجمعين، وهو مِنّةٌ من الله تعالى على المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[3]، وعن أبي نضرة قال: حدثني من سمع خطبة النبي ﷺ وسط أيام التشريق فقال: «**يا أيها الناس إنَّ ربَّكُم واحد، وإنَّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود،**

(١) سورة الأعراف: الآية: ١٥٨ .

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ٢٩ .

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤ .

ولا لأسود على أحمر إلاّ بالتّقوى»(١). وهذا فيه الدلالة الواضحة على أنه لا فرق بين الناس إلا بالتقوى، فكلما كان الإنسان لله أتقى فهو أفضل، من أي الأجناس أو الألوان كان.

وقد مَنَّ الله تعالى على هذا النبي الكريم بمكارم الأخلاق كلّها؛ فإنه لا يُحصى من دخل في الإسلام بسبب خُلُقه الكريم ﷺ سواء كان ذلك الخُلُق الحسن الكريم: من جوده، أو كرمِهِ، أو عفوِهِ، أو صفحِهِ، أو حلمِهِ، أو أناتِهِ، أو رفقِهِ، أو صبرِهِ، أو تواضُعِهِ، أو عدلِهِ، أو رحمتِهِ، أو منِّهِ، أو شجاعته وقوَّتِهِ، أو غير ذلك من مكارم الأخلاق.

ومن تتبَّع سيرة النبي ﷺ وجد أنه كان يلازم الخُلُق الحسن في سائر أحواله، فأقبل الناس ودخلوا في دين الله أفواجاً، بفضل الله ثم بفضل حُسْنِ خُلُقِهِ ﷺ ، فكم دخل في الإسلام بسبب حُسْنِ خُلُقِهِ ﷺ .

---

(١) مسند أحمد بترتيب البناء، ١٢/ ٢٢٦، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٣/ ٢٦٦: ((رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح)).

فهذا ثُمامةُ بن أُثال يُسلِمُ بسبب عفو النبي ﷺ ، ويقول: (والله ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إليَّ من وجهِكَ، فقد أصبح وجهُك أحب الوجوه كلها إليّ، والله ما كان على وجه الأرض دين أبغض إليّ من دينك، وقد أصبحَ دينُك أحبّ الأديانِ كلّها إليّ، والله ما كان على وجه الأرض بلادٌ أبغض إليَّ من بلادك، فأصبح بلدك أحبّ البلاد كلِّها إليّ)[1].

وهذا أعرابي يقول: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً؛ لأنه تأثر بعفو النبي ﷺ عندما بال هذا الأعرابي في المسجد، ولم يتركه على تحجيرِهِ رحمة الله التي وسعت كل شيء؛ بل قال له ناصحاً ومُعلّماً ﷺ : «**لقد حجَّرتَ واسعاً**»[2].

وذاك معاوية بن الحكم يرفق به النبي ﷺ في تعليمه، فيقول: (فبأبي هو وأمي ما رأيتُ مُعلّماً قبله ولا بعده أحسن

---

(١) البخاري، برقم ٤٣٧٢، ومسلم ١٧٦٤ .

(٢) البخاري، برقم ٦٠١٠ .

تعليماً منه، والله ما كهرني، ولا ضربني ولا شتمني)[1]، وأعطى ﷺ رجلاً غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: يا قومي أسلموا؛ فإن محمداً يُعطي عطاءً لا يخشى الفاقة)[2].

وهذا صفوان ابن أمية من صناديد قريش الكفرة يعطيه النبي ﷺ مائة من الغنم ثم مائة، ثم مائة، فيقول صفوان: (والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني، وإنه لأبغض الناس إليَّ، فما بَرِحَ يُعطيني حتى إنه لأحبُّ الناس إليَّ). وهذا سبب إسلام صفوان[3].

ومُشركٌ كافرٌ آخرُ يُريدُ قتل النبي ﷺ بالسيف فيعصم الله رسوله ﷺ منه ويعفو عنه النبي ﷺ[4].

فيرجع إلى قومه ويُسلم، ويدعوهم إلى الإسلام فأسلم

---

(١) مسلم، برقم ٥٣٧ .
(٢) مسلم، برقم ٢٣١٢ .
(٣) مسلم، برقم ٢٣١٣ .
(٤) البخاري مع الفتح، ٦/ ٩٦، ٩٧، برقم ٢٩١٠، ومسلم، ٤/ ١٧٨٦، برقم ٨٤٣ .

من قومه على يديه خَلْقٌ كثير[١].

وهذا عبد الله بن سلام اليهودي الحبر العالم من علماء اليهود يأتي إلى النبي ﷺ عند قدومه إلى المدينة يقول عبد الله رضي الله عنه : فجئتُ في الناس، لأنظر، فلما تبيّنت وجهَهُ عَرفْتُ أن وجهه ليس بوجه كذّاب، فكان أوّل شيء سمعته يقول: «**يا أيها الناس! أفشوا السلام، وأطعِمُوا الطعام، وصِلُوا الأرحام، وصَلّوا بالليل والناس نيام؛ تدخلوا الجنة بسلام**»[٢].

وهذا زيد بن سعية اليهودي يختبر النبي ﷺ فيعفو عنه النبي ﷺ ويأمر عمر أن يعطيه عطاءً، فيقول زيد اليهودي الحبر: ما من علامات النبوة شيءٌ إلا وقد عرفتها في وجه رسول الله ﷺ حين نظرتُ إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمُهُ جهله، ولا تزيده شدَّةُ الجهل إلا حلماً، وقد اختبرتهما فأشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله ربّاً وبالإسلام ديناً

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ٧/ ٤٢٨، وشرح النووي، ١٥/ ٤٤ .

(٢) الترمذي، برقم ٢٤٨٥، وابن ماجه، برقم ٣٢٥١، وانظر: صحيح الترمذي ٢/ ٣٠٣.

وبمحمد نبيّاً، وأشهدك أنّ شطر مالي صدقة على أمة محمدٍ ﷺ[١].

وهذا يهودي آخر يقول عند الموت: والذي أنزل التوراة إنّا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك، وأشهد أن لا إله إلا الله وأنّك رسول الله[٢].

وهذا ملك النصارى النجاشي في الحبشة عندما سمع دعوة النبي ﷺ وقوله: إن عيسى عبد الله ورسوله فقال لوفد النبي ﷺ : مرحباً بكم، وبمن جئتم من عنده، فأنا أشهد أنه رسول الله، وأنه الذي بشّر به عيسى، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أُقَبِّلَ نعله[٣].

وهذا هرقل عظيم الروم النصراني، يقول لأبي سفيان حينما قال له: إن النبي ﷺ لا يغدر، وأنه يأمر بعبادة الله وحده، وعدم الشرك به، وينهى عن عبادة الأوثان، ويأمر بالصلاة، والصدق، والعفاف، قال هرقل لأبي سفيان: فإن

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، ١/ ٥٦٦ .

(٢) أحمد، ٥/ ٤١١، وقوّاه ابن كثير في تفسيره، ٢/ ٢٥٢ .

(٣) سير أعلام النبلاء، للذهبي، ١/ ٤٣٨ .

كان ما تقول حقّاً فسيملك موضع قدميَّ هاتين، وقد كُنتُ أعلم أنه خارج لم أكن أظنُّ أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشّمتُ لقاءَهُ، ولو كُنتُ عنده لغسّلت عن قدمه[١].

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٢] وصدق النبي الكريم إذ يقول: «**إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّم مكارم الأخلاق**»[٣].

وسُئِلَتْ عائشةُ رضي الله عنها عن خُلُق النبيِّ ﷺ ؟ فقالت: (**فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن**)[٤].

ولأهمية معرفة النبي الكريم ﷺ ، التي هي الأصل الثاني من الأصول الثلاثة، التي يجب على كل مسلم ومسلمة تعلّمها والعمل بها، ويُسأل عنها في قبره، كتبت هذا المختصر، وسَمَّيتُهُ: (**رحمةٌ للعالمين: محمد رسول الله ﷺ**) وبيّنت فيه: نسبه ﷺ ، ونشأته، وأخلاقه، وصفاته: الخَلْقِيّة؛

(١) البخاري، برقم ٧ .
(٢) سورة القلم، الآية: ٤ .
(٣) البيهقي، ١٠/ ١٩٢، وأحمد، ٢/ ٣٨١، وانظر: الصحيحة للألباني برقم ٤٥ .
(٤) مسلم، برقم ٧٤٦ .

والخُلُقيّة، ومُعجزاته، وعموم رسالته، ووصاياه لأمته، وحقوقه على أمته ﷺ، وقد قسّمت البحث إلى المباحث الآتية:

المبحث الأول: خيار من خيار «نسبه ﷺ»

المبحث الثاني: نشأته ﷺ

المبحث الثالث: صفاته: الخَلْقيّة، والخُلُقيّة ﷺ

المبحث الرابع: اجتهاده في عبادته وجهاده ﷺ

المبحث الخامس: النبي الكريم ﷺ رحمة للعالمين

المبحث السادس: تلطفه ﷺ مع الأطفال ومداعبتهم وإدخال السرور عليهم

المبحث السابع: حسن خلقه ﷺ

المبحث الثامن: جوده وكرمه ﷺ

المبحث التاسع: عدله ﷺ

المبحث العاشر: تواضعه ﷺ

المبحث الحادي عشر: حلمه وعفوه ﷺ

المبحث الثاني عشر: أناته وتثبته ﷺ

المبحث الثالث عشر: رفقه ولينه ﷺ

المبحث الرابع عشر: صبره الجميل ﷺ

المبحث الحادي والثلاثون: مصيبة المسلمين بموته ﷺ

المبحث الثاني والثلاثون: ميراثه ﷺ

المبحث الثالث والثلاثون: حقوقه ﷺ على أمته

واللهَ تعالى أسألُ أن يجعل هذا العمل القليل مُباركاً نافعاً، خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به في حياتي وبعد مماتي، وأن ينفع به من انتهى إليه؛ فإنه سبحانه أحسن مسؤول وأكرم مأمول، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، وخيرته من خلقه، وأمينه على وحيه، نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أبو عبد الرحمن

حرر ضحى الثلاثاء الموافق ٢٩/ ١/ ١٤٢٧هـ

المبحث الأول: خيار من خيار «نسبه ﷺ»

هو محمد بن عبد الله، بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصي، بن كِلاَب، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فِهْر، بن مالك، بن النضر، بن كِنانة، ابن خزيمة، بن مُدْرِكَة، بن إلياس، بن مُضر، بن نزار، ابن معدٍّ بن عدنان[١]، فهو خيار من خيار، كما قال ﷺ عن نسبه: «**إن الله اصطفى كِنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»[٢]. فهو ﷺ من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام[٣].

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب مبعث النبي ﷺ، قبل الحديث رقم ٣٨٥١.

(٢) مسلم، برقم ٢٢٧٦.

(٣) انظر نسب النبي ﷺ إلى آدم: البداية والنهاية لابن كثير ٢/ ١٩٥، وسيرة ابن هشام ١/ ١، قال ابن القيم عن نسبه ﷺ إلى عدنان: (إلى هاهنا معلوم الصحة متفق عليه=

ولد ﷺ عام الفيل بمكة في شهر ربيع الأول[1] يوم الاثنين[2] الموافق ٥٧١م[3]، وتوفي ﷺ وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها: أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبيّاً رسولاً، نُبِّئَ بإقرأ، وأُرسل بالمدثر، وبلده مكة، وهاجر إلى المدينة، بعثَهُ الله بالنذارة عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد، أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد،

= بين النسَّابين، ولا خلاف فيه البتَّة، وما فوق عدنان مختلف فيه، ولا خلاف بينهم أن "عدنان" من ولد إسماعيل عليه السلام، وإسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم [زاد المعاد، ١/ ٧١].

(١) هذا هو الصحيح المشهور أنه ولد ﷺ عام الفيل في شهر ربيع الأول، وقد نقل بعضهم الإجماع على ذلك، انظر: تهذيب السيرة للإمام النووي ص ٢٠.

(٢) التحديد بيوم الإثنين ثابت؛ لقوله ﷺ حينما سئل عن صومه: ((فيه ولدت وفيه أُنزِل عليَّ)) مسلم ٢/ ٨٢٠. أما تحديد تاريخ اليوم ففيه عدة أقوال: فقيل في اليوم الثاني، وقيل لثمانٍ، وقيل لعشر، وقيل: لسبعة عشر، وقيل في الثاني عشر، وقيل غير ذلك، وأشهر وأقرب الأقوال قولان: الأول: أنه ولد لثمانٍ مضين من ربيع الأول، ورجحه ابن عبد البر عن أصحاب التأريخ: انظر: البداية والنهاية ٢/ ٢٦٠ وقال: "هو أثبت". القول الثاني: أنه ولد في الثاني عشر من ربيع الأول، قال ابن كثير في البداية والنهاية: "وهذا هو المشهور عند الجمهور" ٢/ ٢٦٠، وجزم به ابن إسحاق: انظر: سيرة ابن هشام ١/ ١٧١.

(٣) انظر: الرحيق المختوم ص ٥٣.

وبعد العشر عُرج به إلى السماء، وفُرِضَت عليه الصلوات الخمس، وصلَّى في مكة ثلاث سنين، وبعدها أُمِر بالهجرة إلى المدينة، فلما استقر بالمدينة[١] أُمِر ببقية شرائع الإسلام مثل: الزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، والأذان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من شرائع الإسلام، أخذ على هذا عشر سنين وبعدها توفي ﷺ ، ودينه باقٍ وهذا دينه، لا خير إلا دلَّ أمته عليه، ولا شر إلا حذَّرها منه، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين لا نبي بعده، وقد بعثه الله إلى الناس كافة، وافترض الله طاعته على الجن والإنس، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار[٢].

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر

---

(١) وصل إلى المدينة ﷺ يوم الإثنين من شهر ربيع الأول وحدده بعضهم باليوم الثاني عشر من ربيع الأول، انظر: فتح الباري ٧/ ٢٢٤.

(٢) انظر: صحيح البخاري، برقم ٣٨٥١، والأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص٧٥، ٧٦.

والعظات في هذا المبحث كثيرة منها:

١- إن النبي ﷺ خيار من خيار من خيار، فهو أحسن الناس وخيرهم نسباً، وأرجح العالمين عقلاً، وأفضل الخلق منزلة في الدنيا والآخرة، وأرفع الناس ذكراً، وأكثر الأنبياء أتباعاً يوم القيامة.

٢ - إن إقامة الاحتفالات بمولد النبي ﷺ كل عام في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول بدعة منكرة؛ لأن النبي ﷺ لم يفعل ذلك في حياته، ولم يفعله الصحابة من بعده رضي الله عنهم، ولا التابعون لهم بإحسان في القرون المفضلة، ومع ذلك فإن تحديد ميلاد النبي ﷺ باليوم الثاني عشر من ربيع الأول لم يُجْزَم به، وإنما فيه خلاف وحتى ولو ثبت فالاحتفال به بدعة لما تقدم؛ ولقوله ﷺ : «مَن أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد»[1]. وفي رواية لمسلم: «من عمل عملاً ليس عليه

---

(١) البخاري برقم ٢٦٩٧، ومسلم برقم ١٧١٨.

أمرنا فهو رد»[١].

٣- إن وظيفة النبي ﷺ هي الدعوة إلى التوحيد، وإنقاذ الناس من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ومن ظلمات المعاصي والسيئات إلى نور الطاعات والأعمال الصالحات، ومن الجهل إلى المعرفة والعلم، فلا خير إلا دلَّ أمته عليه، ولا شر إلا حذَّرها منه ﷺ .

(١) انظر: رسالة التحذير من البدع لسماحة شيخنا العلامة عبد العزيز بن عبد الله ابن باز رحمه الله.

المبحث الثاني: نشأته ﷺ

نشأ النبي ﷺ يتيماً فآواه الله تعالى، وعائلاً فأغناه الله، فقد تُوفِّي والده عبد الله وهو ﷺ حملٌ في بطن أمه، وأرضعته ثُويْبَةُ أيَّاماً[١] وهي مولاة لأبي لهبٍ، ثم أرضعته حليمة السعدية في البريَّة، وأقام عندها في بني سعدٍ نحواً من أربع سنين، وَشُقَّ عن فُؤاده هناك وهو يلعب مع الغلمان، فعن أنس رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج القلب فاستخرج منه علقةً فقال: **هذا حظ الشيطان منك**، ثم غسله في طستٍ[٢] من ذهب بماء زمزم ثم لأمَهُ[٣] ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون

---

(١) البخاري مع الفتح، ٩/ ١٢٤.

(٢) طستٍ: إناء كبير مستدير [فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ١/ ٤٦٠].

(٣) لامه: جمعه وضم بعضه على بعضٍ [شرح النووي على صحيح مسلم].

إلى أمـه (يعنـي ظئـره)[١] فقـالوا: إن محمـداً قـد قُتِـلَ، فاستقبلوه وهو مُنتقع اللَّون[٢] قال أنسٌ: وقـد كنـت أرى أثر ذلك المخيط في صدره»[٣] وعند هذه الحادثـة العظيمـة خافت عليه حليمة السعدية رضي الله عنها، فردّته إلى أمه آمنـة بنـت وهـب، فخرجـت بـه أمـه إلى المدينـة، تـزور أخوالـه، ثـم رجعـت متجهـة إلى مكـة فماتـت في الطريـق بالأبواء، بين مكة والمدينة، وعمره ﷺ ست سنين وثلاثـة أشـهر وعـشرة أيـام[٤] ولـما ماتـت أمـه كفلـه جـده عبـد المطلب، فلما بلغ ثماني سنين توفي جده وأوصى به إلى عمه أبي طالـب؛ لأنـه كـان شـقيق عبـد الله بـن عبـد المطلـب

---

(١) ظِئره: هي المرضعة، ويقال أيضا لزوج المرضعة [شرح النووي].

(٢) منتقع اللون: أي متغير اللون [شرح النووي على صحيح مسلم].

(٣) مسلم، برقم ٢٦١-(١٦٢) وانظر: البداية والنهاية لابـن كثير، بتحقيـق الـدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ٣/ ٤١٣.

(٤) البدايـة والنهايـة، ٤/ ٤٢٣، والفـصول في سـيرة الرسـول ﷺ، لابـن كثـير، ص٩٢ وقد ماتت أمه وأبوه انظر: صحيح مسلم، برقم ٢٠٣ (على دين الجاهلية ولا حـول ولا قوة إلا بالله).

فكفله، وأحاطه أتمَّ حياطة، ونصره حين بعثه الله، أعزَّ نصرٍ، مع أنه كان مستمراً على شركه إلى أن مات، فخفَّفَ الله بذلك من عذابه بشفاعة النبي ﷺ، قال ﷺ: «هو في ضحْضاحٍ من النار، ولولا أنا لكان في الدَّرْكِ الأسفلِ من النار». وفي لفظٍ: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامةِ فيُجعلُ في ضحْضاحٍ من النارِ يبلغ كعبَيه، يغلي منه دِمَاغُه»[1]، وخرج مع عمِّه أبي طالب إلى الشام في تجارةٍ، وهو ابن ثنتي عشرة سنة، وذلك من تمام لطفه به؛ لعدم من يقوم به إذا تركه بمكة، فَرَأَى عبد المطلب وأصحابه ممن خرج معه إلى الشام من الآيات فيه ﷺ ما زاد عمَّه في الوصاة بِهِ، والحرص عليه، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: خرج أبو طالب إلى الشام، وخرج معه النبي ﷺ في أشياخٍ من قريشٍ، فلما أشرفوا على الراهب هبطُوا فحلُّوا

---

(١) البخاري، برقم ٣٨٨٣، ٣٨٨٤، و٣٨٨٥، ٦٢٠٨، ٦٥٧٢، ومسلم، برقم ٢٠٩. وانظر: الفصول لابن كثير، ص٩٣، والبداية والنهاية، ٥/ ٤٣١-٤٣٤.

رحالهم، فخرج إليهم الرّاهبُ، وكانوا قبل ذلـك يمرُّون به فلا يخرج إليهم، ولا يلتفتُ، قال: فهم يحلُّون رِحالهم فجعل يتخلَّلهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ ، قال: «**هذا سيدُ العالَمِين، هذا رسولُ ربِّ العالمين، يبعثه الله رحمةً للعالمين، فقال له أشياخٌ من قريش ما علمك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبقَ شجرٌ ولا حجرٌ إلا خرَّ ساجداً، ولا يسجدان إلا لنبي، وإنِّي أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروفِ كتفهِ مثل التُّفَّاحة...**» الحديث وفيه: أن النبي ﷺ أظلته غمامةٌ ومالت الشجرة بظلها عليه[1] وأمر الراهب أبا طالب بالرجوع به إلى مكة؛ لئلا يراه اليهود؛ فيحصل له منهم سوء، فأرسل به عمه إلى مكة، ثم أرسلت به خديجة بنت

---

(١) الترمذي برقم ٣٦٢٠، وقال عنه ابن كثير في الفصول في سيرة الرسول ﷺ ص٩٤: ((بإسناد رجاله كلهم ثقات)) وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٣٦٢٠، في فقه السيرة للغزالي ص٦٨ وقال: ((إسناده صحيح)) وقال: لكن ذِكر بلال فيه منكر كما قيل قال: ((قلت: وقد رواه البزار فقال: وأرسل معه عمه رجلاً)).

خويلد في تجارةٍ لها إلى الشام مع غلامها ميسرة، فربحت تجارة خديجة رضي الله عنها، فرأى ميسرة ما بهره من شأنه، فرجع فأخبر سيدته بما رأى، فرغبت إلى النبي ﷺ أن يتزوجها، لِـمَا رجَتْ في ذلك من الخير الذي جمعه الله لها، وفوق ما يخطر ببَالِ بشر، فتزوجها رسول الله ﷺ، وله من العمر خمس وعشرون سنة، وكان عمرُ خديجة أربعون سنة[1]، وقد حماه الله تعالى من صغره من دنس الجاهلية، ومن كلِّ عيب، فلم يُعظِّم لهم صنماً في عمره قط، ولم يحضر مشهداً من مشاهد كفرهم، وكانوا يطلبونه بذلك فيمتنع، ويعصمه الله من ذلك، وما شرب خمراً قط، وما عمل فاحشة قط، وكان يعلم بأنهم على باطل، ولم يشرك بالله قطُّ، ولم يحضر مجلس لهوٍ[2]، ولم

---

(١) قاله ابن القيم في زاد المعاد، ١/ ١٠٥، وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٣/ ٤٦٦: ((وكان عمرها آنذاك خمساً وثلاثين وقيل: خمساً وعشرين)).

(٢) الفصول في سيرة الرسول ﷺ، لابن كثير، ص٩١-٩٥، والبداية والنهاية، ٣/ ٤٠٦-٤٥١، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي، ١/ ٢٤.

يعمل شيئاً مما كان يعمله قومه من الفواحش والمنكرات، فقد نشأ في مجتمعٍ كَثُرت فيه المفاسد وعمت فيه الرذائل، فالشرك بالله تعالى، ودعاء غيره معه، وقتل الأنفس بغير حق، والظلم، والبغاء، والاستبضاع، والزنى الجماعي، والأفرادي، ونكاح أسبق الرجال ممن مات زوجها، والاعتداء على الأعراض، والأموال، والدماء، كل ذلك كان شائعاً في قومه قبل الإسلام، لا ينكره أحد، ولا تحاربه جماعة، بالإضافة إلى وَأْدِ البناتِ، وقتل الأولاد خشية الفقر، أو العار، ولعب الميسر، وشرب الخمر، أمور تعدُّ في الجاهلية من المفاخر، والتباهي، وليس من شرط أن يكون المجتمع كلُّه يرتكب هذه الجرائم، وإنما عدم إنكارها هو دليل على الرضى بها، والنبي ﷺ لم يعمل أي عمل أو يباشر أيَّ خُلقٍ من هذه الأخلاق الرذيلة، وقد أدَّبه ربُّهُ فأحسن تأديبه[1]، وهذه الأخلاق

(١) لم يثبت ((أدّبني ربي فأحسن تأديبي)) لكن قال شيخ الإسلام ابن تيمية في =

التي اتصف بها قد عرفها قومه منه؛ ولهذا لُقِّب بين قومه «بمحمدٍ الأمين»[1].

وقد بنت قريش الكعبة في سنة خمس وثلاثين من عمر النبي ﷺ، وعندما وصلوا إلى موضع الحجر الأسود اختلفوا، واشتجروا فيمن يضع الحجر الأسود موضعه، فقالت كلُّ قبيلةٍ: نحن نضعه، ثم اتفقوا على أن يضعه أَوَّلُ داخلٍ عليهم، فكان أول من دخل عليهم رسول الله ﷺ، ففرِحوا به كثيراً، فقالوا: جاء الأمين، فرضوا به أن يكون حكماً بينهم؛ ليحلّ النزاع ويقف القتال الذي كاد أن يحصل، فأمر ﷺ بثوبٍ فَوُضِعَ الحجر في وسطه، وأمر كلَّ قبيلة أن ترفع بجانب من جوانب الثوب، ثم أخذ

= مجموع الرسائل الكبرى، ٢/ ٣٣٦: ((معناه صحيح ولكن لا يعرف له إسناد ثابت))، وأيده السخاوي والسيوطي، فراجع كشف الخفاء ١/ ٧٠. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني برقم ٧٢.

(١) أحمد في المسند، ٣/ ٤٢٥، وحسنه الألباني في تخريج فقه السيرة لمحمد الغزالي، ص٨٤.

الحجر فوضعه بيديه في موضعه ﷺ[١].

وبعد ذلك حبب الله إليه الخلوة والانعزال عن الناس؛ لكي يتعبد لله تعالى، وكان يخلو بغار حراء يتعبد لله تعالى على ملة إبراهيم ﷺ، ولما كمَّل الأربعين أكرمه الله تعالى بالنبوّة، ولا خلاف أن مبعثه كان يوم الإثنين، وقيل بأن الشهر كان ربيع الأول سنة إحدى وأربعين لثمانٍ خلون منه، من عام الفيل وهذا قول الأكثرين[٢].

وجاءه جبريل في غار حراء، فقال له: اقرأ، فقال: «**لست بقارئ**»، قال: اقرأ قال: «**لست بقارئ**» فغتَّه[٣] حتى بلغ منه الجهد، فقال له: اقرأ، فقال: «**لست بقارئ**» فقال: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ

---

(١) الفصول في سيرة الرسول ﷺ لابن كثير، ص٩٥.

(٢) زاد المعاد لابن القيم، ١/ ٧٨، قال: وقيل: ((كان ذلك في رمضان، وقيل كان ذلك في رجب)).

(٣) غته: حبس أنفاسه، وفي رواية البخاري: ((غطني)) ومعناه: ضمَّني وعصرني.

مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[1]، وبهذه السورة كان ﷺ نبيًّا، ثم رجع ﷺ إلى خديجة رضي الله عنها يرجفُ فؤادُهُ فدخل عليها وقال: «زملوني زمّلوني» فزمَّلوه[2] حتى ذهب عنه الرَّوعُ، فأخبر خديجة الخبر، فقالت خديجة رضي الله عنها: (كلا والله ما يُخزيك اللهُ أبداً؛ إنك لتصل الرحم، وتحمِل الكلَّ، وتكسِب المعدوم، وتقري الضيف، وتعينُ على نوائب الحق...) الحديث[3]، ثم أرسله الله تعالى بسورة المدثر إلى الإنس والجن، قال ﷺ: «بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعتُ بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرُعبْتُ منه، فرجعت فقلت

---

(١) سورة العلق، الآيات: ١-٥.

(٢) زمّلوني: أي غطُّوني أو لُفُّوني بثوبٍ أو نحوه.

(٣) البخاري، برقم ٣، ومسلم، برقم ١٦٠ .

زمِّلوني، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ فحميَ الوحيُ وتتابع»[١]، وبهذه السورة كان رسولاً ﷺ ، فبدأ ﷺ بالدعوة إلى الله تعالى سراً، فأسلم على يديه: السابقون الأولون، وكان أول من أسلم خديجة رضي الله عنها، ثم علي ثم زيد بن حارثة، ثم أبو بكر رضي الله عنهم، ثم دخل الناس في دين الله واحد بعد واحد، حتى فشى الإسلام في مكة، ثم أمر الله تعالى نبيه ﷺ بأن يجهر بالدعوة فقال: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢١٥ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[٢]، فدعاهم إلى الله، وصعد على الصفا وقال: «يا بني فهر، يا بني عدي» لبطون قريش، حتى

---

(١) البخاري، برقم ٤.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ٢١٤-٢١٦.

اجتمعوا، فقال: «**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج عليكم بسفح هذا الوادي أكنتم مصدقي؟**» قالوا: نعم ما جرَّبنا عليك كذباً، قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد**»[١]، وقد ناصبه صناديد قريش ومن معهم العداء، ولكن مع ذلك لم يستطع أحد منهم أن يتهمه بصفة الكذب أو صفة غير لائقة، وقد قال الله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[٢]، ولو عرفوا خُلُقاً ذميماً – وقد عاش بينهم أربعين عاماً –؛ لأراحهم من التنقيب عن خصلة غير حميدة يتهمونه بها أمام الناس، ووجدوا أن كلمة (ساحر) و(كاهن) هي أنسب الصفات التي يطلقونها عليه؛ حيث يفرق بدعوته إلى الله بين الأب وابنه، والأخ وأخيه، والزوجة وزوجها، واتهموه بالجنون؛ لأنه خالف

---

(١) البخاري، برقم ٤٩٧١، ومسلم / ١٩٤ – (برقم ٢٠٨).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٣.

شركهم ودعا إلى عبادة الله وحده، وتابع دعوته إلى الله في المواسم، والأسواق، وخرج إلى الطائف، وأسلم الجن في طريقه عند رجوعه من الطائف، وحصل له من الأذى الكثير فصبر واحتسب، ثم أُسريَ به إلى بيت المقدس ليلاً وعُرِج به إلى السماوات العُلى، وقبل الإسراء جاء جبريلُ ففرج صدره ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطستٍ ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغه في صدره، ثم أطبقه، ثم أخذ بيده فَعُرِج به[1]، وذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله أن النبي ﷺ شُقَّ صدره ثلاث مرات، الأولى في بني سعد وهو صغير، والثانية عند البعثة فقال: (وثبت شق الصدر أيضاً عند البعثة كما أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوَّة، فالأول وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم من حديث أنس «**فأخرج علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك**» وكان هذا في زمن الطفولية فنشأ على أكمل الأحوال، من

(١) البخاري، برقم ٣٤٩، ومسلم برقم ١٦٣.

العصمة من الشيطان، ثم وقع شق الصدر عند البعث زيادة في إكرامه؛ ليتلقى ما يُوحى إليه بقلبٍ قويٍّ في أكمل الأحوال من التطهير، ثم وقع شق الصدر عند العروج إلى السماء؛ ليتأهب للمناجاة، ويحتمل أن تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الإسباغ بحصول المرة الثالثة كما تقرر في شرعه ﷺ»[1].

وصل ليلة الإسراء والمعراج إلى مكان يسمع فيه صريف الأقلام فوق السماء السابعة، وفرضت عليه الصلاة، وصلى بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ركعتين، ورجع قبل أن يصبح إلى مكة، واستمر في دعوته إلى التوحيد، وصلّى في مكة قبل الهجرة ثلاث سنين، ولما اشتد الأذى من قريش، وأكمل ثلاثة عشر عاماً في دعوته قومه إلى التوحيد، أَذِنَ الله له بالهجرة، فهاجر إلى المدينة، وفرضت عليه فيها بقية شرائع الإسلام خلال

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٧/ ٢٠٤-٢٠٥.

عشر سنواتٍ، كما تقدم، وسيأتي إتمام الكلام في صبره ﷺ على أذى قومه، وفي غزواته، وجهاده، وحجِّه حجة الوداع، ورجوعه إلى المدينة، ثم موته بعد أن كمَّل الله به الدين ﷺ(١).

(١) انظر: زاد المعاد لابن القيم، ١/ ٧١-١٣٥، والبداية والنهاية لابن كثير، ٣/ ٣٥٣-٥٦٣، والفصول في سيرة الرسول ﷺ لابن كثير، ص٩١-٣٣٠، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي، ١/ ٢٢-٣٣.

المبحث الثالث: صفاته الخَلْقيّة والخُلُقيّة ﷺ

كان النبي ﷺ أحسن الناس خَلْقاً وخُلُقاً، وألينهم كفّاً، وأطيبهم ريحاً، وأكملهم عقلاً، وأحسنهم عشرة، وأعلمهم بالله وأشدهم له خشية[١]، وأشجع الناس، وأكرم الناس، وأحسنهم قضاء، وأسمحهم معاملة، وأكثرهم اجتهاداً في طاعة ربه، وأصبرهم وأقواهم تحمّلاً، وأخشعهم لله قلباً، وأرحمهم بعباد الله تعالى، وأشدهم حياء، ولا ينتقم لنفسه، ولا يغضب لها؛ ولكنه إذا انتُهِكت حرمات الله، فإنه ينتقم لله تعالى، وإذا غضب لله لم يقم لغضبه أحد، والقوي والضعيف، والقريب والبعيد، والشريف وغيره عنده في الحق سواء، وما عاب طعاماً قط إن اشتهاه أكله، وإن لم يشتهه تركه، ويأكل من

---

(١) ولهذا قال عبد الله بن الشِّخِّير: أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيزٌ كأزيز المِرجل من البكاء، أبو داود برقم ٩٠٤، وصححه الألباني في مختصر الشمائل برقم ٢٧٦، ومعنى: أزير المرجل: أي غليان القدر.

الطعام المباح ما تيسر ولا يتكلف في ذلك، ويقبل الهدية ويكافئ عليها، ولا يقبل الصدقة، ويخصف نعليه ويرقع ثوبه، ويخدم في مهنة أهله، ويحلِبُ شاته، ويخدِمُ نفسه، وكان أشد الناس تواضعاً، ويجيب الداعي: من غني أو فقير، أو دنيء أو شريف، وكان يحب المساكين ويشهد جنائزهم ويعود مرضاهم، ولا يحقر فقيراً لفقره، ولا يهاب مَلِكاً لِمُلْكِهِ، وكان يركب الفرس، والبعير، والحمار، والبغلة، ويردف خلفه، ولا يدع أحداً يمشي خلفه(١). وخاتمه فضة وفصه منه، يلبسه في خنصره الأيمن وربما لبسه في الأيسر، وكان يعصب على بطنه الحجر من الجوع، وقد آتاه الله مفاتيح خزائن الأرض، ولكنه اختار الآخرة.

وكان رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن(٢)، ولا

---

(١) أحمد ٣/ ٣٩٨، وابن ماجه برقم ٢٤٦، والحاكم ٤/ ٤٨١، وابن حبان موارد ٢٠٩٩، وانظر: الأحاديث الصحيحة برقم ١٥٥٧.

(٢) البائن: أي ليس بالطويل الطول الظاهر.

بالقـصير، ولا بـالأبيض الأمهـق[١]، ولا بـالأدم[٢]، ولا بالجعـد القطـط[٣]، ولا بالـسَّبط[٤] ﷺ [٥]، وكـان ضـخم القـدمين حـسن الوجـه[٦]، أبـيض مليح الوجـه[٧]، وكـان رجلاً مربوعاً بعيد ما بين المنكبين، عظيم شعر الجُمَّـة إلى شـحمتي أذنيـه، وفي وقـت إلى منكبيـه، وفي وقـوتٍ إلى نـصف أذنيـه، كـث اللحيـة، شثن الكفـين والقـدمين[٨]، ضخم الرأس، ضخم الكـراديس[٩]، طويـل الـمَسْربة[١٠]، إذ مشى تكفّأ تكفؤاً كأنما ينحط مـن صـببٍ[١١]، لم يُـرَ قبلـه

---

(١) الأمهق: أي ليس بالأبيض شديد البياض، وإنما أبيض مشرب بالحمرة.

(٢) الأدم: الأسمر.

(٣) القطط: الشعر فيه التواء وانقباض.

(٤) السبط: الشعر المسترسل.

(٥) مختصر شمائل، الترمذي برقم ١، وصححه الألباني. وهو في البخاري برقم ٣٥٤٩.

(٦) البخاري، برقم ٥٩٠٨.

(٧) مسلم، برقم ٢٣٤٠.

(٨) عظيم الأصابع غليظها من الكفين والقدمين.

(٩) الكراديس: رؤوس العظام.

(١٠) المَسرَبة: الشعر الدقيق الذي يبدأ من الصدر وينتهي بالسرة.

(١١) الصبب: انخفاض من الأرض.

ولا بعده مثله، وكان عظيم الفم، طويل شِق العين، قليل لحم العقب، منظره أحسن من منظر القمر، ووجهه مثل القمر، وخاتم النبوة بين كتفيه: غدّة حمراء مثل بيضة الحمامة، وقيل: الخاتم شعرات مجتمعات بين كتفيه، وكان يفرق رأسه، ويدَّهن، ويعفي لحيته ولا يأخذ منها شيئاً، ويُسرّحها، ويأمر بتوفيرها وإيفائها، وإعفائها، وكان يأمر بالاكتحال بالإثمد عند النوم، ويقول: «**عليكم بالإثمد عند النوم؛ فإنه يجلو البصر ويُنبت الشعر**»[1]. وقال: «**إن خير أكحالكم الإثمد، يجلو البصر، ويُنبت الشعر**»[2]، وكان قليل الشَّيب في رأسه وفي لحيته إذا ادَّهن لم يُرَ شيبه، وإذا لم يدَّهن رُؤي منه شيء، كان شيبه نحواً من عشرين شيبة بيضاء، وكان يقول: «**شيَّبتني هود وأخواتها**»، وفي لفظ: «**شيّبتني: هود، والواقعة،**

(١) الترمذي في الشمائل، وصححه الألباني في مختصر الشمائل، برقم ٤٣، ص٤٥ .

(٢) الترمذي في الشمائل، وصححه الألباني في مختصر الشمائل، برقم ٤٤، ص٤٥ .

والمرسلات، وعمَّ يتساءلون، وإذا الشمس كُوِّرت»[١]، وشَيْبُهُ أحمر مخضوباً، وكان يُحبّ لبس القميص، والحَبِرَة[٢]، وكان يلبس العمامة، والإزار، وإزاره إلى نصف ساقه[٣]، وكان يحب الطيب، ويقول: «**طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه**»[٤].

وكان ﷺ يتجمَّلُ للعيد، والوفود، ويُحِبّ النظافة، وكان يكره أن يقوم له أحد؛ فلا يقوم له الصحابة؛ لعلمهم بكراهته لذلك[٥]، وكان يُحِبّ السّواك، ويبدأ به إذا دخل بيته، ويشوص فاه بالسواك إذا قام من الليل، وكان ينام أول الليل ثم يقوم يصلي، وكان يطيل صلاة

---

(١) مختصر الشمائل للترمذي، اختصره وصححه الألباني، برقم ٣٤، ٣٥.

(٢) ثياب من نوع بُرُود اليمن، والبُرد: ثوب مخطط، ومحبّرة مزينة.

(٣) مختصر شمائل الترمذي، برقم ٩٧، وصححه الألباني.

(٤) مختصر شمائل الترمذي برقم ١٨٨، وصححه الألباني.

(٥) أحمد، ٣/ ١٣٤ .

الليل حتى تنتفخ قدماه، ثم يُوتِرُ آخر الليل قبل الفجر، وكان يُحِبّ أن يسمع القرآن من غيره، وكان يعود المرضى، ويشهد الجنائز ويصلي عليهم، وكان كثير الحياء، وكان إذا كره شيئاً عُرِف في وجهه، وكان يُحِبّ الستر، وكان يتوكل على الله حقَّ توكُّلِهِ؛ لأنه سيد المتوكّلين، قال أنس ﷺ : خَدَمْتُ النبي ﷺ عشر سنين فما بعثني في حاجةٍ لم أُتِـمَّهاإلا قال: «**لو قُضِيَ لكان**» أو «**لو قُدِّر لكان**»[١]، ومع هذا فقد كان يأخذ بالأسباب. وكان لا يغدر وينهى عن الغدر، وقد حفظه الله تعالى من أمور الجاهلية قبل الإسلام[٢]، ورعى الغنم في صغره وما من نبيٍّ إلاّ رعاها[٣]، وكان الحجر يسلم عليه قبل البعثة[٤].

وله ﷺ أسماء، قال ﷺ : «**أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا**

---

(١) أحمد، ١/ ٣٥٢ وهو صحيح.

(٢) البخاري، برقم ٣٨٢٩، وأحمد ٤/ ٢٢٢ .

(٣) البخاري، برقم ٢٢٦٢، ورقم ٣٤٠٦ .

(٤) مسلم، برقم ٢٢٧٧ .

الماحي الذي يُمحى بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على عَقِبي[١]، وأنا العاقب»، والعاقب الذي ليس بعده نبي[٢].

وقال ﷺ : «أنا محمد، وأحمد، والمُقفِّي[٣]، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة»[٤]، وكنيته أبو القاسم[٥]، بعثه الله ليتَمِّمَ مكارم الأخلاق[٦].

وذكر الله تعالى اسمه في القرآن في مواضع فقال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾[٧]، وقال سبحانه: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ

---

(١) أي يحشر الناس على أثره، النهاية.

(٢) البخاري، برقم ٣٥٣٢، ومسلم برقم ٢٣٥٤ .

(٣) المقفّي: الذي قفى آثار من سبقه من الأنبياء ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا...﴾. [انظر: زاد المعاد، لابن القيم، ١/ ٩٤].

(٤) مسلم، برقم ٢٣٥٥، وشمائل الترمذي برقم ٣١٦ ((مختصر الألباني)).

(٥) البخاري، برقم ٣٥٣٧، ومسلم، ٣/ ١٦٨٢ .

(٦) أحمد، ٢/ ٣٨١، برقم ٨٩٣٩ .

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤ .

وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[1]، وقال عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾[2]، وقال سبحانه : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾[3]، وقال جل وعلا في قول عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم: ﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾[4].

وكان يكثر الذكر، دائم الفكر، ويقل اللغو، ويطيل الصلاة، ويقصر الخطبة، ويحب الطيب ولا يرده، ويكره الروائح الكريهة، وكان أكثر الناس تبسماً، وضحك في أوقاتٍ حتى بدت نواجذه[5]، قال جرير رضي الله عنه : ما حجبني

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠ .

(٢) سورة محمد، الآية: ٢ .

(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٩ .

(٤) سورة الصف، الآية: ٦ .

(٥) النواجذ: الأنياب، وقيل: [هي الضواحك التي تبدو عند الضحك] النهاية، ٥/ ٢٠ .

رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسَّمَ في وجهي، ولقد شكوت إليه أنِّي لا أثبت على الخيل، فضرب في صدري، وقال: «**اللهم ثبّته، واجعله هادياً مهديّاً**»(١) ويمزح ولا يقول إلا حقّاً، ولا يجفو أحداً، ويقبل عذر المعتذر إليه، وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهن، ويتنفس في الشرب ثلاثاً خارج الإناء، ويتكلم بجوامع الكلم، وإذا تكلم تكلَّم بكلام بيِّنٍ فَصْلٍ، يحفظه من جلس إليه، ويعيد الكلمة ثلاثاً إذا لم تفهم حتى تُفهم عنه، ولا يتكلم من غير حاجة، وقد جمع الله له مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال، فكانت معاتبته تعريضاً، وكان يأمر بالرفق ويحثّ عليه، وينهي عن العنف، ويحث على العفو والصفح، والحلم، والأناة، وحسن الخلق ومكارم الأخلاق، وكان يحب التيمن في طهوره وتنعُّله، وترجُّله، وفي شأنه كله، ونهى عن الترجل إلا غباً، وكانت يده اليسرى لخلائه وما كان من أذى، وإذا

---

(١) البخاري، برقم ٣٠٣٥، ورقم ٣٨٢٢، ورقم ٦٠٩٠ .

اضطجع اضطجع على جنبه الأيمن، ووضع كفه اليمنى تحته خده الأيمن، ويقول: أذكار النوم، وإذا عرَّس[١] قُبيل الصبح نصب ذراعه ووضع رأسه على كفه، وكان مجلسه: مجلس علم، وحلم، وحياء، وأمانة ، وصيانة، وصبر، وسكينة، ولا ترفع فيه الأصوات، ولا تنتهك فيه الحرمات، يتفاضلون في مجلسه بالتقوى، ويتواضعون، وَيُوَقِّرون الكبار، ويرحَمُون الصغار، ويؤثرون المحتاج، ويخرجون دعاة إلى الخير، وكان يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، وكان يمشي مع الأرملة والمسكين، والعبد، حتى يقضي له حاجته. ومر على الصبيان يلعبون فسلَّم عليهم، وكان لا يصافح النساء غير المحارم، وكان يتألف أصحابه ويتفقدهم، ويكرم كريم كل قوم، ويُقبل بوجهه وحديثه على من يُحدثه، حتى على أشرِّ القوم يتألفهم بذلك، وخدمه أنس رضي الله عنه عشر سنين قال: (فما

---

(١) التعريس: نزول المسافر آخر الليل نزلةً للنوم والاستراحة. انظر: النهاية في غريب الحديث ٣/ ٢٠٦.

قال لي أُفٍّ قطّ، وما قال لي لشيء صنعته لِمَ صنعته، ولا لشيء تركته لِمَا تركته، وكان من أحسن الناس خُلُقاً ولامسست خزّاً، ولا حريراً، ولا شيئاً كان ألين من كفِّ رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكاً قطّ ولا عطراً أطيب من عرق النبي ﷺ)[١]. ولم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخَّاباً[٢]، ولا يجزي بالسيئة السيئة بل يعفو ويصفح ويحلم، ولم يضرب خادماً ولا امرأة ولا شيئاً قط، إلا أن يجاهد في سبيل الله تعالى، وما خُيِّر بين شيئين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه.

وقد جمع الله له كمال الأخلاق ومحاسن الشيم وآتاه من العلم والفضل وما فيه النجاة والفوز والسعادة في الدنيا والآخرة ما لم يؤت أحداً من العالمين، وهو أُمِّي لا يقرأ

---

(١) البخاري، برقم ٦٠٣٨، ومسلم، برقم ٢٣٠٩، والترمذي في مختصر الشمائل، واللفظ له، برقم ٢٩٦ .

(٢) الصّخَّاب: الصخب والسخب: الضجة واضطراب الأصوات للخصام، فهو ﷺ لم يكن صخَّاباً في الأسواق ولا في غيرها. النهاية ٣/ ١٤ .

ولا يكتب، ولا معلم له من البشر، واختاره الله على جميع الأولين والآخرين، وجعل دينه للجن والناس أجمعين إلى يوم الدين، فصلوات الله وسلامه عليه صلاةً وسلاماً دائمين إلى يوم الدين؛ فإن خلقه كان القرآن[1].

فينبغي الاقتداء به ﷺ والتأسي به في جميع أعماله، وأقواله، وجده واجتهاده، وجهاده، وزهده، وورعه، وصدقه وإخلاصه، إلا في ما كان خاصّاً به، أو ما لا يُقدر على فعله؛ لقوله ﷺ: «**خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يَملُّ حتى تملُّوا**»[2][3]؛ ولقوله: «**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم**»[4].

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووي، ١/ ٢٥-٢٦، و٣١-٣٣، ومختصر الشمائل المحمدية للترمذي، اختصره وحققه الألباني، ص١٣-١٩٤ .

(٢) البخاري مع الفتح، ٤/ ٢١٣، برقم ١٩٧٠، ومسلم ١/ ٥٤١، برقم ٧٨٢ .

(٣) انظر: تهذيب السيرة النبوية للإمام النووي ص ٥٦، ومختصر السيرة النبوية للحافظ عبد الغني المقدسي ص ٧٧، وحقوق المصطفى للقاضي عياض ١/ ٧٧-٢١٥، ومختصر الشمائل المحمدية للترمذي ص ١١٢-١٨٨ .

(٤) البخاري برقم ٧٢٨٨، ومسلم برقم ٢٦١٩ .

المبحث الرابع: اجتهاده في عبادته وجهاده ﷺ

١ - كان ﷺ أسوة وقدوة وإماماً يُقتدى به؛ لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1]؛ ولهذا كان ﷺ يصلي حتى تفطَّرت قدماه وانتفخت وورمت فقيل له: أتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «**أفلا أكون عبداً شكوراً**»[2].

٢ - وكان يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة، وربما صلى ثلاث عشرة ركعة[3]، وكان يصلي الرواتب اثنتي عشرة ركعة[4] وربما صلاها عشر ركعات[5]، وكان يصلي

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

(٢) البخاري برقم ١١٣٠، ومسلم برقم ٢٨١٩.

(٣) البخاري برقم ١١٤٧، ومسلم برقم ٧٣٧.

(٤) مسلم برقم ٧٢٨.

(٥) البخاري برقم ١١٧٢، ومسلم برقم ٧٢٩ .

الضحى أربع ركعات ويزيد ما شاء الله[١]، وكان يطيل صلاة الليل فربما صلى بما يقرب من خمسة أجزاء في الركعة الواحدة[٢]، فكان ورده من الصلاة كل يوم وليلة أكثر من أربعين ركعة منها الفرائض سبع عشر ركعة[٣].

٣ - وكان يصوم غير رمضان ثلاثة أيام من كل شهر[٤] ويتحرَّى صيام الاثنين والخميس[٥]، وكان يصوم شعبان إلا قليلاً، بل كان يصومه كله[٦]، ورغَّب في صيام ست من شوال[٧]، وكان ﷺ يصوم حتى يُقال: لا يفطر، ويفطر حتى يُقال: لا يصوم[٨]، وما استكمل شهراً غير رمضان

---

(١) مسلم برقم ٧١٩.
(٢) مسلم برقم ٧٧٢.
(٣) كتاب الصلاة لابن القيم ص ١٤٠.
(٤) مسلم برقم ١١٦٠.
(٥) الترمذي برقم ٧٤٥، والنسائي ٤/ ٢٠٢ وغيرهما.
(٦) البخاري رقم ١٩٦٩ و١٩٧٠، ومسلم برقم ١١٥٦ و١١٥٧.
(٧) مسلم برقم ١١٦٤.
(٨) البخاري برقم ١٩٧١، ومسلم برقم ١١٥٦.

إلا ما كان منه في شعبان، وكان يصوم يوم عاشوراء[١]، وروي عنه صوم تسع ذي الحجة[٢]، وكان يواصل الصيام اليومين والثلاثة وينهى عن الوصال، وبيَّن أنه ﷺ ليس كأمته؛ فإنه يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه[٣]، وهذا على الصحيح: ما يجد من لذة العبادة والأنس والراحة وقرة العين بمناجاة الله تعالى؛ ولهذا قال: «**يا بلال أرحنا بالصلاة**»[٤]، وقال: «**وجُعِلَتْ قرة عيني في الصلاة**»[٥].

٤ - **وكان يكثر الصدقة**، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة حينما يلقاه جبريل عليه الصلاة والسلام[٦]؛ فكان يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة؛ ولهذا أعطى رجلاً غنماً

---

(١) البخاري برقم ٢٠٠٠ - ٢٠٠٧، ومسلم برقم ١١٢٥.

(٢) النسائي ٤/ ٢٠٥، وأبو داود برقم ٢٤٣٧، وأحمد ٦/ ٢٨٨، وانظر: صحيح النسائي رقم ٢٢٣٦.

(٣) البخاري برقم ١٩٦١ - ١٩٦٤ ومسلم برقم ١١٠٢ - ١١٠٣.

(٤) أبو داود برقم ٨٥٤٩، وأحمد ٥/ ٣٩٣.

(٥) النسائي ٧/ ٦١، وأحمد ٣/ ١٢٨، وانظر: صحيح النسائي ٣/ ٨٢٧.

(٦) البخاري برقم ٦، ومسلم يرقم ٢٣٠٨.

بين جبلين فرجع الرجل إلى قومه وقال: يا قومي أسلموا فإن محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة[1]، فكان ﷺ أحسن الناس، وأكرم الناس، وأشجع الناس[2]، وأرحم الناس وأعظمهم تواضعاً، وعدلاً، وصبراً، ورفقاً، وأناة، وعفواً، وحلماً، وحياءً، وثباتاً على الحق.

٥ - وجاهد ﷺ في جميع ميادين الجهاد: جهاد النفس وله أربع مراتب: جهادها على تعلم أمور الدين، والعمل به، والدعوة إليه على بصيرة، والصبر على مشاق الدعوة، وجهاد الشيطان وله مرتبتان: جهاده على دفع ما يلقي من الشبهات، ودفع ما يلقي من الشهوات، وجهاد الكفار وله أربع مراتب: بالقلب، واللسان، والمال، واليد. وجهاد أصحاب الظلم وله ثلاث مراتب: باليد، ثم باللسان، ثم بالقلب. فهذه ثلاث عشرة مرتبة من

---

(١) مسلم ٤/ ١٨٠٦، برقم ٢٣١٢ .

(٢) البخاري مع الفتح ١٠/ ٤٥٥، برقم ٦٠٣٣، ومسلم ٤/ ١٨٠٤، برقم ٢٣٠٨ .

الجهاد، وأكمل الناس فيها محمد ﷺ ؛ لأنه كمَّل مراتب الجهاد كلها، فكانت ساعاته موقوفة على الجهاد: بقلبه، ولسانه، ويده، وماله؛ ولهذا كان أرفع العالمين ذكراً وأعظمهم عند الله قدراً[١]. وقد دارت المعارك الحربية بينه وبين أعداء التوحيد، فكان عدد غزواته التي قادها بنفسه سبعاً وعشرون غزوة، وقاتل في تسع منها، أما المعارك التي أرسل جيشها ولم يقدها فيقال لها سرايا فقد بلغت ستاً وخمسين سرية[٢].

٦ – وكان ﷺ أحسن الناس معاملة، فإذا استسلف سلفًا قضى خيراً منه؛ ولهذا جاء رجل إلى النبي ﷺ يتقاضاه بعيراً فأغلظ له في القول، فَهَمَّ به أصحابه فقال النبي ﷺ : «**دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً**» فقالوا: يا رسول الله: لا نجد إلا سنًّا هو خير من سنّه فقال ﷺ :

---

(١) زاد المعاد ٣/ ٥، ١٠، ١٢.

(٢) انظر: شرح النووي ١٢/ ٩٥، وفتح الباري ٧/ ٢٧٩ - ٢٨١، و٨/ ١٥٣.

«**أعطوه**» فقال الرجل: أوفيتني أوفاك الله، فقال ﷺ: «**إن خير عباد الله أحسنهم قضاءً**»[(١)]. واشترى من جابر بن عبد الله رضي الله عنه بعيراً، فلما جاء جابر بالبعير قال له ﷺ: «**أتراني ماكستك**»؟ قال: لا يا رسول الله، فقال: «**خذ الجمل والثمن**»[(٢)].

٧ - وكان ﷺ **أحسن الناس خُلُقاً؛ لأن خُلُقَهُ القرآن**، لقول عائشة رضي الله عنها: «**كان خلقه القرآن**»[(٣)]؛ ولهذا قال ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[(٤)].

٨ - وكان ﷺ **أزهد الناس في الدنيا**، فقد ثبت عنه ﷺ أنه اضطجع على الحصير فأثَّر في جنبه، فدخل عليه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، ولما استيقظ جعل يمسح جنبه فقال: رسول الله لو اتخذت فراشاً أوثر من هذا؟ فقال ﷺ:

---

(١) البخاري رقم ٢٣٠٥، ومسلم برقم ١٦٠٠.
(٢) البخاري مع الفتح ٤/ ٣٢٠، برقم ٢٠٩٧، ومسلم ٣/ ١٢٢١، برقم ٧١٥.
(٣) مسلم ١/ ٥١٣، برقم ٧٤٦.
(٤) البيهقي بلفظه ١٠/ ١٩٢، وأحمد ٢/ ٣٨١، وانظر: الصحيحة للألباني رقم ٤٥.

«مالي وللدنيا، ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها»[١]. وقال: «لو كان لي مثلُ أُحُدٍ ذهباً ما يَسُرُّني أن لا يمر عليَّ ثلاثٌ وعندي منه شيء، إلا شيءٌ أرصُدُهُ لدين»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (ما شبع آل محمد من طعام ثلاثة أيام حتى قبض)[٣]. والمقصود أنهم لم يشبعوا ثلاثة أيام بلياليها متوالية، والظاهر أن سبب عدم شبعهم غالباً كان بسبب قلة الشيء عندهم على أنهم قد يجدون ولكن يؤثرون على أنفسهم[٤]؛ ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: (خرج النبي ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير)[٥]. وقالت: (ما أكل آل محمد ﷺ أُكلتين في يوم

---

(١) الترمزي وغيره، وانظر: الأحاديث الصحيحة برقم ٤٣٩، وصحيح الترمذي ٢/ ٢٨٠.

(٢) البخاري برقم ٢٣٨٩، ومسلم برقم ٩٩١.

(٣) البخاري مع الفتح ٩/ ٥١٧ و٥٤٩، برقم ٥٣٧٤ .

(٤) انظر فتح الباري ٩/ ٥١٧ و٥٤٩ برقم ٥٣٧٤، ومن حديث عائشة رضي الله عنها برقم ٥٤١٦.

(٥) البخاري مع الفتح ٩/ ٥٤٩، برقم ٥٤١٤ .

إلا إحداهما تمر)[١]. وقالت: (إنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أُوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار. فقال عروة: ما كان يقيتكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء)[٢]. والمقصود بالهلال الثالث: وهو يُرى عند انقضاء الشهرين. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان فراشُ رسول الله ﷺ من أدَم وحشوُهُ ليفٌ**»[٣]. ومع هذا كان يقول ﷺ: «**اللهم اجعل رزق آل محمدٍ قوتاً**»[٤].

٩ - وكان ﷺ من أورع الناس؛ ولهذا قال: «**إني لأنقلب إلى أهلي فأجد التمرة ساقطة على فراشي أو في بيتي فأرفعها لآكلها ثم أخشى أن تكون من الصدقة**

---

(١) البخاري مع الفتح ١١/ ٢٨٢، برقم ٦٤٥٥ .

(٢) البخاري مع الفتح ١١/ ٢٨٣، برقم ٦٤٥٩ .

(٣) البخاري مع الفتح ١١/ ٢٨٢، برقم ٦٤٥٦.

(٤) البخاري مع الفتح ١١/ ٢٨٣، برقم ٦٤٦٠، ومسلم برقم ١٠٥٥ والقوت: هو ما يقوت البدن من غير إسراف وهو معنى الرواية الأخرى عند مسلم "كفافاً" ويكف عن الحاجة، وقال أهل اللغة: القوت: هو ما يسد الرمق، وفي الكفاف سلامة من آفات الغنى والفقر جميعاً والله أعلم. الفتح ١١/ ٢٩٣، وشرح النووي ٧/ ١٥٢، والأبي ٣/ ٥٣٧.

فَأُلقيها»[١]. وأخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال رسول الله ﷺ: **«كَخْ كَخْ ارمِ بها أما علمت أنَّا لا نأكل الصدقة؟»**[٢].

١٠ - ومع هذه الأعمال المباركة العظيمة فقد كان ﷺ يقول: **«خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يملُّ حتى تملُّوا، وأحب العمل إلى الله ما داوم عليه صاحبه وإن قل»** وكان آلُ محمد ﷺ إذا عَمِلُوا عملاً أثبتوه[٣]. **«وكان ﷺ إذا صلى صلاة داوم عليها»**[٤]. وقد تقالَّ عبادة النبي ﷺ نفر من أصحابه رضي الله عنهم وقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ ؟ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال بعضهم: أمَّا أنا فأنا أصلي الليل أبدًا، وقال بعضهم: أنا أصوم ولا

---

(١) مسلم ٢/ ٧٥١، برقم ١٠٧٠ .

(٢) مسلم ٢/ ٧٥١، برقم ١٠٦٩ .

(٣) البخاري مع الفتح ٤/ ٢١٣، برقم ١٩٧٠، ١١/ ٢٩٤، برقم ٦٤٦٥، ومسلم ١/ ٥٤١، ٢/ ٨١١، برقم ٧٨٢ .

(٤) البخاري مع الفتح ٤/ ٢١٣، برقم ١٩٧٠، وانظر: صحيح البخاري حديث رقم ٦٤٦١ - ٦٤٦٧.

أفطر، وقال بعضهم: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً [وقال بعضهم: لا آكل اللحم] فبلغ ذلك النبي ﷺ فجاء إليهم فقال: **«أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»**[١]. والمراد بالسنة الهدي والطريقة لا التي تقابل الفرض، والرغبة عن الشيء الإعراض عنه إلى غيره. ومع هذه الأعمال الجليلة فقد كان ﷺ يقول: **«سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله»** قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: **«ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمةٍ منه وفضل»**. وفي رواية: **«سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيءٌ من الدُّلجة، والقَصْدَ القَصْدَ تبلغوا»**[٢].

---

(١) البخاري مع الفتح ٩/ ١٠٤، برقم ٥٠٦٣، ومسلم ٢/ ١٠٢٠، برقم ١٤٠١، وما بين المعكوفين من رواية مسلم.

(٢) البخاري برقم ٦٤٦٣، ٦٤٦٤، ومسلم ٤/ ٢١٧٠، برقم ٢٨١٦ – ٢٨١٨ .

وكان يقول: «**يا مقلّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك**»(١).

ويقول: «**اللهم مصرِّف القلوب صرِّف قلوبنا على طاعتك**»(٢).

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر والعظات في هذا المبحث كثيرة منها:

١. إن النبي ﷺ قدوة كل مسلم صادق مع الله تعالى في كل أموره؛ لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾(٣).

٢. إن النبي أحسن الناس خَلْقاً، وخُلُقاً ﷺ.

---

(١) الترمزي ٥/ ٢٣٨، برقم ٣٥٢٢، وغيره، وانظر: صحيح الترمزي ٣/ ١٧١.
(٢) مسلم ٤/ ٢٠٤٥، برقم ٢٦٥٤.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

المبحث الخامس: النبي الكريم ﷺ رحمة للعالمين

أولاً: عموم رحمته ﷺ للإنس والجن، والمؤمنين والكافرين والحيوان:

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[١]، فالمؤمنون به ﷺ قبلوا هذه الرحمة، وشكروها، وغيرهم كفرها، وبدَّلوا نعمة الله كفراً، وأبوا رحمة الله ونعمته[٢]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: (من آمن بالله واليوم الآخر كتب له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفي مما أصاب الأمم من الخسف والقذف)[٣].

قال الإمام الطبري رحمه الله: (أولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي رُوي عن ابن عباس: وهو أن الله أرسل نبيه محمداً ﷺ رحمة لجميع العالم: مؤمنهم

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، للسعدي، ص٥٣٢ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره جامع البيان، ١٨/ ٥٥٢ .

وكافرهم، فأما مؤمنهم فإن الله هداه به وأدخله بالإيمان به وبالعمل بما جاء به من عند الله الجنة، وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان ينزل بالأمم المكذبة رسلها من قبله)[١].

ومما يدل على أن رحمة النبي ﷺ عامة للعالم؛ حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله! ادعُ على المشركين، قال: «**إني لم أُبعث لَعَّاناً وإنما بُعِثْتُ رحمةً**»[٢].

وحديث حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**أيُّما رجل من أمتي سببته سبةً أو لعنته لعنةً في غضبي؛ فإنما أنا من ولد آدم، أغضب كما يغضبون، وإنما بعثني رحمة للعالمين، فاجعلها عليهم صلاة يوم القيامة**»[٣].

وجاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه

(١) جامع البيان للطبري، ١٨/ ٥٥٢ .

(٢) مسلم، برقم ٢٥٩٩ .

(٣) أبو داود، برقم ٤٦٥٩، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٣/ ١٣٤ .

قال: «إنما أنا رحمةٌ مهداةٌ»(١).

وقد قال ﷺ : «أنا محمد، وأحمد، والمُقَفِّي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة»(٢).

ثانياً : الأمثلة التطبيقية وأنواعها :

النوع الأول: رحمته ﷺ لأعدائه :

المثال الأول: رحمته ﷺ لأعدائه في الجهاد :

وقد شملت رحمته ﷺ الأعداء حتى في قتالهم ومجاهدتهم؛ فإن قوة الجهاد في سبيل الله تعالى في شريعته ﷺ لها ضوابط ينبغي أن يلتزم بها المجاهدون في سبيل الله – تعالى – ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾(٣)، فيدخل في ذلك ارتكاب

---

(١) رواه ابن سعد، ١/ ١٩٢، وابن أبي شيبة ١١/ ٥٠٤، والحاكم، ١/ ٣٥، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة بطرقه، برقم ٤٩٠ .

(٢) مسلم، برقم ٢٣٥٥ .

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٠ .

المناهي: من المثلة، والغلول، وقتل النساء، والصبيان، والشيوخ الذين لا رأي لهم ولا قتال، والرُّهبان، والمرضى، والعُمي، وأصحاب الصّوامع؛ لكن من قاتل من هؤلاء أو استعان الكفّار برأيه قتل[١].

ويدخل في ذلك قتل الحيوان لغير مصلحة، وتحريق الأشجار، وإفساد الزّروع والثّمار، والمياه، وتلويث الآبار، وهدم البيوت[٢]، وقد «وُجدت امرأةٌ مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ، **فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان**»[٣]؛ ولهذا كان ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش أوسريّة أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: «**اغزوا بسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تُمثّلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوّك من المشركين**

---

(١) انظر: المغني لابن قدامة ١٣/ ١٧٥-١٧٩.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٢٢٧ وعناصر القوة في الإسلام ص٢١٢.

(٣) البخاري برقم ٣٠١٤، ورقم ٣٠١٥.

فادعهم إلى ثلاث خصال...»[١]، ثم بيّنها ﷺ كالآتي:

(أ) الإسلام والهجرة، أو إلى الإسلام دون الهجرة، ويكونون كأعراب المسلمين.

(ب) فإن أبوا الإسلام دعاهم إلى بذل الجزية.

(ج) فإن امتنعوا عن ذلك كله استعان بالله وقاتلهم[٢].

المثال الثاني: وفاؤه بالعهد مع أعدائه ﷺ:

من أعظم الضوابط في الجهاد الوفاء بالعهد وعدم الخيانة؛ لقول الله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴾[٣].

فإذا كان بين المسلمين والكفار عهد أو أمان فلا يجوز

(١) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ٣/ ١٣٥٧ (رقم ١٧٣١).

(٢) انظر المرجع السابق ٣/ ١٣٥٧، وزاد المعاد ٣/ ١٠٠.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٥٨.

للمسلمين الغدر حتى ينقضي الأمد، فإن خاف المسلمون من أعدائهم خيانةً، بأن ظهر من قرائن أحوالهم ما يدل على خيانتهم من غير تصريح منهم بالخيانة، فيحنئذٍ يخبرهم المسلمون أنه لا عهد بيننا وبينكم حتى يستوي علم المسلمين وعلم أعدائهم بذلك.

ودلت الآية على أنه إذا وُجِدَت الخيانة المحققة من الأعداء لم يحتج أن يُنبذ إليهم عهدهم؛ لأنه لم يُخَف منهم بل عُلم ذلك.

ودل مفهوم الآية أيضاً أنه إذا لم يُخف منهم خيانة؛ بأن لم يوجد منهم ما يدل على ذلك، أنه لا يجوز نبذ العهد إليهم، بل يجب الوفاء إلى أن تتم مدته[1].

ولهذا قال سليم بن عامر: كان بين معاوية وبين الروم عهد، وكان يسير نحو بلادهم حتى إذا انقضى عهدهم

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٣٢١، وتفسير السعدي ٣/ ١٨٣-١٨٤.

غزاهم، فجاء رجل على فرس أو بِرْذَونٍ وهو يقول: الله أكبر، وفاء لا غدر. فنظروا فإذا عمرو بن عبسة، فأرسل إليه معاوية - رضي الله عنه - فسأله، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من كان بينه وبين قومٍ عهدٌ فلا يشدُّ عقدة ولا يحلها حتى ينقضيَ أَمَدُها أو ينبذ إليهم على سواء**» فرجع معاوية[1]. وهذا كلُّه يدلُّ على أن الهدف والمراد من الجهاد هو إعلاء كلمة الله عزَّ وجل.

المثال الثالث: دفعه ﷺ نزول العذاب على أعدائه:

ومن الأمثلة العظيمة على هذه الرحمة التي شملت حتى أعدائه ﷺ قصّته مع مَلَك الجبال حينما بعثه الله إليه؛ ليأمره بما شاء عندما آذاه المشركون، فجاء ملك الجبال وسلَّم عليه وقال: (يا محمد إن الله قد سمع قول قومك

---

(١) أبو داود، كتاب الجهاد، باب في الإمام يكون بينه وبين العدو عهد فيسير إليه ٣/ ٨٣ (رقم ٢٧٥٩)، وانظر: صحيح سنن أبي داود ٢/ ٥٢٨، والترمذي، كتاب السير، باب ما جاء في الغدر (رقم ١٥٨٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

لك وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربِّي إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت[1]؟ إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين) [والأخشبان جبلان عظيمان في مكة، تقع مكة بينهما]، فقال رسول الله ﷺ لملك الجبال: «**بل أرجوا أن يخرج اللهُ من أصلابهم من يعبُد الله وحده لا يُشرك به شيئاً**»[2].

المثال الرابع: سلامة قلبه ﷺ، وحُبّه الخير لليهود وغيرهم:

ومن الأمثلة العظيمة لرحمته ﷺ حديث أنس رضي الله عنه قال: (كان غلام يهوديٌّ يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له: «**أسلم**» فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال: له أطع أبا القاسم، فأسلم، [وفي رواية النسائي فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله]، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه**

---

(١) استفهام، أي فمرني بما شئت، انظر: فتح الباري، ٦/ ٣١٦ .

(٢) البخاري برقم ٣٢٣١، ومسلم برقم ١٧٩٥ .

من النـار» [وفي روايـة أبي داود: أنقـذه بي مـن النـار][١].
وغير ذلك كثير.

النوع الثاني: رحمته للمؤمنين ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢]، فقد بعث الله تعالى النبي ﷺ للناس كافة، وهو من أنفس المؤمنين خاصة، يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، وهو في غاية النصح لهم، والسعي في مصالحهم، ويشق عليه الأمر الذي يشق عليهم، ويحب لهم الخير، ويسعى جاهداً في إيصاله إليهم، ويحرص على هدايتهم إلى الإيمان، ويكره لهم الشر، وهو شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من

(١) البخاري، برقم ١٣٥٦، ورقم ٥٦٥٧، وانظر: فتح الباري، ٣/ ٢١٩.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

والديهم؛ ولهذا كان حقُّهُ مُقدّماً على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإيمان به، وتعظيمه، وتعزيره وتوقيره[١].

وقال الله عز وجل: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ ﴾[٢]، أقرب مال للإنسان نفسه، فالرسول أولى به من نفسه؛ لأنه ﷺ بذل لهم النصح والشفقة والرأفة؛ فلذلك وجب على العبد إذا تعارض مراد نفسه مع مراد الرسول ﷺ أن يُقدّم مُراد الرسول ﷺ، وأن لا يُعارض قول الرسول ﷺ بقول أحد من الناس، كائناً من كان، وأن يُقدّم محبّته على محبّة الناس كلهم[٣].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص٣٥٧ .

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٦ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٦٥٩ .

عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[١]. وقد قال ﷺ: «**اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به**»[٢]، وقال ﷺ : «**أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن مات وعليه دين ولم يترك وفاءً فعلينا قضاؤُهُ، ومن ترك مالاً فهو لورثته**»[٣].

النوع الثالث: رحمته ﷺ للناس جميعاً :

١ - عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لا يَرحَمِ الناس لا يَرحَمُه الله عز وجل**»[٤].

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت أبا القاسم ﷺ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩ .

(٢) مسلم، برقم ١٨٢٨ .

(٣) البخاري، برقم ٦٧٣١، ورقم ٢٢٩٨، ومسلم، برقم ١٦١٩ .

(٤) مسلم، برقم ٢٣١٩ .

يقول: «**لا تُنزعُ الرحمة إلاّ من شقي**»(١).

٣ - وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا مَن في الأرض يرحمكم مَن في السماء، الرَّحِمُ شُجنةٌ من الرحمن، فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله**»(٢).

النوع الرابع: رحمتهُ ﷺ للصبيان :

١ - عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء شيخٌ يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم عنه أن يُوسِّعوا له فقال النبي ﷺ : «**ليس مِنَّا من لم يرحم صغيرنا، ويوقِّرُ كبيرنا**»(٣).

٢ - وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ : «**ليس مِنَّا من لم يرحم صغيرنا،**

---

(١) الترمذي، برقم ١٩٢٣، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، ٢/ ٣٥٠.

(٢) الترمذي، برقم ١٩٢٤، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٢/ ٣٥٠.

(٣) الترمذي، برقم ١٩١٩، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٢/ ٣٤٨.

ويعرف شرف كبيرنا»[١].

النوع الخامس: رحمتهُ ﷺ للبنات:

١- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يكون لأحد ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، أو بنتان، أو أختان فيتقي الله فيهنَّ ويحسن إليهنَّ إلا دخل الجنة»[٢].

٢ - وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن عال بنتين أو ثلاثاً، أو اختين أو ثلاثاً حتى يَبِنَّ[٣] أو يموت عنهن كُنتُ أنا وهو في الجنة كهاتين» وأشار بأصبعه الوسطى والتي تليها[٤].

---

(١) الترمذي، برقم ١٩٢٠، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ٢/ ٣٤٩.

(٢) أبو داود، برقم ٥١٤٧، والترمذي برقم ١٩١٢ و١٩١٦، وقال عنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢/ ٤٢٩: (صحيح لغيره).

(٣) حتى يَبِنَّ: أي ينفصلن عنه بتزويج أو موت.

(٤) أحمد في المسند، ١٩/ ٤٨١، برقم ١٢٤٩٨، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٤٢٨.

النوع السادس: رحمتهُ ﷺ للأيتام:

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة**» وأشار مالك أحد رواة الحديث بالسبابة والوسطى[١].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه، فقال له: «**امسح رأس اليتيم، وأطعم المسكين**»[٢].

النوع السابع: رحمتهُ ﷺ للمرأة والضعيف:

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) مسلم، برقم ٢٩٨٣، والبخاري من حديث سهل بن سعد برقم ٦٠٥.

(٢) أحمد، ١٤/ ٥٥٨، برقم ٩٠١٨، وقال الإمام المنذري في الترغيب والترهيب، ٣/ ٣٢٣: ((رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح)) وحسّنه، الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٦٧٦. وقد ضعّفه أصحاب الموسوعة الحديثية في تحقيق مسند الإمام أحمد ١٣/ ٢١، برقم ٧٥٧٦، ولفظه: ((إن أردت أن يلين قلبك فأطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم)) وفي ١٤/ ٥٥٨، برقم ٩٠١٨، بلفظ ما في متن هذا البحث.

«اللهم إنِّي أُحَرِّج[1] حقّ الضعيفين: اليتيم والمرأة»[2].

٢ - وعن عامر بن الأحوص رضي الله عنه أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه، وذَكّر ووعظ ثم قال: «استوصوا بالنساء خيراً؛ فإنهنَّ عندكم عوانٍ، ليس تملكون منهنّ شيئاً غير ذلك»[3].

٣ - وعن أنس رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ لم يكن يدخل بيتاً بالمدينة غير بيتِ أُمّ سُليم إلا على أزواجه، فقيل له. فقال: «إني أرحمها، قُتل أخوها معي»[4].

النوع الثامن: رحمتهُ ﷺ للأرملة والمسكين:

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «الساعي

---

(١) أحرّج: أي أضيقه وأحرمه على من ظلمهما. النهاية في غريب الحديث، ١/ ٣٦١ .

(٢) ابن ماجه برقم ٣٦٧٨، وحسّنه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/ ٢٩٨ .

(٣) ابن ماجه، برقم ١٨٥١، وحسّنه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/ ١٢٠ ، ورواه الترمذي أيضاً والنسائي، وانظر: إرواء الغليل، برقم ١٩٩٧ .

(٤) البخاري، برقم ٢٨٤٤، وانظر: فتح الباري لابن حجر، ٦/ ١٦١ .

على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار»، ولفظ مسلم: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، وكالقائم لا يفتر، والصائم لا يفطر»[١].

٢ - عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يُكثِرُ الذّكر، ويُقِلُّ اللّغْوَ، ويُطيل الصلاة، ويقصر الخطبة، ولا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين يقضي له الحاجة[٢].

٣ - عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجهِ رسول الله ﷺ على المنبر، فما نزل حتى جيّش[٣] كل ميزاب بالمدينة، فأذكر قول الشاعر:

---

(١) البخاري، برقم ٥٣٥٣، ٦٠٦، ٦٠٧، ومسلم، برقم ٢٩٨٢.

(٢) النسائي، برقم ١٤١٥، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ١/ ٤٥٦.

(٣) جيّش: أي تَدَفَّقَ وجرى الماء.

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه   ثِمالُ[1] اليتامى عصمة للأرامل

وهو قول أبي طالب[2].

والأرملة: المرأة التي مات زوجها، والأرمل الرجل الذي ماتت زوجته، وسواء كانا غنيين أو فقيرين، ويُقال لكلِّ واحدٍ من الفريقين على انفراده: أراملُ، وهو بالنساء أخصّ وأكثر استعمالاً[3]؛ ولهذا قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لئن سلّمَني اللهُ تعالى لأَدَعَنَّ أرامل العراق لا يحتجن إلى رجلٍ بعدي أبداً)[4].

فاتضح من الأحاديث آنفة الذكر أن رسول الله ﷺ كان

---

(١) ثمال: أي غياث.

(٢) ابن ماجه، برقم ١٢٧٢، وحسّنه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١/ ٣٨٢، وأخرجه البخاري تعليقاً وموصولاً، وبهذا قوّاه الحافظ ابن حجر، انظر: صحيح ابن ماجه، ١/ ٣٨٢.

(٣) النهاية في غريب الحديث، ٢/ ٦٦.

(٤) البخاري، برقم ٣٧٠٠.

يرحم الأرامل والمساكين، ويَحُثّ على العناية بهم، وسدِّ حاجاتهم، فصلوات الله وسلامه عليه.

٤ – عن أمِّ بُجيدٍ رضي الله عنها، أنها قالت: يا رسول الله صلى الله عليك: إن المسكين ليقومُ على بابي فما أجد له شيئاً أُعطيه، فقال لها رسول الله ﷺ: «**إن لم تجدي له شيئاً تُعطينه إيّاه إلا ظلفاً مُحرَّقاً فادفعيه إليه في يده**»[1]، وهذا فيه رحمة النبي ﷺ بالمساكين وحثّه على إطعامهم، على حسب القدرة والاستطاعة رحمةً بهم، وشفقةً عليهم.

النوع التاسع: رحمته ﷺ لطلاب العلم والشفقة عليهم:

١ – عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**سيأتيكم أقوامٌ يطلبون العلم، فإذا رأيتموهم فقولوا: مرحباً مرحباً بوصية رسول الله ﷺ، وأقنوهم**» قلت

(١) أبو داود، برقم ١٦٦٧، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ١/ ٤٦٤ .

للحكم: ما أقنوهم؟ قال: علّموهم[١].

٢ - عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتينا إلى النبي ﷺ ونحن شَبَبَةٌ متقاربون فأقمنا عنده عشرين يوماً وليلة، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رفيقاً، فلما ظَنَّ أنّا قد اشتهينا أهلنا أو قد اشتقنا [وفي رواية: فلما رأى شوقنا إلى أهالينا] سألنا عمن تركنا بعدنا فأخبرناه، قال: «ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم، وعلّموهم، ومروهم،... وصلُّوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة فليؤذّن لكم أحدُكم وليؤمُّكم أكبَرُكُم»[٢]، وهذا فيه شفقة النبي ﷺ ورحمته لطلاب العلم.

النوع العاشر: رحمة النبي ﷺ للأسرى:

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فُكُّوا

---

(١) الترمذي، برقم ٢٦٥٠، ٢٦٥١، وابن ماجه برقم ٢٤٧، وحسّنه الألباني في صحيح ابن ماجه ١/ ٩٨.

(٢) البخاري، برقم ٦٢٨، ورقم ٦٣١.

العاني -يعني الأسير- وأطعموا الجائع، وعُودوا المريض»[1]، وهذا الحديث فيه رحمة النبي ﷺ للأسرى المسلمين، والأمر بفكِّهم، والأمر بإطعام الجائع، وعيادة المريض.

النوع الحادي عشر: رحمة النبي ﷺ للمرضى والشفقة عليهم:

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«حقّ المسلم على المسلم ستّ»** قيل: ما هُنّ يا رسول الله؟ قال: **«إذا لقيته فسلّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه»**[2].

٢ - عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«من عاد مريضاً لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع»** قيل: يا رسول الله! وما خرفة الجنة؟ قال: **«جناها»**[3].

---

(١) البخاري، برقم ٣٠٤٦ .

(٢) البخاري، برقم ١٢٤٠، ورقم ٢١٦٢ .

(٣) مسلم، برقم ٢٥٦٨ .

٣ - عن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم يعودُ مسلماً غدوة إلا صلَّى عليه سبعون ألف ملكٍ حتى يُمسي، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يُصبح، وكان له خريفٌ في الجنة»(١).

٤ - عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «مَن عاد مريضاً لم يحضر أجله فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك، إلاّ عافاه الله من ذلك المرض»(٢).

وهذه الأحاديث فيها الرحمة الظاهرة من النبي ﷺ بالمرضى، ورغبته العظيمة في نفعهم وشفائهم، وترغيبه لأمته في العناية بالمرضى وإدخال السرور عليهم.

---

(١) الترمذي، برقم ٩٦٩، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١/ ٤٩٧ .

(٢) أبو داود، برقم ٣١٠٦، والترمذي برقم ٢٠٨٣، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٣١٦٠ .

النوع الثاني عشر: رحمتهُ ﷺ للحيوان، والطير، والدواب:

١ - في حديث أبي هريرة أن رجلاً وجد كلباً يأكل الثرى من العطش، فسقاه فغفر الله له، قالوا: يا رسول الله! وإنَّ لنا في البهائم أجراً؟ قال: «**في كُلِّ كبدٍ رطبة أجر**» وفي لفظ للبخاري: «**فشكر الله له فأدخله الجنة**»(١).

٢ - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**غُفِرَ لامرأة مومسةٍ مرَّت بكلبٍ على رأس ركيٍّ كاد يقتله العطش، فنزعت خُفَّها فأوثقته بخمارها فنزعت له من الماء فغُفر لها بذلك**»(٢).

٣ - عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**عُذِّبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعاً فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها،**

---

(١) البخاري، برقم ١٧٣، ٢٤٦٦، ومسلم، برقم ٢٢٤٤ .

(٢) البخاري برقم ٣٣٢١ .

ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»[١].

٤ – عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من مسلم يغرس غرساً أو زرعاً، فيأكل منه طير، أو إنسان، أو بهيمة إلا كان له به صدقة»[٢].

٥ – عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً أضجع شاةً وهو يحدُّ شفرته، فقال النبي ﷺ: «أَتُرِيدُ أن تُميتَها موتاتٍ هَلاَّ أحددتَ شفرتك قبل أن تُضْجِعَهَا؟»[٣].

٦ – وعن شداد بن أوس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلَةَ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِبْحَةَ، وليُحِدَّ

(١) البخاري برقم ٢٣٦٥، ورقم ٣٤٨٢، ومسلم، برقم ٢٢٤٣.

(٢) البخاري، برقم ٢٣٢٠، ومسلم، برقم ١٥٥٢.

(٣) الحاكم، ٤/ ٢٣٣، وصححه على شرط الشيخين، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، ٤/ ٣٣، وقال: (رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجاله رجال الصحيح) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٥٥٢.

أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته»(١).

٧ – وعن ابن عمر رضي الله عنهما يرفعه قال: «من قتل عصفوراً فما فوقها بغير حقِّها [إلا سأله] الله عز وجل عنها يوم القيامة» قيل: يا رسول الله فما حقُّها؟ قال: «أن تذبحها فتأكلها ولا تقطع رأسها فَيُرمى بها»(٢)، وسمعت سماحة شيخنا ابن باز رحمه الله يقول: (قتل العصفور لا يجوز إذا كان للتلاعب، أما من قتله؛ لأكله أو الصدقة به فلا بأس)(٣).

٨ – وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه مرَّ بصبيانٍ من قريش قد نصبوا طيراً أو دجاجةً يترامونها، وقد جعلوا لصاحب الطير كلَّ خاطئةٍ من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرَّقَوا فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل

---

(١) مسلم، برقم ١٩٥٥ .

(٢) النسائي، برقم ٤٤٤٥، ٧/ ٢٣٩، والحاكم، ٤/ ٢٣٣، وصححه ووافقه الذهبي، وما بين المعكوفين له، وحسّنه الألباني في صحيح الترغيب، ٢/ ٥٥٢ .

(٣) سمعته أثناء تقريره على سنن النسائي، الحديث رقم ٤٤٤٥ .

هذا؛ إن رسول الله ﷺ : «**لعن من اتخذ شيئاً فيه الروحُ غرضاً**»[١] [٢].

٩ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ، فانطلق لحاجته فرأينا حُـمَّرةً[٣] معها فرخان فأخذنا فرخيها، فجاءت الحُمَّرةُ فجعلت تَفرش [أي تُرَفرِفُ بجناحيها وتقرب من الأرض] فجاء النبي ﷺ فقال: «**من فَجعَ هذه بولدها؟ ردُّوا ولدها إليها**» ورأى قرية نملٍ[٤]قد حرَّقناها فقال: «**مَن حرَّق هذه؟**» قلنا: نحن، قال: «**إنه لا ينبغي أن يُعَذِّب بالنار إلا ربُّ النار**»[٥].

١٠ - وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي

---

(١) الغرض: بفتح الغين المعجمة والراء: هو ما ينصبه الرماة يقصدون إصابته من قرطاس ونحوه. [الترغيب والترهيب للمنذري، ٣/ ١٥٣].

(٢) البخاري، برقم ٥٥١٥، ومسلم، برقم ١٩٥٨ .

(٣) حُمَّرةٌ: بضم الحاء وتشديد الميم، وقد خُفِّف: طائر صغير، كالعصفور أحمر اللون. [النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ١/ ٤٣٩].

(٤) قرية نملٍ: موضع النمل مع النمل.

(٥) أبو داود، برقم ٢٦٧٥، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٢/ ١٤٦ .

ﷺ مَرَّ على حمارٍ قد وُسِمَ في وجهِهِ فقال: «**لعن الله الذي وسمه**»(١) [الوسم الكي بحديدة].

١١- وعنه رضي الله عنه: نهى رسول الله ﷺ عن الضرب في الوجهِ، وعن الوسم في الوجه(٢).

١٢ - وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه، وفيه: فدخل رسول الله ﷺ حائطاً لرجلٍ من الأنصار فإذا جملٌ فلمَّا رأى النبيَّ ﷺ حَنَّ وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفراه(٣) فسكت، فقال: «**من ربُّ هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟**» فجاء فتىً من الأنصارِ فقال: لي يا رسول الله، فقال: «**أفلا تتقي الله في هذه البهيمةِ التي ملَّكَكَ الله**

---

(١) مسلم، برقم ٢١١٧ .

(٢) مسلم، برقم ٢١١٦ .

(٣) ذفراه: ذفرا البعير بكسر الذال المعجمة مقصور: هي الموضع الذي يعرق في قفا البعير عند أذنه، وهما ذفران. [الترغيب والترهيب للمنذري، ٣/ ١٥٧].

إِيَّاها؛ فإنه شكا إليَّ أَنَّك تُجيعه وتُدئبُهُ»(١).(٢)

وهذه نماذج يسيرة من أنواع رحمة النبي ﷺ ؛ لأعدائه، وأحبابه، والمسلم، والكافر، والذكر والأنثى، والصغير، والكبير، والإنس، والحيوان، والطير، والنمل، وغير ذلك كثير لا يحصر في مثل هذا المقام. فصلوات الله وسلامه عليه ما تتابع الليل والنهار.

النوع الثالث عشر: رقة قلبه ﷺ وبُكاؤه في مواطن كثيرة:

لم يكن النبي ﷺ يبكي بشهيقٍ ورفع صوتٍ، كما لم يكن ضحكه قهقهة، ولكن كانت تدمع عيناه حتى تَهمُلا ويُسْمَعُ لصدره أزيز، وكان بكاؤُه تارة رحمة للميت، وتارة خوفاً على أمته وشفقة عليها، وتارة من خشية الله

---

(١) تُدْئِبُهُ: بضم التاء ودال مهملة ساكنة، بعدها همزة مكسورة، وباء موحدة: أي تتعبه بكثرة العمل. [الترغيب والترهيب للمنذري، ٣/ ١٥٧].

(٢) أحمد، ١/ ٢٠٥، وأبو داود، برقم ٢٥٤٩، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٢/ ١١٠.

تعالى، وتارة عند سماع القرآن وهو بكاء اشتياقٍ ومحبةٍ وإجلالٍ[(١)].

ومن الحالات التي بكى فيها النبي ﷺ ما يأتي:

١ - **بكاؤه من خشية الله في صلاة الليل**، فقال بلال: يا رسول الله لِمَ تبكي وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر، قال: «**أفلا أكون عبداً شكوراً، لقد نزلت عليّ الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتفكّر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾**»[(٢)].[(٣)]

٢ - **بكاء النبي ﷺ في الصلاة من خشية الله تعالى،**

---

(١) انظر: زاد المعاد، لابن القيم، ١/ ١٨٣ .

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠ .

(٣) ابن حبان في صحيحه، برقم ٦٢٠، وقال شعيب الأرنؤوط: ((إسناده صحيح على شرط مسلم))، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٦٨: ((وهذا إسناد جيد)).

فعن عبد الله بن الشخِّير قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي ولصدره أزيز كأزيز المِرجل من البكاءِ[1].

٣ - **بكاء النبي ﷺ عند سماع القرآن**، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ : «**اقرأ عليَّ القرآن**» فقلت: يا رسول الله! أقرأ عليك؛ وعليك أُنزل؟ فقال: «**نعم، فإني أُحِبُّ أن أسمعه من غيري**» قال ابن مسعود: فافتتحتُ سورة النساء فلما بلغت: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾[2]، فإذا عيناه تذرفان[3].

٤ - **بكاء النبي ﷺ عند فقد الأحبة**، بكى النبي ﷺ عند موت ابنه إبراهيم، فجعلت عيناه تذرفان، فقال له

(١) أبو داود، برقم ٩٠٤، وصححه الألباني في مختصر شمائل الترمذي، برقم ٢٧٦ .

(٢) سورة النساء، الآية: ٤١ .

(٣) البخاري، برقم ٤٥٨٢، ومسلم، برقم ٨٠٠ .

عبدالرحمن بن عوف ﷺ : وأنت يا رسول الله؟ فقال: «**يا ابن عوف! إنها رحمة... إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربُّنا، وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**»[١].

٥ - بكاء النبي ﷺ عند وفاة إحدى بناته، قيل: هي أُمُّ كلثوم زوجة عثمان بن عفان رضي الله عن الجميع، فعن أنس ﷺ قال: شهدنا بنتاً للنبي ﷺ قال: ورسول الله ﷺ جالس على القبر، فرأيت عينيه تدمعان، فقال: «**هل فيكم أحد لم يُقارف الليلة؟**» فقال أبو طلحة: أنا، قال: «**فانزل في قبرها**» قال: فنزل في قبرها فقَبَرها[٢].

٦ - وبكى ﷺ عند موت ابنة له أيضاً، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ ابنة له تقضي[٣]

(١) البخاري، برقم ١٣٠٣، ومسلم، برقم ٢٣١٥ .

(٢) البخاري، برقم ١٢٨٥ ، ورقم ١٣٤٢ .

(٣) تقضي: تشرف على الموت.

فاحتضنها فوضعها بين يديه فماتت وهي بين يديه، فصاحت أُمُّ أيمن، فقال: يعني رسول الله ﷺ : «**أتبكين عند رسول الله؟**» فقالت: ألست أراك تبكي؟ قال: «**إني لست أبكي إنما هي رحمة، إن المؤمن بكل خير على كلِّ حال، إنَّ نفسه تُنزع من بين جنبيه وهو يحمد الله عزَّ وجلَّ**»[(١)].

٧ - وبكى ﷺ عند وفاة أحد أحفاده، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: أرسلَتْ بنتُ النبيِّ ﷺ[(٢)]: إنَّ ابني قد احتُضِرَ فاشْهَدنا، فأرسل يُقرِئُ السلام ويقول: «**إنّ لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمّى، فلتصبر ولتحتسب**» فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينّها، فقام ومعه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وأُبَيّ ابن كعب، وزيد بن ثابت، ورجال رضي الله عنهم، فرُفِعَ إلى النبي ﷺ الصبيُّ، فأقعده في حجره ونفسه تقعقع،

---

(١) أحمد، ١/ ٢٦٨، والترمذي في الشمائل، برقم ٣٢٤، وصححه الألباني في مختصر الشمائل، برقم ٢٧٩ .

(٢) قيل: إنها زينب رضي الله عنها؛ بنت رسول الله ﷺ .

قال: كأنها شَنّ، وفي رواية: (تقعقع[١] كأنها في شنٍّ[٢]، ففاضت عيناه) فقال سعد: يا رسولَ الله ما هذا؟ قال: «**هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده**» وفي رواية: «**هذه رحمة جعلها الله في قلوب مَن شاء من عباده، إنما يرحم الله من عباده الرُّحماءُ**»[٣].

٨ - بكى النبي ﷺ عند موت عثمان بن مظعون، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يُقَبِّل عثمان بن مظعون وهو ميِّتٌ حتى رأيت الدموع تسيل. ولفظ الترمذي: (أن النبي ﷺ قَبّل عثمانَ بن مظعون، وهو ميِّتٌ وهو يبكي، أو قال: عيناه تذرفان)[٤].

٩ - بكى ﷺ على شهداء مؤتة، فعن أنسٍ رضي الله عنه أن النبي

(١) تقعقع: تضطرب وتتحرك.

(٢) الشن: القربة البالية.

(٣) البخاري، برقم ١٢٨٤، ومسلم، برقم ٩٢٣ .

(٤) أبو داود، برقم ٣١٦٣، والترمذي برقم ٩٨٩، وابن ماجه برقم ١٤٥٦، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٢/ ٢٨٩ .

ﷺ نعى زيداً وجعفراً للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: «أخذ الرّايةَ زيدٌ فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب، -وعيناه تذرفان- حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فُتِح عليهم»(١).

١٠- بكى عند زيارة قبر أمه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله، فقال: «استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أَزورَ قبرها فَأذِنَ لي، فزورُوا القبور فإنها تذكركم الموت»(٢).

١١ - بكى ﷺ عند سعد بن عبادة وهو مريض، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: اشتكى سعد بن عبادة شكوى له، فأتاه النبي ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود رضي

---

(١) البخاري، برقم ٤٢٦٢ .

(٢) مسلم، برقم ١٠٨ - (٩٧٦).

الله عنهم، فلما دخل عليه وجده في غاشية أهله[١]، فقال: «قد قضى؟» قالوا: لا يا رسول الله، فبكى النبي ﷺ، فلما رأى القوم بكاء النبي ﷺ بَكَوْا، فقال: «**ألا تسمعون؟ إن الله لا يُعذِّب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يُعذب بهذا**»[٢] – وأشار إلى لسانه – «**أو يرحم...**»[٣] الحديث[٤].

١٢ - **بكى ﷺ عند القبر**، فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: كُنّا مع رسول الله ﷺ في جنازة فجلس على شفير القبر فبكى حتى بَلَّ الثَّرى ثم قال: «**يا إخواني! لِـمِثْلِ هذا فأعِدُّوا**»[٥].

١٣ - **بكى ﷺ في ليلة بدر وهو يصلي يناجي ربه**

---

(١) غاشية أهله: أي الذين يغشونه للخدمة وغيرها [فتح الباري لابن حجر، ٣/ ١٧٥].

(٢) ولكن يعذب بهذا: أي إن قال: سوءاً. [فتح الباري ٣/ ١٧٥].

(٣) أو يرحم: أي إن قال خيراً. [فتح الباري ٣/ ١٧٥].

(٤) البخاري، برقم ١٣٠٤، ومسلم، برقم ٩٢٤ .

(٥) ابن ماجه، برقم ٤١٩٥، وحسّنه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٣/ ٣٦٩، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٧٥١. وكذلك أخرجه أحمد، ٤/ ٢٩٤.

ويدعوه حتى أصبح، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال: ما كان فينا فارس يوم بدرٍ غير المقداد، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله ﷺ تحت شجرةٍ يُصلّي ويبكي حتى أصبح[1].

١٤ - بكى ﷺ في صلاة الكسوف، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: انكسفتِ الشمس يوماً على عهد رسول الله ﷺ ، فقام رسول الله ﷺ يُصلّي، ثم سجد فلم يكد يرفع رأسه، فجعل ينفخ ويبكي، وذكر الحديث، وقال: فقام فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «**عُرِضَتْ عليَّ النار فجعلت أنفخها، فخفت أن تغشاكم**» وفيه: «**ربِّ ألم تعدني ألا تُعذّبهم**»[2].

١٥ - بكى ﷺ لقبوله الفداء في أسرى معركة بدر،

---

(١) ابن خزيمة، برقم ٨٩٩، ٢/ ٥٣، وأحمد ١/ ١٢٥، ٢/ ٢٢٢، وصحح إسناده الألباني والأعظمي في صحيح ابن خزيمة، ٢/ ٥٢ .

(٢) ابن خزيمة في صحيحه، برقم ٩٠١، وقال الألباني والأعظمي: إسناده صحيح، انظر: صحيح ابن خزيمة، ٢/ ٥٣، وصححه الألباني في مختصر شمائل الترمذي برقم ٢٧٨ .

ففي حديث عبد الله بن عباس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم: (... فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «**ما ترون في هؤلاء؟**» فقال أبو بكر: يا نبي الله! هم بنوا العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فديةً فتكون لنا قوةً على الكفار، فعسى الله أن يديهم للإسلام، فقال رسول الله ﷺ : «**ما ترى يا ابن الخطاب؟**» قال: قلت: لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكرٍ، ولكني أرى أن تُمكِّنَّا فنضرب أعناقهم، فتُمكِّن علياً من عقيلٍ فيضربُ عُنقه، وتُمكِّنِّي من فلانٍ - نسيباً لعمر - فأضربَ عنقه؛ فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدُها، فَهَوِيَ رسولُ الله ﷺ ما قال أبو بكرٍ، ولم يَهْوَ ما قُلْتُ، ولَـمّا كان مِنَ الغَدِ جئتُ فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلت: يا رسول الله! أخبرني من أيِّ شيءٍ تبكي أنت وصاحبُك؟ فإن وجدتُ بُكاءً بكيت، وإن لم أجد بُكاءً تباكيتُ لبكائكما؟ فقال رسول الله ﷺ :

«أبكي للذي عرض عليَّ أصحابُك من أخذهم الفداء، لقد عُرِضَ عليَّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة» شجرةٍ قريبةٍ من نبيِّ الله ﷺ، وأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ[1] فِي ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ ﴾[2] فأحلّ الله الغنيمة لهم)[3].

١٦ - بكى النبيُّ ﷺ شفقة على أمته، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أنّ النبيَّ ﷺ تلا قول الله عزّ وجلّ في إبراهيم: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ ﴾[4] الآية، وقال عيسى عليه السلام:

---

(١) يثخن في الأرض: يُكثر القتل والقهر في العدوِّ. شرح النووي ١٢/ ٨٧ .

(٢) سورة الأنفال، الآيات: ٦٧ – ٦٩ .

(٣) مسلم، برقم ١٧٦٣ .

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٣٦ .

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[١] الآية، فرفع يديه وقال: «اللهم أُمّتي أُمّتي» وبكى، فقال الله عز وجل: «يا جبريل اذهب إلى محمد وربُّك أعلم فسله ما يُبكيك؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال وهو أعلم، فقال الله: يا جبريل! اذهب إلى محمد فقل: إنَّا سَنُرضيك في أُمَّتك ولا نسوءك»[٢].

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٨ .

(٢) مسلم، برقم ٢٠٢ .

المبحث السادس: تلطفه ﷺ بالأطفال وإدخال السرور عليهم

وَصَلَ النبيُّ ﷺ إلى الدرجة العليا في الكمال البشري في جميع المجالات، ومن هذه الأخلاق العظيمة أخلاقه مع الأطفال التي ضرب فيها المثل الأعلى، ولا يصل إلى درجته أحد من خلق الله تعالى، لا علماء النفس، ولا غيرهم؛ ولكن مع ذلك المسلم يُلْزِمُ نفسه على حسب قدرته بالاقتداء بالنبي ﷺ ، ومن هذا تلطفه ومداعبته الكريمة للأطفال، ومن ذلك على سبيل المثال والإيجاز ما يأتي:

المثال الأول: مداعبته ﷺ محمود بن الرُّبيع :

قال محمود رضي الله عنه : (عَقلتُ من النبي ﷺ مَـجَّةً مجَّها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلوٍ)[1]، وقوله رضي الله عنه : عقلت: أي حفظت، ومجةً: المجُّ هو إرسال الماء من الفَمِ، ولا يُسمَّى مجًّا إلا إذا كان عن بُعدٍ، وفعل ذلك ﷺ إمَّا مداعبةً أو ليُبارك عليه كما كان ذلك شأنه مع أولاد

---

(١) البخاري، برقم ٧٧، ومسلم، ١/ ٤٥٦، برقم ٢٦٥ – (٣٣).

الصحابة[١]، قال شيخنا ابن باز رحمه الله: وهذا من باب المداعبة وحسن الخلق[٢].

المثال الثاني: ملاطفته ومداعبته ﷺ لجملة من الأطفال:

عن جابر بن سَمُرة رضي الله عنه، قال: (صليتُ مع رسول الله ﷺ صلاة الأُولى ثم خرج إلى أهله وخرجتُ معه، فاستقبلهُ وِلدانٌ فجعل يمسح خدَّيْ أحدهم واحداً واحداً، قال: وأما أنا فمسح خدَّيَّ فوجدت لِيَدِهِ برداً أو ريحاً، كأنما أخرجها من جؤنة عطّار)[٣]، والجؤنة: السفط الذي فيه متاع العطار.

المثال الثالث: ملاطفته ﷺ الحسن والحسين في مواقف كثيرة:

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبَّل رسول الله ﷺ الحسن ابن عليٍّ وعنده الأقرع بن حابسٍ التميمي جالساً، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبَّلتُ منهم أحداً، فنظر

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ١/ ١٧٢.

(٢) سمعته منه أثناء تقريره على صحيح البخاري، الحديث رقم ٧٧.

(٣) مسلم، برقم ٢٣٢٩.

إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «**من لا يَرْحم لا يُرحم**»[١].

٢ - وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابيٌّ إلى النبي ﷺ فقال: تُقَبِّلون صبيانكم فما نُقَبِّلُهُم، فقال النبيُّ ﷺ : «**أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أن نَزَعَ اللهُ من قلبك الرحمة**»[٢]، والمعنى: لا أقدر أن أجعل الرحمة في قلبك بعد أن نزعها الله منه[٣].

٣ - والحسن والحسين رضي الله عنهما من أحب الناس إلى النبي ﷺ ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ... وسمعتُ النبي ﷺ يقول: «**هُمَا ريحانتاي من الدنيا**»[٤]، والمعنى: أنهما مما أكرمني الله وحباني به؛ لأن الأولاد يُشمّون ويُقبّلون، فكأنهم من جملة الرياحين، وقوله «من

---

(١) البخاري، برقم ٥٩٩٧.

(٢) البخاري، برقم ٥٩٩٨، ومسلم، برقم ٢٣١٧ .

(٣) فتح الباري لابن حجر، ١٠/ ٤٣٠ .

(٤) البخاري برقم ٥٩٩٤.

الدنيا» أي نصيبي من الريحان الدنيوي(١).

٤ - وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: «**إن ابني هذا سيد، ولعلَّ الله أن يُصلِحَ به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»(٢).

وقد أصلح الله به بين معاوية ومن معه وأتباع علي بن أبي طالب ومن معه فتنازل عن الخلافة لمعاوية فحقن الله تعالى به دماء المسلمين(٣).

٥ - وعن البراء رضي الله عنه قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ والحسن بن عليٍّ على عاتقه يقول: «**اللهم إني أُحِبُّه فأَحِبَّه**»(٤).

المثال الرابع: ركوب الصبي على ظهره ﷺ وهو ساجد:

وعن شدَّادٍ رضي الله عنه قال: خرج النبي ﷺ إلى الناس؛ ليصلي

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ١٠/ ٤٢٧.

(٢) البخاري، برقم ٣٧٤٦.

(٣) انظر: البخاري، برقم ٢٧٠٤.

(٤) البخاري، برقم ٣٧٤٩.

بهم إحدى صلاتي العشاء وهو حامل حسناً أو حسيناً فتقدَّم رسول الله ﷺ فوضعه، ثم كبر للصلاة، فصلَّى، فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها، قال أَبِي: فرفعت رأسي وإذا الصبي على ظهر رسول الله ﷺ، وهو ساجد، فرجعتُ إلى سجودي، فلمَّا قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال الناس: يا رسول الله! إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها، حتى ظننَّا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى إليك، قال: «كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أُعَجِّلَهُ حتى يقضي حاجته»[1].

المثال الخامس: محبته ﷺ لأُسامة:

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يأخذني فَيُقْعِدُني على فخذه ويُقعد الحسن بن علي على فخذه الآخر ثُمَّ يضمُّهما ثم يقول: «اللهم ارحمهما فإني

---

(١) النسائي برقم ١١٤٢، وصححه الألباني في صحيح النسائي ١/ ٢٤٦، ومسند أحمد ٣/ ٤٩٣.

أرحمهما» وفي رواية: «اللهم إني أُحبُّهما فأَحبَّهما»[١].

المثال السادس: حَمْلُهُ ﷺ بنت زينب وهو يصلي:

فعن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حاملٌ أمامة بنت زينب، بنت رسول الله ﷺ بنت أبي العاص، فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها[٢].

المثال السابع: مداعبة أم خالد باللغة الحبشية:

فعن أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت: (أتيت رسول الله ﷺ مع أبي وعليَّ قميص أصفر، قال رسول الله ﷺ : «سَنَه سَنَه» قال عبد الله الراوي: وهي بالحبشية: حسنة، قالت: فذهبت ألعب بخاتم النبوة فزبرني أبي[٣]، قال رسول الله ﷺ : «دعها» ثم قال: «أبلي وأخلقي ثم أبلي وأخلقي ثم أبلي وأخلقي» قال عبد الله فبقيت حتى

---

(١) البخاري، برقم ٦٠٠٣، ورقم ٣٧٤٧، ٣٧٣٥.

(٢) البخاري، برقم ٥١٦، ورقم ٥٩٩٦، ومسلم، ١/ ٣٨٥، برقم ٥٤٣.

(٣) زبرني: أي نهرني وزجرني.

ذكر)[١]، والمعنى فبقيت حتى ذكر الراوي من بقائها أمداً طويلاً، وقيل: لم تعش امرأة مثلما عاشت أم خالد[٢].

المثال الثامن: تخفيفه ﷺ الصلاة عند بكاء الصبي:

كان يخفف الصلاة إذا سمع بكاء الصبي رحمة لأمه وشفقة عليها وعليه، ﷺ ، فعن أبي قتادة، عن أبيه رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**إِنِّي لأقوم في الصلاة أُريد أن أُطوِّل فيها فأسمع بكاء الصّبيِّ؛ فأتجوَّز في صلاتي كراهية أن أشقّ على أُمِّه**»[٣].

المثال التاسع: سلامه ﷺ على الصبيان:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه مرَّ على صبيان فسلم عليهم، وقال: كان النبي ﷺ يفعله[٤].

---

(١) البخاري، برقم ٣٠٧١.
(٢) فتح الباري لابن حجر، ١/ ١٨٤.
(٣) البخاري، برقم ٧٠٧.
(٤) البخاري، برقم ٦٢٤٧، ومسلم ٤/ ١٧٠٨.

المثال العاشر: مداعبته ﷺ لأبي عُميرٍ:

فعن أنس رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس خُلقاً، وكان لي أخٌ يُقال له: أبو عُمير - أحسبه فَطِيماً - وكان إذا جاء ﷺ قال: «**يا أبا عُمير ما فعل النُّغير؟**»[1] نُغرٌ كان يلعبُ به، أي طير صغير كان يلعب به أبو عمير، فمات النُّغير، فرآه النبي ﷺ حزيناً على النغير، فداعبه ﷺ[2].

المثال الحادي عشر: إعطاؤه ﷺ الصبي قبل الأشياخ؛ لأنه عن يمينه:

أعطى ﷺ الشراب لغلام صغير عن يمينه قبل الأشياخ، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: أُتِـيَ النبي ﷺ بقدح فشرب منه، وعن يمينه غلامٌ أصغر القوم، والأشياخ عن يساره فقال: «**يا غلام أَتَأْذَنُ لِـي أَن أُعطيه الأشياخ؟**» قال: ما كنت لأوثر بفضلي منكَ أحداً يا رسول الله! فأعطاه إياه. وفي رواية: «**أَتَأْذَنُ لي أن أُعطِيَ**

---

(١) البخاري، برقم ٦٢٠٣.

(٢) فتح الباري لابن حجر، ١٠/ ٥٨٣.

هؤلاء؟» فقال الغلامُ: لا والله يا رسول الله، لا أُوثِرُ بنصيبي منك أحداً، قال: فَتَلَّهُ رسولُ الله ﷺ في يده[1].

المثال الثاني عشر: بول الصبيان في حجره ﷺ:

فعن أمِّ قيس بنت مِحصنٍ أنها أتت بابنٍ لها لم يأكل الطعام إلى رسول الله ﷺ فأجلسه رسول الله ﷺ في حجره، فبال على ثوبه، فدعا بماءٍ فنضحه ولم يغسله[2].

وغير هذه المواقف كثيرةٌ جداً.

---

(١) البخاري، برقم ٢٣٥١، ورقم ٢٤٥١ .

(٢) البخاري، برقم ٢٢٣.

المبحث السابع: حسن خلقه ﷺ

أولاً: ترغيبه ﷺ في حسن الخلق

لا يُحصَى من دخل في الإسلام بسبب خلق النبي الكريم عليه الصلاة والسلام سواء كان ذلك الخلق الحسن من: جوده أو كرمه، أو عفوه أو صفحه، أو حلمه أو أناته، أو رفقه أو صبره، أو تواضعه أو عدله، أو رحمته أو منّه، أو شجاعته وقوته..

وقد رغَّب النبي ﷺ في حسن الخلق في مجالات عديدة منها ما يأتي:

١ - الخلق الحسن في حياة المسلم عامة وفي حياة الدعاة إلى الله تعالى خاصة من أعظم روابط الإيمان وأعلى درجاته، لقوله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً**»[1].

٢- الخلق الحسن ضرورة اجتماعية لجميع المجتمعات،

---

(١) أخرجه الترمذي ٣/ ٤٣٧ برقم ١١٦٢، وأبو داود ٤/ ٢٢٠ برقم ٤٦٨٢، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ١/ ٣٤٠.

وهو من أعظم المهمات التي تتعين على جميع الدعاة إلى الله تعالى؛ لأن من تخلّق به كان من أحب الناس إلى النبي ﷺ وأقربهم منه مجلساً يوم القيامة، قال ﷺ: **«إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً»**[1].

٣- الخلق الحسن يجعل المسلم من أحسن الناس، ومن خيارهم مطلقاً، ولا يكون كذلك إلا بالتخلق بهذا الخلق العظيم، قال ﷺ: **«إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً»**[2].

وقد أحسن الشاعر إذ يقول:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

٤ - الخلق الحسن من أعظم القربات وأجلّ العطايا والهبات، والداعية إلى الله تعالى هو من أحق الناس بهذا الخير العظيم؛ ليطبقه على نفسه، ويدعو الناس إليه؛

---

(١) أخرجه الترمذي ٤/ ٣٧٠ برقم ٢٠١٩، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢/ ١٩٦ .

(٢) البخاري مع الفتح ١٠/ ٤٥٢، برقم ٦٠٢٩، ومسلم ٤/ ١٨١٠ برقم ٢٣٢١ .

ليحصل على الثواب الجزيل، ولهذا قال ﷺ : **«ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن»**[١]، وقال ﷺ : **«إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»**[٢]، وقال ﷺ لعبد الله بن عمرو: **«أربع إذا كن فيك فما عليك ما فاتك من الدنيا: حفظُ أمانةٍ، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة في طعمة»**[٣]، وبهذا يحصل المسلم على جوامع الخيرات والبركات، قال ﷺ : **«البر حسن الخلق»**[٤].

٥ - الخلق الحسن هو وصية رسول الله ﷺ إلى جميع المسلمين، وخاصة الدعاة، فقد أوصى به ﷺ معاذ بن جبل حينما بعثه إلى اليمن والياً، وقاضياً، وداعياً إلى الله

---

(١) أبو داود ٤/ ٢٥٣ برقم ٤٧٩٩، والترمذي ٤/ ٣٦٢، برقم ٢٠٠٢، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٣/ ٩١١ .

(٢) أبو داود ٤/ ٢٥٢ برقم ٤٧٩٨ وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٣/ ٩١١ .

(٣) أحمد في المسند بإسناد جيد ٢/ ١٧٧، وانظر: صحيح الجامع الصغير للألباني ١/ ٣٠١ برقم ٨٨٦ .

(٤) مسلم ٤/ ١٩٨٠ برقم ٢٥٥٣ .

فقال له: «.. **وخالق الناس بخلق حسن**»(١).

٦ - الخلق الحسن ذو أهمية بالغة؛ لأن الله عز وجل أمر به نبيه الكريم، وأثنى عليه به، وعظم شأنه الرسول الأمين ﷺ . قال عز وجل: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾(٢)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(٣)، وقال عليه الصلاة والسلام: «**إنما بعثتُ لِأُتَمِّمَ مكارم الأخلاق**»(٤)، وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه ﷺ فقالت: «..**فإن خلق نبيكم ﷺ كان القرآن**»(٥).

٧ - الخلق الحسن من أعظم الأساليب التي تجذب

---

(١) الترمذي ٤/ ٣٥٥، برقم ٢٣٨٩، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢/ ١٩١ .

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩ .

(٣) سورة القلم، الآية: ٤ .

(٤) البيهقي في السنن الكبرى بلفظه ١٠/ ١٩٢، وأحمد ٢/ ٣٨١، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ٢/ ٦١٣، وانظر: الأحاديث الصحيحة للألباني ١/ ٧٥ برقم ٤٥ .

(٥) مسلم في صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض ١/ ٥١٣، برقم ٧٤٦ .

الناس إلى الإسلام، والهداية، والاستقامة؛ ولهذا من تتبع سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام وجد أنه كان يلازم الخلق الحسن في سائر أحواله وخاصة في دعوته إلى الله تعالى، فأقبل الناس ودخلوا في دين الله أفواجاً بفضل الله تعالى ثم بفضل حسن خلقه ﷺ ، فكم دخل في الإسلام بسبب خلقه العظيم، فهذا يسلم ويقول: (والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليَّ من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إليَّ)[1]، وذاك يقول: (اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً)[2]، تأثر بعفو النبي ﷺ ولم يتركه على تحجيره رحمة الله التي وسعت كل شيء، بل قال له: «**لقد تحجرت واسعاً**»، والآخر يقول: (فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه)[3]، والرابع يقول: (يا قومي أسلموا فإن محمداً يعطي

(١) البخاري مع الفتح ٨/ ٨٧، برقم ٤٣٧٢، ومسلم ٣/ ١٣٨٦ ، برقم ١٧٦٤ .
(٢) البخاري مع الفتح ١٠/ ٤٣٨ ، برقم ٦٠١٠ .
(٣) مسلم ١/ ٣٨١ ، برقم ٥٣٧ .

عطاءً لا يخشى الفاقة)[١]، والخامس يقول: (والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إليَّ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليَّ)[٢]، والسادس يقول: بعد عفو النبي ﷺ عنه[٣]: (جئتكم من عند خير الناس)، ثم يدعو قومه للإسلام فأسلم منهم خلق كثير[٤]. وهناك أمثلة كثيرة جداً.

٨ - الخلق الحسن هو أمنية كل مسلم وكل داعية مخلص خاصة؛ لأنه بذلك ينجو ويفوز وينجح في جميع أموره الخاصة والعامة؛ ولهذه الأهمية كان ﷺ يدعو ربه أن يهديه للخلق الحسن، فكان ﷺ يقول في استفتاحه لصلاة الليل: «**واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت..**»[٥]، وكان يقول: «**اللهم كما أحسنت**

---

(١) مسلم ٤/ ١٨٠٦ ، برقم ٢٣١٢ .

(٢) مسلم ٤/ ١٨٠٦ ، برقم ٢٣١٣ .

(٣) البخاري، برقم ٢٩١٠، ومسلم، برقم ٨٤٣ .

(٤) انظر: فتح الباري ٧/ ٤٢٨ .

(٥) مسلم ١/ ٥٣٤ ، برقم ٧٧٠ .

خَلْقي فحسِّن خُلُقي»[١].

٩ - الخلق الحسن يُحبب صاحبه إلى الناس جميعاً حتى أعدائه، ويتمكن بذلك من إرضاء الناس على اختلاف طبقاتهم، وكل من جالسه أو خالطه أحبه، وبهذا يسهل على الداعية إدراك مطالبه السامية بإذن الله تعالى؛ لأن الدعاة إلى الله عز وجل لا يسعون الناس بأموالهم ولكن ببسط الوجه وحسن الخلق.

١٠ - إن من لم يتخلق بالخلق الحسن من الدعاة ينفر الناس من دعوته، ولا يستفيدون من علمه وخبرته؛ لأن من طبائع الناس أنهم لا يقبلون ممن يستطيل عليهم أو يبدو منه احتقارهم، واستصغارهم، ولو كان ما يقوله حقاً. قال عز وجل للنبي الكريم ﷺ : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟

(١) البيهقي وأحمد ٦/ ٦٨، وصححه الألباني في إرواء الغليل ١/ ١١٣ برقم ٧٤ .

مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ﴾[١]، وقال عز وجل: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]، وقال عز وجل مُمْتَنّاً على عباده: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ...﴾[٤] الآية، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[٥]، وقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُۥ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩ .

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢١٥ .

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٨ .

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤ .

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧ .

رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ شَـٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴾(٢)، ولا شك أنه يتعين على كل داعية أن يتخذه عليه الصلاة والسلام قدوة وإماماً لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾(٣).

١١ - إن صلاح الأمة وهدايتها والنهوض بها لا يكون سليماً نقياً إلا بالأخذ من المنبع الصافي، والبعد عن الأفكار الهدامة المنحرفة، والتزام الدعاة إلى الله تعالى بالخلق الحسن ودعوة الناس إليه هو من هذا المنبع، وتطبيق ذلك على أنفسهم، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩ .

(٢) سورة الأحزاب، الآيات: ٤٥-٤٧ .

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢١ .

ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾[1]؛ ولهذا أمر الله بالعلم قبل العمل، وبالعمل قبل الدعوة إليه، فقال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ ﴾[2] الآية، وقال: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾[3] فقدم العمل قبل الدعوة إلى الحق.

١٢ - الخلق الحسن في الدعوة يجعل الداعية مستنير القلب، ويفتح مداركه، فيتبصر به مواطن الحق، ويهتدي به إلى الوسائل والأساليب الصحيحة في دعوة الناس الملائمة للظروف والأحوال، والأشخاص ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) سورة الصف، الآيتان: ٢، ٣.

(٢) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٣) سورة العصر.

ﭐلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ...﴾[١] الآية.

١٣ - الخلق الحسن في الدعوة من أعظم الأسباب التي تنجي من النار وتورث الفوز بأعلى الدرجات في جنات النعيم وهذا هو غاية كل مسلم بعد رضى الله عز وجل، ولهذا عندما سأل ﷺ رجلاً فقال له: «**ما تقول في الصلاة؟**» قال: أتشهّد ثم أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار. أما والله! ما أحسن دندنتك، ولا دندنة معاذ. فقال ﷺ «**حولها نُدَنْدِنُ**»[٢]، وهذا يدل أن جميع الأقوال والدعوات والأعمال؛ إنما هو من أجل الفوز بالجنة والنجاة من النار بعد رضى الله عز وجل.

وقد تكفل ﷺ ببيت في أعْلى الجنة لمن حسَّن خلقه فقال: «**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن**

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٩.

(٢) أبو داود، برقم ٧٩٢، وأحمد ٣/ ٤٧٤، وابن ماجه، برقم ٣٨٤٧، وانظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ٣٢٨.

كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسَّن خلقه»[١].

١٤ – الخلق الحسن من أكثر الأعمال التي يدخل بها المسلم الجنة، فقد سُئل النبي ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: «تقوى الله وحسن الخلق»[٢]، ويبين ﷺ: أن النار تحرم على كل قريب هَيِّنٍ سهل. فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أُخبركم بمن يحرم على النار – أو بمن تَحرُمُ عليه النار –؟! على كُلِّ قريبٍ هيِّنٍ لَيِّنٍ»[٣].

---

(١) أبو داود، برقم ٤٨٠٠، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود ٣/ ٩١١، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٢٧٣.

(٢) الترمذي ٤/ ٣٦٣ برقم ٢٠٠٥، وانظر: جامع الأصول ١١/ ٦٩٤ وحسنه الألباني في صحيح الترمذي ٢/ ١٩٤.

(٣) الترمذي ٤/ ٦٥٤ برقم ٢٤٨٨، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٢/ ٦١٠. وانظر: جامع الأصول ١١/ ٦٩٨.

ثانياً: عمله بالأخلاق الحسنة ﷺ

الخلق الحسن موضوع واسع جداً يشمل: الحلم، والأناة، والجود والكرم، والعفو والصفح، والرفق واللين، والصبر، والعزيمة، والثبات، والعدل والإنصاف، والصدق، والبرّ، والوفاء بالعهد، والإيثار، والرحمة، والعفة، والتواضع، والزهد، والكيس والنشاط، والسماحة، والمروءة، والشجاعة، والأمانة، والإخلاص... وهذا هو الخلق الحسن في الدعوة إلى الله تعالى وما يتفرع منه.

أما الخلق العظيم الذي مدح الله به النبي ﷺ فهو الدين كله، والخلق الحسن جزء منه كما ذكر ابن تيمية رحمه الله تعالى في الفتاوى[1]، وقال الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى – في مدارج السالكين: (حسن الخلق يقوم على

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٠/ ٦٥٨.

أربعة أركان، لا يتصور قيام ساقِه إلا عليها: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل. ومنشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة)[١].

وهذه الأخلاق الحسنة العظيمة قد عمل بها النبي ﷺ .

(١) مدارج السالكين ٢/ ٣٠٨.

المبحث الثامن : جوده وكرمه ﷺ

الجود والكرم خُلقٌ عظيم وهو على عشر مراتب على النحو الآتي:

١ - الجود بالنفس وهو أَعْلى مراتب الجود.

٢ - الجود بالرياسة، فيحمل الجواد جوده على الجود برياسته والإيثار في قضاء حاجات الناس.

٣ - الجود براحته، فيجود بها تعباً في مصلحة غيره.

٤ - الجود بالعلم وبذله وهو من أعلى مراتب الجود، وهو أفضل من المال.

٥ - الجود بالنفع بالجاه كالشفاعة وغيرها.

٦ - الجود بنفع البدن على اختلاف أنواعه، فكل يوم تعدل فيه بين اثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فترفع متاعه عليها أو تحمله عليها صدقة،

والكلمة الطيبة صدقة.

٧ - الجود بالعرض، كمن يعفو عمن اغتابه، أو سبه، ونال من عرضه، كما فعل أبو ضمضم.

٨ - الجود بالصبر، والاحتمال، وكظم الغيظ، وهذا أنفع من الجود بالمال.

٩ - الجود بالخلق الحسن، والبشاشة، والبسطة، وهو فوق الجود بالصبر.

١٠- الجود بترك ما في أيدي الناس عليهم فلا يلتفت إليه.

ولكل مرتبة من الجود مزيد وتأثير خاص في القلب، والله سبحانه قد ضمن المزيد للجواد والإتلاف للممسك، والله المستعان[1].

وكل أنواع الجود والكرم قد اتصف بها رسول الله ﷺ ،

(١) انظر: مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٢٩٣-٢٩٦ بتصرف.

ومن الأمثلة العظيمة لتطبيق الجود والكرم بالمال ما فعله رسول الله ﷺ في الأمثلة الآتية:

المثال الأول: وصف أنس رضي الله عنه لكرمه ﷺ:

عن أنس رضي الله عنه قال: ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، قال: فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: يا قومي أسلموا فإن محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة(١).

وهذا الموقف الحكيم العظيم يدل على عظم سخاء النبي ﷺ، وغزارة جوده(٢).

---

(١) مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل ﷺ شيئاً فقال: لا، ٤/ ١٨٠٦، برقم ٢٣١٢.

(٢) انظر: أمثلة كثيرة من كرمه وجوده في البخاري مع الفتح، كتاب بدء الوحي، باب حدثنا عبدان ١/ ٣٠، برقم ٦، وكتاب الأدب باب حسن الخلق وما يكره من البخل ١٠/ ٤٥٥، برقم ٦٠٣٤، وكتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: لو أن عندي مثل أُحُد ذهباً ١١/ ٢٦٤، برقم ٦٤٤٥، ١١/ ٣٠٣، برقم ٦٤٧٠، وكتاب الكفالة، باب من تكفل عن ميت ديناً فليس له أن يرجع ٤/ ٤٧٤، برقم ٢٢٩٦، وكتاب التمني، باب تمني الخير، وقول النبي ﷺ: لو كان لي مثل أحد ذهباً ١٣/ ٢١٧، برقم ٧٢٢٨، ومسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ =

وكان ﷺ يعطي العطاء ابتغاء مرضاة الله – عز وجل – وترغيباً للناس في الإسلام، وتأليفاً لقلوبهم، وقد يُظهر الرجل إسلامه أولاً للدنيا ثم – بفضل الله تعالى، ثم بفضل النبي ﷺ ونور الإسلام – لا يلبث إلا قليلاً حتى ينشرح صدره للإسلام بحقيقة الإيمان، ويتمكن من قلبه، فيكون حينئذٍ أحب إليه من الدنيا وما فيها[1].

المثال الثاني: وصف صفوان رضي الله عنه لكرمه ﷺ:

روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ غزا غزوة الفتح – فتح مكة – ثم خرج ﷺ بمن معه من المسلمين فاقتتلوا بحنين، فنصر الله دينه والمسلمين، وأعطى رسول الله ﷺ يومئذ صفوان بن أمية مائة من الغنم، ثم مائة، ثم مائة. قال صفوان: والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني

= شيئاً قط فقال: لا، وكثرة عطائه ٤/ ١٨٠٥، ١٨٠٦، برقم ٢٣١١-٢٣١٤، وكتاب الزكاة، باب من سأل بفحش وغلظة ٢/ ٧٣٠، برقم ١٠٥٦-١٠٥٨، وباب تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة ٢/ ٦٨٧، برقم ٩٩١.

(١) انظر: شرح النووي على مسلم ١٥/ ٧٢.

وإنه لأبغض الناس إليّ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ"[١].

وقال أنس - رضي الله عنه -: (إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها)[٢].

وإذا رأى ﷺ الرجل ضعيف الإيمان، فقد كان ﷺ يجزل له في العطاء، قال ﷺ: «إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليَّ منه خشية أن يُكبَّ في النار على وجهه»[٣]، ولذلك

---

(١) مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل ﷺ شيئاً قط فقال: لا، وكثرة عطائه ٤/ ١٨٠٦، برقم ٢٣١٣ .

(٢) المرجع السابق، في الكتاب والباب المشار إليهما آنفاً ٤/ ١٨٠٦، برقم ٥٨ - (٢٣١٢).

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب الزكاة، باب قوله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ ٣/ ٣٤٠، برقم ١٤٧٨، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء من يخاف على إيمانه ٢/ ٧٣٣، برقم ١٠٥٩ .

كان ﷺ (**يعطي رجالاً من قريش المائة من الإبل**)[١].

المثالث الثالث: ما فعله ﷺ مع المرأة المشركة:

من كرمه وأخلاقه العظيمة في ذلك ما فعله ﷺ مع المرأة المشركة صاحبة المزادتين، فإنه ﷺ بعد أن أسقى أصحابه من مزادتيها، ورجعت المزادتان أشد ملاءةً منها حين ابتدأ فيها قال لأصحابه «**اجمعوا لها**»، فجمعوا لها – من بين عجوة ودقيقة وسويقة – حتى جمعوا لها طعاماً كثيراً وجعلوه في ثوب، وحملوها على بعيرها، ووضعوا الثوب بين يديها، فقال لها: «**اذهبي فأطعمي هذا عيالك، تعلمين والله ما رزأناك**[٢] **من مائك شيئاً، ولكن الله هو الذي أسقانا**».

وفي القصة أنها رجعت إلى قومها فقالت: لقيت أسحر

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم ٦/ ٢٤٩، برقم ٣١٤٣ – ٣٣٤٩.

(٢) أي: لم ننقص من مائك شيئاً. انظر: فتح الباري ١/ ٤٥٣.

الناس، أو هو نبي كما زعموا، فهدى الله ذلك الصرم[١] بتلك المرأة، فأسلمت وأسلموا[٢].

وفي رواية: فكان المسلمون بعد ذلك يغيرون على من حولها من المشركين ولا يصيبون ذلك الصرم الذي هي فيه، فقالت يوماً لقومها: ما أرى أن هؤلاء القوم يدعونكم عمداً، فهل لكم في الإسلام؟ فأطاعوها، فدخلوا في الإسلام[٣].

وقد كان سبب إسلام هذه المرأة أمران:

الأمر الأول: ما رأته من أخذ النبي ﷺ وأصحابه من مزادتيها ولم ينقص ذلك من مائها شيئاً، وهذا من

---

(١) الصرم: أبيات مجتمعة من الناس. انظر: فتح الباري ١/ ٤٥٣.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة ٦/ ٥٨٠، برقم ٣٥٧١، وأطرافه في البخاري: برقم ٣٤٤، ورقم ٣٤٨، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها ١/ ٤٧٦، برقم ٦٨٢.

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب التيمم، باب الصعيد الطيب وضوء المسلم بكفيه من الماء ١/ ٤٤٨، برقم ٣٤٤.

معجزات النبي ﷺ التي تدل على صدق رسالته.

الأمر الثاني: كرم النبي ﷺ حينما أمر أصحابه أن يجمعوا لها، فجمعوا لها طعاماً كثيراً.

أما قومها، فقد أسلموا على يديها؛ لأن المسلمين صاروا يراعون قومها بإقرار النبي ﷺ على سبيل الاستئلاف لهم، حتى كان ذلك سبباً لإسلامهم[1].

وهذه الأمثلة التي سقتها ما هي إلا قطرة من بحر من كرم النبي ﷺ، فما أحوجنا إلى الاقتداء بالنبي ﷺ والاقتباس من نوره وهديه في دعوته وفي أموره كلها، والله المستعان.

(١) انظر: فتح الباري ١/ ٤٥٣.

المبحث التاسع: عدله ﷺ

وقد رغّب النبي ﷺ في العدل، ومن ذلك أنه قال: «**سبعة يُظِلّهم الله في ظِلّه يوم لا ظِلّ إلا ظِلّه: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله...**» الحديث[1].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن المقسطين عند الله على منابر من نورٍ عن يمين الرحمن عز وجل وكِلتَا يديه يمينٌ، الذين يعدلون في حُكمِهم، وأهليهم، وَمَا وَلُوا**»[2].

العدل له مجالات كثيرة لا تحصر منها: العدل في الولاية، والعدل في القضاء، والعدل في تطبيق الحدود، والعدل في المعاملات بين الناس، والعدل في الإصلاح بين الناس، والعدل مع الأعداء، والعدل مع الأولاد، والعدل بين الزوجات... وغير ذلك.

---

(١) البخاري، برقم ٦٦٠، ومسلم، برقم ١٠٣١ .

(٢) مسلم، برقم ١٨٢٧ .

ومن الأمثلة العظيمة في تطبيق النبي ﷺ العدل الأمثلة الآتية:

المثال الأول: مع المرأة المخزوميّة التي سرقت:

قد كان النبي ﷺ أعدل البشر في جميع أموره وأحكامه، ومما يضرب به المثل في عدله إلى يوم القيامة قصة المخزومية التي سرقت فقطع يدها بعد أن شفع فيها أسامة، ولكن الرسول ﷺ لم يحابِ في ذلك، ولم يقبل الشفاعة في حد من حدود الله تعالى.

فعن عائشة – رضي الله عنها – أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت في عهد النبي ﷺ في غزوة الفتح، فقالوا: من يُكلِّم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حِبُّ رسول الله ﷺ فأُتِيَ بها رسول الله ﷺ، فكلمه فيها أسامة بن زيد، فتلوَّن وجه رسول الله ﷺ فقال: «**أتشفع في حد من حدود الله؟**» فقال له أسامة: استغفر لي يا رسول الله! فلما كان العشي

قام رسول الله ﷺ فاختطب فأثنى على الله بما هو أهله، فقال: «أما بعد، أيها الناس: إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها.

قالت عائشة: فحسنت توبتها بعد، وتزوجت، وكانت تأتيني فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ[(١)].

إن العدل خلاف الجور، وقد أمر الله - عز وجل - به في القول والحكم، فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ

(١) البخاري مع الفتح بنحوه مختصراً في كتاب الحدود، باب إقامة الحد على الشريف والوضيع ١٢/ ٨٦، برقم ٦٧٨٦، وباب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان ١٢/ ٨٧، برقم ٦٧٨٨ ٦/ ٥١٣، برقم ٣٤٧٥، ٥/ ٢٥٥، برقم ٢٦٤٨، ورواه مسلم بلفظه في كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود ٣/ ١٣١٥، برقم ١٦٨٨، وانظر: شرح النووي ١١/ ١٨٦، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٢/ ٩٥، ٩٦.

كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾[١]، وقال: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ ﴾[٢].

ولاشك أن هذا الخلق العظيم وغيره من أخلاقه ﷺ مما يوجب على المسلم تطبيقها أسوة به ﷺ[٣].

المثال الثاني: مع النعمان بن بشير وابنه رضي الله عنهما :

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال وهو على المنبر: أعطاني أبي عطيّةً، فقالت عمرة بنتُ رواحة: لا أرضَ حتى تُشهِدَ رسول الله ﷺ ، فأتى رسولَ الله ﷺ فقال: إني أعطيتُ ابني من عمرة بنت رواحة عطيّةً فأمرتني أن أُشهدكَ يا رسولَ الله، قال: «**أعطيت سائر**

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(٣) انظر مواقف حكيمة في هذا الشأن في: سنن أبي داود ٢/ ٢٤٢، والترمذي ٣/ ١٣٧، والنسائي ٧/ ٦٤، وانظر أيضاً: البخاري مع الفتح ٣/ ٢٩٢، برقم ١٤٢٣، ٢/ ١٤٣، برقم ٦٤٠، ١١/ ٣١٢، برقم ٦٤٧٩، ١٢/ ١١٢، برقم ٦٨٠٦، ومسلم ٣/ ١٤٥٨، برقم ١٨٢٧-١٨٣٠ وهذا الحبيب يا محبّ ص٥٣٤، ٥٣٥.

ولدك مثل هذا؟» قال: لا. قال: «فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم» قال: فرجع فردَّ عطيته. وفي رواية: أن النبي ﷺ قال: «ألك ولدٌ سواه؟» قال: نعم، قال: فأراه قال: «لا تُشهدني على جور» وفي لفظ: «لا أشهد على جور» وفي لفظ: إني نحلتُ ابني هذا غلاماً، فقال: «أكلّ ولدك نحلتَه مثلَهُ؟» قال: لا. قال: «فأرجعه» وفي لفظ لمسلم: «أليس تريد منهم البر مثل ما تريد من ذا؟» قال: بلى، قال: «فإني لا أشهد»[1].

والنحلة: العطية بغير عوض[2] وفي هذا الحديث حرص النبي ﷺ على العدل بين الأولاد، ووصيته ﷺ بالتقوى، وبالعدل بين الأولاد وغيرهم، وسمعت شيخنا الإمام عبد العزيز ابن باز رحمه الله يقول: (وهذا واضح أنه لا يجوز تخصيص بعض الأولاد بشيء؛ لأن

---

(١) البخاري، برقم ٢٥٨٦، ٢٥٨٧، ٢٦٥٠، ومسلم، برقم ١٨ - (١٦٢٣).

(٢) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، ٥/ ٢١٣.

هذا يسبب الشحناء بين الأولاد والعداوة، وللذكر مثل حظ الأنثيين كالميراث على الصحيح، ويعدل بين الطائعين والعصاة، ويُوجِّه العصاة وينصحون)[١].

المثال الثالث: عدله مع أهله ﷺ :

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ويقول: «**اللهم هذا قسمي فيما أملكُ فلا تلُمني فيما تَمْلِكُ ولا أَمْلِكُ**»[٢].

وقد قسم النبي ﷺ فعدل بين نسائه، وسمعت شيخنا ابن باز رحمه الله يقول: (قوله: «**فلا تلمني فيما تملك**» يعني القلب، وما يتعلق به؛ فإن المحبة والمودة شيء في القلب، لا يستطيع الزوج أن يسوّي بينهنَّ فيه، وله أسباب تحبب المرأة إلى زوجها: من دينها، وشبابها، وغير

---

(١) سمعته أثناء تقريره على الحديث رقم ٢٥٨٦ من صحيح البخاري.

(٢) أبو داود، برقم ٢١٣٤، والترمذي برقم ١١٤٠، والنسائي ٧/ ٦٤، وابن ماجه، برقم ١٩٧١، وسمعت ابن باز يقول أثناء تقريره على بلوغ المرام: (إسناده جيد).

ذلك، وإنما يملك العبد القسم بينهن بالسوية في الليل والنهار، والنفقة وإحسان العشرة، وطيب الكلام، أما الشيء الذي يتعلق بالقلب والشهوة فهذا لا يملكه)[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشِقُّهُ مائل**»[٢].

وهذا الحديث يدل على تحريم الميل الذي يستطيعه الإنسان، أما الميل الذي لا يستطيعه فالله يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٣]، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[٤]، وقال: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْۖ

---

(١) سمعته أثناء تقريره على بلوغ المرام، الحديث رقم ١٠٨٤ .

(٢) أحمد ٢/ ٣٤٧، وأبو داود برقم ٢١٣٣، والترمذي برقم ١١٤١، والنسائي، ٧/ ٦٣، وابن ماجه برقم ١٩٦٩، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ١/ ٥٩٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦ .

(٤) سورة التغابن، الآية: ١٦ .

فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ﴾[1]، وفي هذا الحديث الوعيد لمن تعمّد الجور والظلم، وأنه يأتي يوم القيامة وشقه مائل، وهذه عقوبة ظاهرة[2].

ومن سنته ﷺ أن من تزوَّج بكراً أقام عندها سبع ليالٍ ثم قسم بين زوجاته إذا كان له أكثر من واحدة؛ لحديث أنس رضي الله عنه قال: «**من السُّنَّة إذا تزوَّج الرجل البكر على الثيِّب أقام عندها سبعاً ثم قسم، وإذا تزوج الثيب أقام عندها ثلاثاً ثم قسم**»[3].

وعن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ لما تزوَّجها أقام عندها ثلاثاً، وقال: «**إنه ليس بك على أهلك هوان**[4]، **إن شئت سبَّعتُ لَكِ، وإن سبَّعتُ لَكِ سبَّعْتُ لنسائي**»[5].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٩ .

(٢) سمعته من شيخنا ابن باز أثناء تقريره على بلوغ المرام.

(٣) متفق عليه، واللفظ للبخاري: البخاري، برقم ٥٢١٤، ومسلم، برقم ١٤٦١ .

(٤) هوان: يعني ليس لكِ عندي هوان

(٥) مسلم، برقم ١٤٦٠.

وعن عائشة رضي الله عنها: (أن سودة بنتُ زَمْعَةَ وَهبت يومها لعائشة، وكان النبيُّ ﷺ يقسم لعائشة يومها ويوم سودة)[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ لا يُفضِّل بعضنا على بعضٍ في القَسْمِ من مكثه عندنا، وكان قلَّ يومٍ إلا وهو يطوف علينا جميعاً فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها، ولقد قالت سودة بنتُ زَمعة حين أسنت[٢] وفَرِقت[٣] أن يفارقها رسول الله ﷺ قالت: يا رسول الله يومي لعائشة، فقبل ذلك رسول الله ﷺ منها، قالت: نقول في ذلك: أنزل الله تعالى وفي أشباهها – أُرَاه قال – ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا﴾[٤][٥].

---

(١) البخاري برقم ٥٢١٢، ومسلم برقم ١٤١٣.

(٢) أسنت: كبرت في السن.

(٣) فرِقت: خافت.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٢٨ .

(٥) أبو داود، برقم ٢١٣٥، وقال الألباني في صحيح أبي داود، ١/ ٥٩٤: =

وسمعت شيخنا ابن باز رحمه الله يقول: (تزوج النبي ﷺ سودة بعد خديجة وَقَبْلَ عائشة وطالت حياتها معه فلما أسنت وخافت أن يطلقها قالت: يا رسول الله: يومي لعائشة. رواه أبو داود وإسناده جيد، وهذا يدل على أنه لا بأس أن تتنازل المرأة عن يومها لإحدى ضرَّاتها إذا رضي الزوج، فيكون للموهوبة يومان ولغيرها يوم)[1].

وقد كان هذا الوقت المشترك بعد العصر؛ لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا صلَّى العصر دار على نسائه ثم يدنو منهن...)[2]، وسمعت شيخنا ابن باز رحمه الله يقول: (وهذا يدل على حسن عشرته ﷺ ، فقد كان خير الناس لأهله، فكان يطوف عليهن كل عصر يتفقد أحوالهنَّ وحاجاتهنَّ وذلك من

= ((حسن صحيح))، وأصل هبة سودة يومها لعائشة في صحيح مسلم برقم ١٤٦٣ وصحيح البخاري برقم ٥٢١٢.

(١) سمعته أثناء تقريره على بلوغ المرام الحديث رقم ١٠٨٩.

(٢) البخاري برقم ٥٢٦٨، ومسلم واللفظ له برقم ١٤٧٤.

غير جماع، وربما طاف بهنَّ وجامعهن كما في حديث أنس، بغسل واحد، ولعل هذا نادر والجمع بين حديث عائشة هذا وحديث أنس أنه في الغالب من غير مسيس وربما جامع، فالمثبت مقدم على النافي)[١].

ولفظ حديث أنس رضي الله عنه قال: (كان النبي ﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة» قال الرواي لأنس: أَوَ كان يُطيقه؟ قال: كُنَّا نتحدَّثُ أنه أُعطي قوَّة ثلاثين، وقال سعيد عن قتادة أن أنساً حدثهم (تسع نسوة)[٢]، وقد حمل الحافظ ابن حجر أنه ضمَّ مارية، وريحانة: جاريتيه إلى زوجاته التسع، وأطلق عليهن (نسائه) تغليباً[٣]، وسمعت شيخنا ابن باز رحمه الله يقول: (هذه قوة عظيمة عنده تسع نسوة،

---

(١) سمعته أثناء تقريره على بلوغ المرام الحديث رقم ١٠٨٩.

(٢) البخاري، برقم ٢٦٨، ٢٨٤، ٥٠٦٨، ٥٢١٥.

(٣) فتح الباري، ١/ ٣٨٩.

وجاريتان: ريحانة، ومارية)[١]، (وهذا يدل على أن الرجل له أن يجامع زوجاته [في الوقت المشترك بينهن] تأسياً به ﷺ ، وهذا من خلقه الكريم)، وفي حديث أنس قال: (كان للنبي ﷺ تسع نسوة فكان إذا قسم بينهن لا ينتهي إلى المرأة الأولى إلا في تسع فَكُنَّ يجتمعن كل ليلة في بيت التي يأتيها...)[٢]. وسمعت شيخنا ابن باز يقول: (وهذا عِلاوة على طوافه عليهن كل عصر، وهذا يكسبهن تعارفاً وإبعاداً عن الوحشة؛ فإن بين الضرات وحشة، فاجتماعهن كل ليلة يسبب التآلف)[٣].

ومن عدله ﷺ بين نسائه؛ أنه كان إذا أراد سفراً أقرع بينهن، قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها

---

(١) سمعته أثناء تقريره على صحيح البخاري، الحديث رقم ٢٦٨، بتاريخ ٢٣/ ٧/ ١٤١٨هـ.

(٢) مسلم، برقم ١٤٦٢.

(٣) سمعته أثناء تقريره على بلوغ المرام، الحديث ١٠٨٩.

خرج بها معه)[1].

ومن عدله وكرم أخلاقه ﷺ ما قاله أنس رضي الله عنه ، قال: (كان النبي ﷺ عند بعض نسائه فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين صحفةً فيها طعام، فضربت التي النبيُّ ﷺ في بيتها يدَ الخادم فسقطت الصحفةُ فانفلقت، فجمع النبي ﷺ فِلَقَ الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: «غارت أُمُّكم» ثم حبس الخادم حتى أُتِـيَ بصحفةٍ من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كُسِرَتْ صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كُسِرَت فيه)[2].

هذه الأحاديث تدل على عِظَمِ النبيِّ ﷺ وعلى عدله مع نسائه، وحسن خلقه معهن، وملاطفتهن، والقيام بحقوقهن ﷺ .

---

(١) البخاري، برقم ٢٥٩٣، ومسلم برقم ٢٧٧٠.

(٢) البخاري، برقم ٥٢٢٥ و٢٤٨١.

المبحث العاشر: تواضعه ﷺ

يقال: تواضع: تذلل وتخاشع[١]، والمراد بالتواضع: إظهار التنزل لمن يراد تعظيمه، وقيل: تعظيم من فوقه لفضله[٢].

والتواضع صفة عظيمة وخلق كريم؛ ولهذا مدح الله المتواضعين فقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾[٣]، أي يمشون في سكينة ووقار متواضعين غير أشرين ولا متكبرين، ولا مرحين، فهم علماء، حلماء، وأصحاب وقار وعفة[٤].

والمسلم إذا تواضع رفعه الله في الدنيا والآخرة؛ لقوله

---

(١) القاموس المحيط ص٩٩٧.

(٢) فتح الباري ١١/ ٣٤١.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

(٤) انظر: مدارج السالكين ٢/ ٣٢٧.

ﷺ: **«ما نقصت صدقةٌ من مال، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً، ومن تواضع لله رفعه»**[١].

وهذا ما يفتح الله به للمسلم قلوب الناس؛ فإن الله يرفعه في الدنيا والآخرة، ويثبت له بتواضعه في قلوب الناس منزلة ويرفعه عندهم ويجلُّ مكانه[٢]، أما من تكبر على الناس فقد توعده الله بالذل والهوان في الدنيا والآخرة؛ لحديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا: قال رسولا الله ﷺ: **«العزُّ إزاره، والكبرياءُ رداءه فمن ينازعني عذبته»**[٣].

وقد كان النبي ﷺ أعظم الناس تواضعاً، ومن تواضعه الأمثلة الآتية:

---

(١) مسلم ٤/ ٢٠٠١، برقم ٢٥٨٨ .

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/ ١٤٢ .

(٣) مسلم مع النووي ١٦/ ١٧٣، برقم ٢٦٢٠، ولفظه "فمن ينازعني عذبته".

المثال الأول: قصة الناقة العضباء :

عن أنس رضي الله عنه قال: كانت ناقة لرسول الله ﷺ تُسمّى العضباء وكانت لا تُسْبَقُ، فجاء أعرابي على قعود له فسبقها فاشتد ذلك على المسلمين وقالوا سُبِقَتِ العضباء، فقال رسول الله ﷺ : «**إن حقاً على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه**»[1].

ورسول الله ﷺ هو الأسوة الحسنة فقد كان متواضعاً في دعوته للناس.

المثالث الثاني: وصف أبي مسعود لتواضعه ﷺ :

عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجل فكلّمه فجعل ترعُد فرائصُهُ فقال له: «**هوِّن عليك نفسك فإني لستُ بِمَلِكٍ، إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد**» وزاد الحاكم في روايته عن جرير بن عبد الله: «... في هذه

---

(١) البخاري مع الفتح ١١/ ٣٤٠، برقم ٦٥٠١ .

البطحاء»، ثم تلى جرير ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾[١].

فعلى جميع الناس أن يقتدوا برسول الله ﷺ فقد كان متواضعاً في دعوته مع الناس، فكان يمر بالصبيان فيسلم عليهم، وتأخذه بيده الأمة فتنطلق به حيث شاءت، وكان في بيته في خدمة أهله، ولم يكن ينتقم لنفسه قط، وكان يخصف نعله، ويرقع ثوبه، ويحلب الشاة لأهله، ويعلف البعير، ويأكل مع الخادم، ويجالس المساكين، ويمشي مع الأرملة واليتيم في حاجتهما، ويبدأ من لقيه بالسلام، ويجيب دعوة من دعاه ولو إلى أيسر شيء، فكان متواضعاً من غير ذلة، جواداً من غير سرف، رقيق القلب رحيماً بكل مسلم خافض الجناح للمؤمنين، لين الجانب لهم[٢]، ﷺ.

---

(١) ابن ماجه، برقم ٣٣١٢، والحاكم ٢/ ٤٦٦، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ٣/ ١٢٨، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٤/ ٤٩٧، برقم ١٨٧٦، سورة ق، الآية: ٤٥.

(٢) انظر: مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٣٢٨-٣٢٩.

المثال الثالث: تفضيله ﷺ للأنبياء على نفسه :

وقال له رجل: يا خير البرية! فقال النبي ﷺ : «**ذاك إبراهيم عليه السلام**»[١]، وقال ﷺ : «**ما ينبغي لأَحدٍ أن يقول: أنا خيرٌ من يونس بن متَّى**»[٢].

ولاشك أنه ﷺ أفضل الأنبياء والمرسلين، وسيد الناس أجمعين؛ لقوله ﷺ : «**أنا سيد الناس يوم القيامة**»[٣]، وقال ﷺ : «**أنا سيد ولد آدم، وأوَّل من تنشقّ عنه الأرض، وأوَّل شافع، وأوَّل مُشفّع**»[٤].

ومن تواضعه ﷺ : أنه لم يكن له بوَّابٌ يحجبه عن الناس[٥]، وكان يرقي المرضى ويدعو لهم، ويمسح رأس الصبي ويدعو له[٦]، وكان يشفع لأصحابه، ويقول: «**اشفعوا**

---

(١) مسلم، برقم ١٣٦٩.

(٢) البخاري، برقم ٤٦٣٠، ومسلم، ٤/ ١٨٤٦، برقم ٢٣٧٦.

(٣) البخاري، برقم ٣٣٤٠ و٣٣٦١ و٤٧١٢، ومسلم، برقم ١٩٤.

(٤) أبو داود برقم ٤٧٦٣ وصححه الألباني، ٣/ ١٣٨.

(٥) البخاري، برقم ١٢٨٣.

(٦) البخاري، برقم ٧٢١٠.

تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء»[١]، وقال لأنس رضي الله عنه: «يا بُنَيَّ» على سبيل الملاطفة والتواضع[٢].

ومن تواضعه ﷺ: أن رجلاً كان يَقمُّ المسجد أو امرأة سوداء، فماتت أو مات ليلاً، فدفنه الصحابة، ففقدها النبي ﷺ أو فقده، فسأل عنها أو عنه، فقالوا: مات، قال: «أفلا كنتم آذنتموني» فكأنهم صغَّروا أمرها أو أمره، فقال: «دلُّوني على قبرها» فدلوه فصلى عليها ثم قال: «إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها، وإن الله عز وجل ينوِّرها لهم بصلاتي عليهم»[٣].

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: (خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أفٍّ قط، وما قال لشيء صنعته لم صنعته؟ ولا لشيء تركته لم تركته؟ وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خُلُقاً...)[٤].

---

(١) البخاري، برقم ١٤٣٢، ومسلم، برقم ٢٦٢٧.

(٢) مسلم، برقم ٢١٥١، ٢١٥٢.

(٣) مسلم، برقم ٩٥٦.

(٤) البخاري بنحوه برقم ٦٠٣٨، والترمذي بلفظه في الشمائل كما تقدم تخريجه.

المبحث الحادي عشر: حلمه وعفوه ﷺ

بلــغ النبــيُّ ﷺ في حلمــه، وعفــوه في دعوتــه إلى الله - تعالى - الغاية المثالية، والدلائل على ذلك كثيرة جدًّا، منها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

المثال الأول: مع من قال: هذه قسمة ما عُدِلَ فيها

عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: لما كان يوم حنينٍ آثر النبيُّ ﷺ أُناساً في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عُيَينة مثل ذلك، وأعطى أُناساً من أشراف العرب فآثرهم يومئذ في القسمة، قال رجل: والله إن هذه القسمة ما عُدِلَ فيها، وما أُريدَ بها وجه الله، فقلت: والله لأُخْبِرَنَّ النبيَّ ﷺ . فأتيته فأخبرته، فقال: «**فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟! رحم الله موسى فقد أوذي بأكثر من هذا فصبر**»[(١)].

---

(١) البخاري مع الفتح بلفظه، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلَّفة قلوبهم وغيرهم من الخُمس ٦/ ٢٥١، برقم ٣١٥٠، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلّفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه ٢/ ٧٣٩، برقم ١٠٦٢.

وهذا من أعظم مظاهر الحلم في الدعوة إلى الله – تعالى – وقد اقتضت حكمة النبي ﷺ أن يقسم تلك الغنائم بين هؤلاء المؤلَّفة قلوبهم، ويُوكِلَ من قلبه ممتلئ بالإيمان إلى إيمانه[1].

المثال الثاني: مع من قال: كُنَّا أَحَقَّ بهذا

عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: بعث علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – إلى رسول الله من اليمن بذهيبة[2] في أديم مقروظ[3] لم تحصل من ترابها، قال: فقسمها بين أربعة نفر: بين عيينة بن بدر[4]، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل[5]، والرابع إما علقمة[6] وإما عامر ابن الطفيل،

(١) انظر: فتح الباري، شرح صحيح البخاري ٨/ ٤٩.

(٢) أي: ذهب. انظر: فتح الباري ٨/ ٦٨.

(٣) مدبوغ بالقرظ. انظر: فتح الباري ٨/ ٦٨.

(٤) وهو عيينة بن حصن بن حذيفة، نسب لجده الأعلى. الفتح ٨/ ٦٨.

(٥) زيد الخيل بن مهلهل الطائي، وسماه النبي ﷺ زيد الخير، بالراء بدل اللام. انظر: فتح الباري ٨/ ٦٨.

(٦) ابن علاثة العامري، أسلم وحسن إسلامه، واستعمله عمر على حوران، فمات بها في خلافته. انظر: فتح الباري ٨/ ٦٨.

فقال رجل من أصحابه: كُنَّا نحن أحقّ بهذا من هؤلاء، قال: فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساء؟**» قال: فقام رجل غائر العينين، مُشرف الوجنتين، ناشز الجبهة، كث اللحية، محلوق الرأس، مُشمِّر الإزار، فقال: يا رسول الله! اتق الله، قال: «**ويلك، أولستُ أحقُّ أهل الأرض أن يتقي الله؟**» قال: ثم ولى الرجل، قال خالد بن الوليد: يا رسول الله! ألا أضرب عنقه؟ قال: «**لا، لعله أن يكون يصلي**» فقال خالد: وكم من مصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه! قال رسول الله ﷺ : «**إني لم أُومر أن أَنقُب قلوب الناس ولا أشقّ بطونهم**». قال: ثم نظر إليه وهو مُقَفٍّ فقال: «**إنه يخرج من ضئضيء هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّميَّة، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»[1].

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب، وخالد بن الوليد=

وهذا من مظاهر حلم النبي ﷺ، فقد أخذ بالظاهر ولم يؤمر أن ينقب قلوب الناس، ولا أن يشق بطونهم، والرجل قد استحق القتل واستوجبه؛ ولكن النبي ﷺ لم يقتله؛ لئلا يتحدث الناس أنه يقتل أصحابه ولاسيما من صلَّى[1].

المثال الثالث: مع الطفيل بن عمرو رضي الله عنه

من مواقف الحلم ما فعله رسول الله ﷺ مع الطفيل بن عمرو الدوسي - رضي الله عنه -، فقد أسلم الطفيل - رضي الله عنه - قبل الهجرة في مكة، ثم رجع إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، فبدأ بأهل بيته، فأسلم أبوه وزوجته، ثم دعا قومه وعشيرته إلى الله - عز وجل - فأبت عليه وعصت، وأبطؤوا عليه، فجاء الطفيل إلى رسول الله ﷺ وذكر له أن دوساً هلكت وكفرت وعصت وأبت.

= - رضي الله عنها - إلى اليمن ٨/ ٦٧ برقم ٤٣٥١، ومسلم، في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٢/ ٧٤١، برقم ١٠٦٤.

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ٨/ ٦٩.

فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: جاء الطفيل بن عمرو الدوسي إلى رسول الله ﷺ فقال: إن دوساً قد عصت وأبت، فادع الله عليهم، فاستقبل رسول الله القبلة ورفع يديه، فقال الناس: هلكوا. فقال: «**اللهم اهد دوساً وائت بهم، اللهم اهد دوساً وائت بهم**»[1].

وهذا يدل على حلم النبي ﷺ وصبره وتأنِّيه في الدعوة إلى الله – عز وجل –؛ فإنه ﷺ لم يعجل بالعقوبة، أو الدعاء على من رد الدعوة؛ ولكنه ﷺ دعا لهم بالهداية، فاستجاب الله دعاءه، وحصل على ثمرة الصبر والتأنِّي وعدم العجلة، فقد رجع الطفيل إلى قومه، ورفق بهم،

(١) البخاري مع الفتح، في كتاب الجهاد، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم ٦/ ١٠٧، برقم ٢٩٣٧، وفي كتاب المغازي، باب قصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسي ٨/ ١٠١، برقم ٤٣٩٢، وفي كتاب الدعوات، باب الدعاء على المشركين ١١/ ١٩٦، برقم ٦٣٩٧، ومسلم، في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل غفار وأسلم وجهينة وأشجع وتميم ودوس وطي ٤/ ١٩٥٧، برقم ٢٥٢٤، وأخرجه أحمد واللفظ له ٢/ ٢٤٣، ٤٤٨، وانظر: البداية والنهاية ٦/ ٣٣٧، ٣/ ٩٩، وسيرة ابن هشام ١/ ٤٠٧.

فأسلم على يديه خلقٌ كثير، ثم قدم على النبي ﷺ وهو بخيبر، فدخل المدينة بثمانين أو تسعين بيتاً من دوس، ثم لحقوا بالنبي ﷺ بخيبر، فأسهم لهم مع المسلمين[١].

الله أكبر! ما أعظمها من حكمةٍ أسلم بسببها ثمانون أو تسعون أسرة.

وهذا مما يوجب على الدعاة إلى الله – عز وجل – العناية بالحلم في دعوتهم، ولا يحصل لهم ذلك إلا بفضل الله ثم بمعرفة هدي النبي ﷺ في دعوته.

المثال الرابع: مع من أراد قتله ﷺ

روى البخاري ومسلم، عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة قِبَلَ نجدٍ[٢]، فأدركنا رسول الله ﷺ في وادٍ كثير العضاه، فنزل

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١/ ٣٤٦، وزاد المعاد ٣/ ٦٢٦، والإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٢٢٥.

(٢) وقع في رواية البخاري التصريح باسمها "ذات الرقاع"، انظر: البخاري مع الفتح ٧/ ٤٢٦، برقم ٤١٣٦ .

رسول الله ﷺ تحت شجرةٍ، فَعلَّق سيفه بغصنٍ من أغصانها، قال: وتفرَّق الناس في الوادي يستظلون بالشجر، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**إن رجلاً أتاني وأنا نائم، فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي، فلم أشعر إلا والسيف صلتاً**[1] **في يده، فقال لي، من يمنعك مني؟ قال: قلت: الله، ثم قال في الثانية: من يمنعك مني؟ قال: قلت: الله، قال: فشام**[2] **السيف، فهاهو ذا جالس**»، ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ[3].

الله أكبر! ما أعظم هذا الخلق! وما أكبر أثره في النفس!

---

(١) والسيف صلتاً: أي مسلولاً. انظر: شرح النووي ١٥/ ٤٥.

(٢) شام السيف: أي رده في غمده. انظر: المرجع السابق ١٥/ ٤٥.

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة ٦/ ٩٦، ٩٧، برقم ٢٩١٠، وكتاب المغازي، باب: غزوة ذات الرقاع ٧/ ٤٢٦، برقم ٤١٣٥، ومسلم، واللفظ له، كتاب الفضائل، باب: توكله على الله – تعالى –، وعصمة الله – تعالى – له من الناس ٤/ ١٧٨٦، ١/ ٥٧٦، برقم ٨٤٣، وأحمد ٣/ ٣١١، ٣٦٤.
وانظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها للميداني فقد ذكر رواية مطولة عزاها لأبي بكر الإسماعيلي في صحيحه ٢/ ٣٣٥.

أعرابي يريد قتل النبي ﷺ ثم يعصمه الله منه، ويمكِّنه من القدرة على قتله، ثم يعفو عنه! إن هذا لخلقٌ عظيم وصدق الله العظيم إذ يقول للنبي ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1]، وهذا الخلق الحكيم قد أثر في حياة الرجل، وأسلم بعد ذلك، فاهتدى به خلق كثير[2].

المثال الخامس: مع زيد الحبر

كان النبي ﷺ يعفو عند القدرة، ويحلم عند الغضب، ويحسن إلى المسيء، وقد كانت هذه الأخلاق العالية من أعظم الأسباب في إجابة دعوته والإيمان به، واجتماع القلوب عليه، ومن ذلك ما فعله مع زيد بن سعنة، أحد أحبار اليهود وعلمائهم الكبار[3].

---

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

(٢) انظر: فتح الباري ٧/ ٤٢٨، وشرح النووي على مسلم ١٥/ ٤٤، وذكر ابن حجر والنووي في هذا الموضع أن اسم الأعرابي: غورث بن الحارث.

(٣) انظر: هذا الحبيب يا محب ص٥٢٨، وهداية المرشدين ص٣٨٤.

جاء زيد بن سعنة إلى رسول الله ﷺ يطلبه ديناً عليه، فأخذ بمجامع قميصه وردائه وجذبه، وأغلظ له القول، ونظر إلى النبي ﷺ بوجهٍ غليظٍ وقال: يا محمد، ألا تقضيني حقي، إنكم يا بني عبد المطلب قوم مُطْلٌ، وشدّد له في القول، فنظر إليه عمر وعيناه تدوران في رأسه كالفلك المستدير، ثم قال: يا عدو الله، أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع، وتفعل ما أرى، فوالذي بعثه بالحق لولا ما أُحاذر لومه لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتُؤَدَةٍ وتَبَسُّمٍ، ثم قال: «**أنا وهو يا عمر كنا أحوج إلى غيره هذا منك يا عمر، أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التقاضي، اذهب به يا عمر فاقضه حقه، وزده عشرين صاعاً من تمرٍ**»، فكان هذا سبباً لإسلامه، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وكان زيد قبل هذه القصة يقول: (لم يبق شيء من

علامات النبوة إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً)[١].

فاختبره بهذه الحادثة فوجده كما وُصِفَ، فأسلم وآمن وصدق، وشهد مع النبي ﷺ مشاهده، واستشهد في غزوة تبوك مقبلاً غير مدبر[٢].

فقد أقام محمد ﷺ براهين عديدة من أخلاقه على صدقه، وأن ما يدعو إليه حق.

المثال السادس: مع زعيم المنافقين

قدم النبي ﷺ المدينة، وقد أجمع الأوس والخزرج على

---

(١) ذكر ابن حجر في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة هذه القصة وعزاها إلى الطبراني، والحاكم، وأبي الشيخ في كتابه أخلاق النبي ﷺ، وابن سعد، وغيرهم، ثم قال ابن حجر: ورجال إسناده موثّقون... ومحمد بن أبي السري وثّقه ابن معين... والوليد قد صرح بالتحديث ١/ ٥٦٦.

وذكره ابن كثير في البداية والنهاية، وعزاه إلى أبي نعيم في الدلائل. البداية والنهاية ٢/ ٣١٠، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٤٠: رواه الطبراني، ورجاله ثقات.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٥٦٦.

تمليك عبد الله بن أُبيّ، ولم يختلف عليه في شرفه اثنان، ولم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين، وكانوا قد نظموا له الخرز، ليُتَوِّجوه ثم يملِّكوه عليهم، فجاءهم الله – تعالى – برسول الله ﷺ وهم على ذلك، فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام امتلأ قلبه حقداً وعداوةً وبغضاً، ورأى أن رسول الله ﷺ قد استلبه ملكه، فلما رأى قومه أبوا إلا الإسلام، دخل فيه كارهاً مصراً على النفاق والحقد والعداوة[1]، ولم يأل جهداً في الصّدّ عن الإسلام، وتفريق جماعة المسلمين، والذّبّ عن اليهود ومساعدتهم.

وقد ظهرت مواقفه الخبيثة في معاداته لدعوة الإسلام، ولكن عن طريق التستر والنفاق، وقد كان النبي ﷺ يقابل عداوته بالعفو والصفح والحلم؛ لأنه يُظهر الإسلام؛ ولأن له أعواناً من المنافقين، هو رئيسهم وهم

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٦، والبداية والنهاية ٤/ ١٥٧.

تَبَعٌ لـه، فكـان ﷺ يحسن إليـه بالمقـال والفعـل، ويقابـل إسـاءته بـالعفو والإحـسان في عـدة مواقـف، منهـا عـلى سبيل المثال ما يأتي:

١- شفاعته لليهود -بنو قينقاع- عندما نقضوا العهد:

نقض بنو قينقاع العهد بعد بدر بكشف عورة امرأة من المسلمين في السوق، وبقتل رجل نصرها من المسلمين[1]، فـسار إلـيهم رسـول الله ﷺ يـوم الـسبت للنـصف مـن شوال، على رأس عشرين شهراً من الهجرة، وحـاصرهم خمسة عشر يوماً، وتحصَّنوا في حصونهم، فحاصرهم أشد الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فنزلوا على حكـم رسول الله ﷺ فأمر بهم فَكُتِّفُـوا، وكـانوا سبعمائة مقاتـل، فقام إلى النبـي ﷺ عبـد الله بـن أُبيّ حـين أمكنـه الله مـنهم، فقال: يا محمد، أحسن في مـواليّ، فأبطـأ عليـه رسـول الله

---

(١) انظـر: سـيرة ابـن هـشام ٢/ ٤٢٧، والبدايـة والنهايـة ٤/ ٤، والرحيـق المختـوم ص٢٢٨، وهذا الحبيب ص٢٤٦.

ﷺ، فقال: يا محمد، أحسن في موالي، فأعرض عنه، فأدخل يديه في جيب درع النبي ﷺ ، وقال: والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربع مائة حاسر، وثلاث مائة دارع[١]، قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر، فوهبهم النبي ﷺ له[٢]، وأمرهم أن يخرجوا من المدينة ولا يجاوروه بها، فخرجوا إلى أذرعات من أرض الشام، وقبض منهم أموالهم، وخمس غنائمهم صلوات الله وسلامه عليه[٣].

فلم يعاقبه رسول الله ﷺ ، على هذه الشفاعة وعلى شدته القبيحة، بل عفى عنه ﷺ .

---

(١) الحاسر: هو الذي لا درع له، والدارع: هو لابس الدرع. انظر: المعجم الوسيط، مادة "حسر" ١/ ١٧٢، ومادة "درع" ١/ ٢٨٠.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٤٢٨، والبداية والنهاية لابن كثير ٤/ ٤.

(٣) انظر: زاد المعاد ٣/ ١٢٦، ١٩٠.

٢ - ما فعله مع النبي ﷺ يوم أُحُد:

خرج النبي ﷺ إلى معركة أحد، فلما صار بين أحد والمدينة انخزل عبد الله بن أُبيّ بنحو ثلث العسكر، ورجع بهم إلى المدينة فتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام، والد جابر - رضي الله عنهما - فوبّخهم، وحضّهم على الرجوع، وقال: تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا، قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لم نرجع، فرجع عنهم وسبهم[1].

فلم يعاقبه رسول الله ﷺ على هذا الجرم العظيم، وتخذيل المسلمين.

٣ - صدُّه الرسولَ ﷺ عن الدعوة إلى الله تعالى:

ركب النبي ﷺ إلى سعد بن عبادة، فمر بعدو الله عبد

---

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ٣/ ١٩٤، وسيرة ابن هشام ٣/ ٨، ٣/ ٥٧، والبداية والنهاية ٤/ ٥١.

الله بن أُبيّ وحوله رجال من قومه، فنزل ﷺ فسلم ثم جلس قليلاً، فتلا القرآن، ودعا إلى الله - عز وجل -، وذكَّر بالله، وحذَّر وبشَّر وأنذر، وعندما فرغ النبي ﷺ من مقالته، قال له عبد الله بن أُبيّ: يا هذا، إنه لا أحسن من حديثك هذا، إن كان حقًّا فاجلس في بيتك فمن جاءك فحدِّثْهُ إيَّاه، ومن لم يأتك فلا تغته[1]، ولا تأته في مجلسه بما يكره منه[2]، فلم يؤاخذه النبي ﷺ، وعفا عنه وصفح.

٤ - تثبيته بني النضير:

عندما نقض يهود بني النضير العهد بِهَمِّهِم بقتل النبي ﷺ، بعث إليهم محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جواره وبلده، فبعث إليهم أهل النفاق - وعلى رأسهم عبد الله بن أُبيّ - أن اثبتوا وتمنّعوا فإنا لن نسلمكم، إن

---

(١) أي: لا تكثر عليه به وتتردد به عليه، أو لا تعذبه به. انظر: القاموس المحيط، باب التاء، فصل الغين ص ٢٠٠، والمعجم الوسيط مادة "غتَّ" ٢/ ٦٤٤.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٨، ٢١٩.

قُوتلتم قاتلنا معكم، وإن أُخرجتم خرجنا معكم، فقويت عزيمة اليهود، ونابذوا رسول الله ﷺ بنقض العهد، فخرج إليهم حتى نزل بهم وحاصرهم، فقذف الله في قلوبهم الرعب، وأجلاهم النبي ﷺ وخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام[1].

وترك النبي ﷺ عبد الله بن أُبيّ فلم يُعاقبه على ذلك الفعل القبيح!

٥ - كيدُهُ وغدره للنبي ﷺ ومن معه من المسلمين في غزوة المريسيع:

في هذه الغزوة قام عبد الله بن أُبيّ بعدة مواقف مخزية توجب قتله وعقابه، ومنها:

أ- دَبَّر المنافقون في هذه الغزوة قصة الإفك، وتولى كبره عبد الله بن أُبيّ بن سلول[2].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٣/ ١٩٢، والبداية والنهاية ٤/ ٧٥، وزاد المعاد ٣/ ١٢٧.

(٢) انظر قصة الإفك في البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب حديث الإفك ٧/ ٤٣١، برقم ٤١٤١، وكتاب التفسير، سورة النور، باب: =

ب- وفي هذه الغزوة قال عبد الله بن أُبيّ: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾(١).

ج- وفي هذه الغزوة قال عدو الله: ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾(٢).

= ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ ٨/ ٤٥٢، برقم ٤٧٥٠، ومسلم، كتاب التوبة، باب حديث الإفك ٤/ ٢١٢٩، برقم ٢٧٧٠، وزاد المعاد ٣/ ٢٥٦-٢٦٨.

(١) سورة المنافقون، الآية: ٨.

وانظر: البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة المنافقون، باب ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ ٨/ ٦٤٨، ٦٥٢، برقم ٤٩٠٥، وفي كتاب المناقب، باب ما ينهى عنه من دعوى الجاهلية ٦/ ٥٤٦، برقم ٣٥١٨، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ٤/ ١٩٩٨، برقم ٢٥٨٤، وانظر: سيرة ابن هشام ٣/ ٣٣٤.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٧.

والحديث في البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة المنافقون، باب قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ ٨/ ٦٤٨، برقم ٤٩٠٤،=

وقد ظهرت الحكمة المحمدية، وتجلت السياسة الرشيدة في إخماد النبي ﷺ نار الفتنة، وقطع دابر الشر - بفضل الله ثم بصبره - على عبد الله بن أُبيّ، وتَحمّله له، والإحسان إليه، ومقابلة هذه المواقف المخزية من هذا الزعيم المنافق بالعفو؛ لأنه هذا الرجل له أعوان، ويخشى من شرهم على الدعوة الإسلامية؛ ولأنه يظهر إسلامه، ولهذا قال النبي ﷺ لعمر بن الخطاب - حينما قال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق -: **«دعه حتى لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»**(١).

فلو قتله رسول الله ﷺ لكان ذلك منفِّراً للناس عن الدخول في الإسلام؛ لأنهم يرون أن عبد الله بن أُبيّ

= ومسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ٤/ ٢١٤٠، برقم ٢٧٧٢.

(١) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة المنافقون، باب ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ ﴾ ٨/ ٦٤٨، ٨/ ٦٥٢، ٦/ ٥٤٦، برقم ٤٩٠٥، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ٤/ ١٩٩٨، برقم ٦٣ - (٢٥٨٤).

مسلم، ومن ثم سيقول الناس: إن محمداً يقتل المسلمين، فعند ذلك تظهر المفاسد، وتتعطل المصالح.

فظهرت حكمة النبي ﷺ وصبره على بعض المفاسد خوفاً من أن تترتب على ذلك مفسدة أعظم؛ ولتقوى شوكة الإسلام، وقد أُمر بالحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر.

وقد ظهرت الحكمة لعمر بعد ذلك في عدم قتل عبد الله بن أُبيّ فقال: (قد والله علمت، لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري)[1].

وهكذا ينبغي للدعاة إلى الله أن يسلكوا طريق الحكمة في دعوتهم اقتداء بنبيهم ﷺ.

المثال السابع: مع ثمامة بن أثال

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنه قال:

---

(١) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٤/ ١٨٥، وانظر: شرح النووي على مسلم ١٦/ ١٣٩، وهذا الحبيب يا محبّ ص٣٣٦.

بعث رسول الله ﷺ خيلاً قِبَلَ نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة، يقال له ثمامة بن أُثال، سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال: «**ماذا عندك يا ثمامة؟**» فقال: عندي يا محمد خير، إن تقتل تقتل ذا دم[1]، وإن تُنعم تُنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان بعد الغد، فقال: «**ما عندك يا ثمامة؟**» فقال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان من الغد، فقال: «**ماذا عندك يا ثمامة؟**» فقال: عندي ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) معناه: أن تقتل تقتل صاحب دم يدرك قاتله به ثأره لرئاسته وفضيلته، وقيل: معناه تقتل من عليه دم مطلوب به، وهو مستحق عليه فلا عتب عليك في قتله. انظر: فتح الباري ٨/ ٨٨.

«أطلقوا ثمامة»، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، يا محمد! والله ما كان على الأرض وجهٌ أبغض إليَّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أُحبَّ الوجوه كلها إليَّ، والله ما كان من دين أبغض إليَّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كله إليَّ، والله ما كان من بلد أبغض إليَّ من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليَّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ، وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوت؟ فقال: [لا والله]، ولكني أسلمت مع رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ)(١).

(ثم خرج - رضي الله عنه - إلى اليمامة فمنعهم أن يحملوا إلى

(١) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال ٨/ ٨٧، برقم ٤٣٧٢، ومسلم - واللفظ له إلا ما بين المعكوفين فمن البخاري - في كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المنّ عليه ٣/ ١٣٨٦، برقم ١٧٦٤.

مكة شيئاً، فكتبوا إلى رسول الله ﷺ: إنك تأمر بصلة الرحم، وإنك قد قطعت أرحامنا، وقد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع، فكتب رسول الله ﷺ إلى ثمامة أن يخلي بينهم وبين الحمل)[١].

وذكر ابن حجر أن ابن منده روى بإسناده عن ابن عباس قصة إسلام ثمامة ورجوعه إلى اليمامة، ومنعه قريش عن الميرة، ونزول قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾[٢] [٣].

وقد ثبت ثمامة على إسلامه لما ارتد أهل اليمامة، وارتحل هو ومن أطاعه من قومه فلحقوا بالعلاء بن الحضرمي فقاتل معه المرتدين من أهل البحرين[٤].

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ٣١٧ بتصرف يسير، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨/ ٨٨.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٧٦.

(٣) وقال ابن حجر عن هذا الأثر: إسناده حسن. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٢٠٣.

(٤) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٢٠٣.

الله أكبر، ما أحلم النبي محمداً ﷺ، وما أعظمه من موقف، فقد كان ﷺ يتألّف القلوب، ويلاطف من يُرجى إسلامه من الأشراف الذين يتبعهم على إسلامهم خلق كثير.

وهكذا ينبغي للدعاة إلى الله - عز وجل - أن يعظموا أمر الحلم والعفو عن المسيء؛ لأن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب حبًّا في ساعة واحدة؛ لما أسداه النبي ﷺ إليه من الحلم والعفو والمنّ بغير مقابل، وقد ظهر لهذا العفو الأثر الكبير في حياة ثمامة، وفي ثباته على الإسلام ودعوته إليه[1]؛ ولهذا قال:

أَهِمُّ بترك القول ثم يردني ... إلى القول إنعام النبي محمد

شكرتُ له فكي من الغل بعدما ... رأيت خيالاً من حسام مهند[2]

(١) انظر: شرح النووي على مسلم ١٢/ ٨٩، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨/ ٨٨.

(٢) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٢٠٣.

المثال الثامن: مع من جبذه بردائه ﷺ

عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذةً شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثّرت به حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد، مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك، ثم أمر له بعطاء[1].

وهذا من روائع حلمه ﷺ وكماله، وحسن خلقه، وصفحه الجميل، وصبره على الأذى في النفس، والمال، والتجاوز على جفاء من يريد تألُّفه على الإسلام؛ وليتأسى به الدعاة إلى الله، والولاة بعده في حلمه، وخلقه الجميل من الصفح، والإغضاء، والعفو، والدفع

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه ٦/ ٢٥١، برقم ٣١٤٩، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة ٢/ ٧٣٠، برقم ١٠٥٧.

بالتي هي أحسن[١].

المثال التاسع: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون

ومن عظيم حلمه عدم دعائه على من آذاه من قومه، وقد كان باستطاعته أن يدعو عليهم، فيهلكهم الله، ويدمرهم، ولكنه ﷺ حليم حكيم يهدف إلى الغاية العظمى، وهي رجاء إسلامهم، أو إسلام ذرياتهم؛ ولهذا قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيًّا من الأنبياء، **صلوات الله وسلامه عليهم**، ضربه قومه فأَدْمَوْهُ وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»[٢].

وقد مدح النبي ﷺ الحلم، وعظّم أمره، فقال لأشج عبد القيس: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم**

---

(١) انظر: فتح الباري ١٠/ ٥٠٦، وشرح النووي على مسلم ٧/ ١٤٦، ١٤٧.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا أبو اليمان ٦/ ٥١٤، برقم ٣٤٧٧، ومسلم، في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد ٣/ ١٤١٧، برقم ١٧٩٢.

والأناة»[١]، وفي رواية، قال الأشج: يا رسول الله، أنا تخلّقت بهما أَمِ الله جبلني عليهما؟ قال: «بل الله جبلك عليهما». قال الحمد لله الذي جبلني على خُلُقينِ يحبهما الله ورسوله[٢]. والنبي ﷺ يحب الحلم ويتصف به.

المثال العاشر: عفوه ﷺ عن اليهودي الذي سحره

لقد كان من عظيم عفوه ﷺ ما فعله مع اليهودي الذي سحره؛ فإنه لم يذكر لذلك اليهودي شيئاً، ولا رآه في وجهه حتى مات[٣].

---

(١) مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى، وروسله ﷺ، ١/ ٤٨، برقم ١٧/ ٢٥.

(٢) أبو داود، كتاب الأدب، باب في قبلة الجسد، ٤/ ٣٥٧، برقم ٥٢٢٥، وأحمد، ٤/ ٢٠٦، و٣/ ٢٣.

(٣) أحمد، ٤/ ٣٦٧، برقم ١٩٢٨٦ .

المبحث الثاني عشر: أناته وتثبُّته ﷺ

لا يكون الداعية ناجحاً في دعوته إلا إذا التزم الأناة في جميع أموره وتصرفاته، ومما يوضح ذلك الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ ، واتصافه بالأناة والتثبُّتِ، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

المثال الأول: مع أسامة بن زيد رضي الله عنه

عن أسامة بن زيد – رضي الله عنهما – قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة، قال: فصبَّحنا القوم فهزمناهم، قال: ولحقتُ أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، قال: فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، قال: فكف عنه الأنصاري، فطعنته برمحي حتى قتلته، قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبيَّ ﷺ قال: فقال لي: «**يا أسامة، أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟**» قال: قلت: يا رسول الله، إنما كان متعوذاً، قال: فقال: «**أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟**»،

قال، فما زال يُكرّرها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم[١].

وفي رواية: قال: قلت يا رسول الله: إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: «**أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا**»، فما زال يكررها حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ[٢].

وفي رواية: «**كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟**» قال: يا رسول الله: استغفر لي، قال: «**وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟**». قال فجعل لا يزيده على أن يقول: «**كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة**»[٣].

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة إلى الحرقات ٧/ ٥١٧، ١٢/ ١٩١، برقم ٤٢٦٩، ومسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله ١/ ٩٧، برقم ١٥٩ -(٩٦).

(٢) مسلم، في كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله ١/ ٩٦، برقم ٩٧.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله ١/ ٩٧، برقم ٩٧.

ولهذا كان النبي ﷺ أعظم الناس أناةً وتثبتاً، فكان لا يقاتل أحداً من الكفار إلا بعد التأكد بأنهم لا يقيمون شعائر الإسلام، فعن أنس بن مالك – رضي الله عنه –: (أن النبي ﷺ كان إذا غزا بِنا قوماً لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر، فإن سمع أذاناً كف عنهم، وإن لم يسمع أذاناً أغار عليهم...)[١].

المثال الثاني: قبل القتال

كان النبي ﷺ يُعلِّم ويُربِّي أصحابه على الأناة والتثبت في دعوتهم إلى الله – تعالى – ومن ذلك أنه كان يأمر أمير سَرِيّته أن يدعو عدوه قبل القتال إلى إحدى ثلاث خصال:

(أ) الإسلام والهجرة، أو إلى الإسلام دون الهجرة، ويكونون كأعراب المسلمين.

(ب) فإن أبوا الإسلام دعاهم إلى بذل الجزية.

---

(١) البخاري مع الفتح بلفظه مطولاً، في كتاب الأذان، باب ما يحقن بالأذان من الدماء ٢/ ٨٩، برقم ٦١٠، ومسلم، في الصلاة، باب الإمساك عن الإغارة على قوم في دار الكفر إذا سُمِعَ فيهم الأذان ١/ ٢٨٨، برقم ٣٨٢ .

(ج) فإن امتنعوا عن ذلك كله استعان بالله وقاتلهم»[١].

المثال الثالث: في الصلاة

ومن تربيته لأصحابه ﷺ على الأناة وعدم العجلة قوله: «**إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تَسْعون، وأتوها تمشون، وعليكم السكينة فما أدركْتُمْ فصلّوا، وما فاتكم فأتموا**»[٢].

وقوله: «**إذا أقيمت الصلاة فلا تقوموا حتى تروني قد خرجت**»[٣].

وَلِسُمُوِّ الأناة أَحبَّها الله عز وجل، قال ﷺ للأشج: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة**»[٤].

---

(١) أخرج الحديث مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها ٣/ ١٣٥٧، برقم ١٣٦٥، وانظر: زاد المعاد لابن القيم ٣/ ١٠٠.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الجمعة، باب المشي إلى الجمعة، وقوله: ﴿ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ﴾ ٢/ ٣٩٠، برقم ٩٠٨، ومسلم في المساجد، باب استحباب إتيان الصلاة بسكينة ووقار والنهي عن إتيانها سعياً ١/ ٤٢٠، برقم ٦٠٢ .

(٣) مسلم، في كتاب المساجد، باب متى يقوم الناس للصلاة ١/ ٤٢٢، برقم ٦٠٤ .

(٤) مسلم، في كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله – تعالى – ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه ١/ ٤٨، برقم ١٨ .

والرُّسُلُ عليهم الصلاة والسلام هم صفوة الخلق وقدوتهم، وهم أكمل الناس أناة وحلماً، وأعظمهم في ذلك وأوفرهم حظاً محمد ﷺ .

المثال الرابع: في الغزو

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يغير إذا طلع الفجر، وكان يستمع الأذان فإن سمع أذاناً أمسك وإلا أغار، فسمع رجلاً يقول: الله أكبر، الله أكبر فقال رسول الله ﷺ : «**على الفطرة**»، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ : «**خرجت من النار**»[1].

وعنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا غزا بنا قوماً لم يغزُ بنا حتى يصبح وينظر فإن سمع أذاناً كَفَّ عنهم وإن لم يسمع أذاناً أغار عليهم...»[2].

(١) أخرجه مسلم ١/ ٢٨٨، برقم ٣٨٢ .

(٢) البخاري مع الفتح ٢/ ٨٩، برقم ٦١٠ .

وهذا يدل على تثبُّته ﷺ وعدم عجلته.

وعن عبد الله بن سرجس المزني، أن النبي ﷺ قال: «**السَّمْتُ الحسن[١]، والتُّؤَدَةُ والاقتصاد[٢]، جزء من أربعةٍ وعشرين جزءاً من النبوة**»[٣].

وبهذا يعلم أن الأناة في كل شيء محمودة وخير إلا ما كان من أمر الآخرة، بشرط مراعاة الضوابط التي شرعها الله حتى تكون المسارعة مما يحبه الله تعالى[٤].

---

(١) السمت الحسن: هو حسن الهيئة والمنظر. انظر: فيض القدير للمناوي ٣/ ٢٧٧.

(٢) الاقتصاد: هو التوسط في الأمور والتحرز عن طرفي الإفراط والتفريط. انظر: المرجع السابق ٣/ ٢٧٧.

(٣) الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التأني والعجلة ٤/ ٣٦٦، برقم ٢٠١٠، وانظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ١٩٥.

(٤) انظر: شرح السنة للبغوي ١٣/ ١٧٧، وتحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي ٦/ ١٥٣.

المبحث الثالث عشر: رفقه ولينه ﷺ

أولاً: ترغيبه ﷺ في الرفق

عن عائشة – رضي الله عنها – أن النبي ﷺ قال لها: «**إنه من أُعطي حظه من الرفق فقد أُعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم، وحسن الخلق، وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار**»(١).

فقط عظّم النبي ﷺ شأن الرفق في الأمور كلها، وبيّن ذلك بفعله وقوله بياناً شافياً كافياً؛ لكي تعمل أمّتهُ بالرفق في أمورها كلها، وخاصة الدعاة إلى الله – عز وجل –؛ فإنهم أولى الناس بالرفق في دعوتهم، وفي جميع تصرفاتهم، وأحوالهم. وهذا الحديث السابق وغيره من الأحاديث التي ستأتي تُبيّن فضل الرفق، والحث على التخلق به، وبغيره من الأخلاق الحسنة، وذم العنف وذم من تخلق به.

---

(١) أخرجه أحمد ٦/ ١٥٩، وإسناده صحيح؛ انظر الأحاديث الصحيحة للألباني برقم ٥١٩.

فالرفق سبب لكل خير؛ لأنه يحصل به من الأغراض ويسهل من المطالب، ومن الثواب ما لا يحصل بغيره، وما لا يأتي من ضده[١].

وقد حذر النبي ﷺ من العنف، وعن التشديد على أمته ﷺ ، فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: «**اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشقّ عليهم، فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به**»[٢]، وكان ﷺ إذا أرسل أحداً من أصحابه في بعض أموره أمرهم بالتيسير ونهاهم عن التنفير، فعن أبي موسى – رضي الله عنه – قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أموره قال:

---

(١) انظر: شرح النووي على مسلم ١٦/ ١٤٥، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٠/ ٤٤٩، وتحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي ٦/ ١٥٤.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم ٣/ ١٤٥٨، برقم ١٨٢٨.

«بشِّرُوا ولا تُنفِّرُوا، ويسِّرُوا ولا تُعسِّرُوا»[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله -عز وجل- بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق»[٢].

وقال ﷺ لأبي موسى الأشعري ومعاذ – رضي الله عنهما – حينما بعثهما إلى اليمن: «يسِّرا ولا تعسِّرا، وبشِّرا ولا تنفِّرا، وتطاوَعَا ولا تختلِفَا»[٣].

وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «يسِّرُوا ولا تعسِّرُوا، وبشِّرُوا ولا تنفِّرُوا»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب الأمر بالتيسير وترك التنفير ٣/ ١٣٥٨، برقم ١٧٣٢ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٧١، قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: حديث صحيح من رواية عائشة رضي الله عنها ٣/ ٢١٩ برقم ١٢١٩ .

(٣) البخاري مع الفتح في كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ٨/ ٦٢، برقم ٤٣٤٤، و٤٣٤٥، ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب الأمر بالتيسير وترك التنفير ٣/ ١٣٥٩، واللفظ له، برقم ١٧٣٣ .

(٤) البخاري مع الفتح في كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ١/ ١٦٣، برقم ٦٩، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب الأمر بالتيسير وترك التنفير ٣/ ١٣٥٩، برقم ١٧٣٢ .

في هذه الأحاديث الأمر بالتيسير والنهي عن التنفير، وقد جمع النبي ﷺ في هذه الألفاظ بين الشيء وضده؛ لأن الإنسان قد يفعل التيسير في وقت والتعسير في وقت، ويُبشّر في وقت ويُنفّر في وقت آخر فلو اقتصر على يسروا لصدق ذلك على من يسَّر مرة أو مرات، وعسَّر في معظم الحالات، فإذا قال ولا تُعسِّرُوا انتفى التعسير في جميع الأحوال من جميع وجوهه وهذا هو المطلوب. وكذا يقال في يسّرا ولا تُعسرا، وبشّرا ولا تُنفّرا، وتطاوعا ولا تختلفا؛ لأنهما قد يتطاوعان في وقت ويختلفان في وقت وقد يتطاوعان في شيء ويختلفان في شيء، والنبي ﷺ قد حث في هذه الأحاديث وفي غيرها على التبشير بفضل الله وعظيم ثوابه، وجزيل عطائه، وسعة رحمته، ونهى عن التنفير بذكر التخويف وأنواع الوعيد محضة من غير ضمها إلى التبشير، وهذا فيه تأليف لمن قَرُبَ إسلامه وتَرْكُ التّشديد عليه، وكذلك من قَارَبَ البلوغ من

الصبيان، ومن بلغ، ومن تاب من المعاصي كلهم ينبغي أن يتدرج معهم ويُتلطّف بهم في أنواع الطاعات قليلاً قليلاً، وقد كانت أمور الإسلام في التّكليف على التّدريج فمتى يُسِّرَ على الداخل في الطاعة، أو المُريد للدخول فيها سَهُلَتْ عليه وكانت عاقبته غالباً الازدياد منها، ومتى عُسِّرت عليه أوْشَكَ أن لا يدخل فيها، وإن دخل أوشك أن لا يدوم ولا يستحليها[1]. وهكذا تعليم العلم ينبغي أن يكون بالتدريج؛ ولهذا كان النبي ﷺ يتخوّل أصحابه بالموعظة في الأيام كراهة السَّآمة عليهم[2].

فصلوات الله وسلامه عليه فقد دل أمته على كل خير وحذرهم من كل شر، ودعا على من شق على أمته، ودعا لمن رفق بهم كما تقدم في حديث عائشة وهذا من أبلغ الزواجر عن المشقة على الناس، وأعظم الحث على الرفق بهم[3].

---

(١) انظر: شرح النووي على مسلم ١٢/ ٤١، وفتح الباري ١/ ١٦٣.

(٢) انظر: فتح الباري ١/ ١٦٢، ١٦٣.

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم ١٢/ ٢١٣.

ثانياً: رفقه ﷺ

كان ﷺ رفيقاً يحب الرِّفق ويعمل به، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

المثال الأول: مع شاب استأذن في الزنا

عن أبي أمامة – رضي الله عنه – قال: إن فتىً شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا له: مه مه! فقال له: «**ادنه**»، فدنا منه قريباً، قال: «**أتحبه لأمك؟**» قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**». قال: «**أفتحبه لابنتك؟**» قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك. قال: «**ولا الناس يحبونه لبناتهم**». قال: «**أفتحبه لأختك؟**» قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**». قال: «**أفتحبه لعمتك؟**» قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: «**ولا الناس يحبونه

لعماتهم». قال: «أفتحبه لخالتك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم». قال: فوضع يده عليه، وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصّن فرجه»، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[1].

وهذا الموقف العظيم مما يؤكد على الدعاة إلى الله - عز وجل - أن يعتنوا بالرفق والإحسان إلى الناس، ولاسيما من يُرغَبُ في استئلافهم ليدخلوا في الإسلام، أو ليزيد إيمانهم ويثبتوا على إسلامهم.

وكما يبين لنا الرسول ﷺ الرّفق بفعله بينه لنا بقوله وأمرنا بالرفق في الأمر كله.

المثال الثاني: مع اليهود

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: دخل رهط من

---

(١) أخرجه أحمد في المسند من حديث أبي أمامة ﷺ ٥/ ٢٥٦، ٢٥٧، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وعزاه إلى الطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح ١/ ١٢٩، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، برقم ٣٧٠ ج١.

اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السّامُ عليكم. قالت عائشة: ففهمتها فقلت: وعليكم السّامُ واللعنة. قالت: فقال رسول الله ﷺ : «**مهلاً يا عائشة إن الله يُحبّ الرفق في الأمر كله**»، فقلت: يا رسول الله أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ : «**قد قلت وعليكم**»(١).

وقال ﷺ : «**يا عائشة إن الله رفيق يُحب الرفق، ويُعطي على الرفق ما لا يُعطي على العُنْف، وما لا يُعطي على ما سواه**»(٢).

وقال ﷺ : «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنْزع من شيء إلا شانه**»(٣).

وبين ﷺ أن من حُرِمَ الرفق فقد حُرِمَ الخير، قال ﷺ :

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله ١٠/ ٤٤٩، برقم ٦٠٢٤ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، عن عائشة رضي الله عنها ٤/ ٢٠٠٤، برقم ٢٥٩٣ .

(٣) المرجع السابق، في الكتاب والباب المشار إليهما سابقاً ٤/ ٢٠٠٤، عن عائشة رضي الله عنها أيضاً، برقم ٢٥٩٤ .

«من يُحرم الرفق يُحرم الخير»[١].

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «من أُعطيَ حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير، ومن حُرِمَ حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير»[٢]، وعنه - رضي الله عنه - يبلغ به قال: «من أُعطي حظّه من الرفق أُعطي حظّه من الخير، وليس شيء أثقل في الميزان من الخُلُق الحسن»[٣].

المثال الثالث: مع من بال في المسجد

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد،

---

(١) المرجع السابق، في الكتاب والباب المشار إليهما سابقاً عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه ٤/ ٢٠٠٣، برقم ٢٥٩٢ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الرفق ٤/ ٣٦٧، برقم ٢٠١٣، وقال حديث حسن صحيح، وانظر: صحيح الترمذي ٢/ ١٩٥ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٤٥١، انظر: الأحاديث الصحيحة للألباني رقم ٨٧٦، فقد ذكر له شواهد كثيرة.

فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مَه مَهْ[١]، قال: قال رسول الله ﷺ : «لا تزرموه[٢]، دعوه»، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال لـه: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، إنما هي لذكر الله، والصلاة وقراءة القرآن**»، أو كما قال رسول الله ﷺ .

قال: فأمر رجلاً من القوم فجاء بِدَلْوٍ من ماءٍ فشنّه[٣] عليه[٤].

وقد ثبت في البخاري وغيره أن هذا الرجل هو الذي

---

(١) مه: كلمة زجر، وهو اسم مبني على السكون، معناه: اسكت. وقيل: أصلها: ما هذا؟ انظر: شرح النووي ٣/ ١٩٣.

(٢) لا تزرموه: أي لا تقطعوا عليه بوله. والإزرام: القطع. انظر: المرجع السابق ٣/ ١٩٠.

(٣) شنه: أي صبه عليه. انظر :المرجع السابق ٣/ ١٩٣.

(٤) أخرجه مسلم بلفظه في كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد وأن الأرض تطهر بالماء من غير حاجة إلى حفرها ١/ ٢٣٦، برقم ٢٨٥، والبخاري مع الفتح، بمعناه مختصراً في كتاب الوضوء، باب ترك النبي ﷺ والناس الأعرابي حتى فرغ من بوله في المسجد ١/ ٣٢٢، برقم ٢١٩، وروايات بول الأعرابي في البخاري مع الفتح في عدة مواضع ١/ ٢٢٣، ١٠/ ٤٤٩، ١٠/ ٥٢٥.

قال: (اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً)، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قام رسول الله ﷺ وقمنا معه، فقال أعرابي وهو في الصلاة: اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً، فلما سلم النبي ﷺ قال للأعرابي: «**لقد حجرت واسعاً**» يريد رحمة الله[1].

وتُفسِّر هذه الرواية الروايات الأخرى عند غير البخاري، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: دخل رجل أعرابي المسجد فصلى ركعتين ثم قال: اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً! فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال: «**لقد تحجّرت واسعاً**»، ثم لم يلبث أن بال في المسجد، فأسرع الناس إليه فقال لهم رسول الله ﷺ: «**إنما بُعثتم مُيسِّرين، ولم تُبعثوا مُعسِّرين، أهريقوا عليه دلواً من ماء، أو سجلاً من ماء**»[2].

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم ١٠/ ٤٣٨، برقم ٦٠١٠.

(٢) أخرجه الترمذي بنحوه في كتاب الطهارة، باب ما جاء في البول يصيب الأرض ١/ ٢٧٥، برقم ١٤٧، وأخرجه أحمد في المسند بترتيب أحمد شاكر واللفظ =

قال: يقول الأعرابي بعد أن فقه، (فقام النبي ﷺ إليّ بأبي وأمي فلم يسبّ، ولم يؤنّب، ولم يضرب)[1].

النبي ﷺ أحكم خلق الله، فمواقفه وتصرفاته كلها مواقف حكمة مشرفة، ومن وقف على أخلاقه ورفقه وعفوه وحلمه، ازداد يقينه وإيمانه بذلك.

وهذا الأعرابي قد عمل أعمالاً تثير الغضب، وتسبب عقوبته وتأديبه من الحاضرين؛ ولذلك قام الصحابة إليه، واستنكروا أمره، وزجروه، فنهاهم النبي ﷺ أن يقطعوا عليه بوله.

وهذا في غاية الرفق والحلم والرحمة، ويجمع ذلك كله الحكمة، فقد أنكر النبي ﷺ بالحكمة على هذا الأعرابي

= لأحمد ١٢/ ٢٤٤، برقم ٧٢٥٤، وأخرجه أحمد أيضاً مطولاً ٢٠/ ١٣٤ برقم ١٠٥٤٠، وأبو داود مع العون ٢/ ٣٩.

(١) أخرجه أحمد في المسند بترتيب أحمد شاكر وهو تكملة للحديث السابق من رواية أبي هريرة رضي الله عنه ٢٠/ ١٣٤، برقم ١٠٥٤٠، وابن ماجه ١/ ١٧٥، برقم ٥٢٩، ٥٣٠.

عمله، فقال لـه حينما قال: (اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً): «**لقد تحجرت واسعاً**»، يريد ﷺ رحمة الله، فإن رحمة الله قد وسعت كل شيء، قال عز وجل: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[١]، فقد بخل هذا الأعرابي برحمة الله على خلقه.

وقد أثنى الله عز وجل على من فعل خلاف ذلك حيث قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾[٢].

وهذا الأعرابي قد دعا بخلاف ذلك فأنكر عليه النبي ﷺ بالرِّفق واللين والرحمة[٣].

وحينما بال في المسجد أمر النبي ﷺ بتركه؛ لأنه قد شرع في المفسدة، فلو منع ذلك لزادت المفسدة، وقد حصل تلويث

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

(٢) سورة الحشر، الآية: ١٠.

(٣) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٠/ ٤٣٩.

جزء من المسجد، فلو منعه ﷺ بعد ذلك لدار بين أمرين:

١- إما أن يقطع عليه بوله فيتضرر الأعرابي بحبس البول بعد خروجه.

٢- وإما أن يقطعه فلا يأمن من تنجيس بدنه، أو ثوبه، أو مواضع أخرى من المسجد.

فأمَرَ النبي ﷺ بالكف عنه للمصلحة الراجحة، وهي دفع أعظم المفسدتين أو الضررين باحتمال أيسرهما، وتحصيل أعظم المصلحتين بترك أيسرهما(١).

وهذا من أعظم الحكم العالية، فقد راعى النبي ﷺ هذه المصالح، وما يقابلها من المفاسد، ورسم ﷺ لأمته والدعاة من بعده كيفية الرفق بالجاهل، وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف، ولا سبٍّ ولا إيذاء ولا تشديد، إذا لم يكن ذلك منه عناداً ولا استخفافاً، وقد كان لهذا

(١) انظر: فتح الباري، شرح صحيح البخاري ١/ ٣٢٥، وشرح النووي على مسلم ٣/ ١٩١.

الاستئلاف والرحمة والرفق الأثر الكبير في حياة هذا الأعرابي وغيره، فقد قال بعد أن فقه - كما تقدم - وفي رواية الإمام أحمد: فقام النبي ﷺ إليّ بأبي وأمي، فلم يسبّ، ولم يؤنّب، ولم يضرب[1].

فقد أثّر هذا الخلق العظيم في حياة الرجل[2].

المثال الرابع: مع معاوية بن الحكم

عن معاوية بن الحكم السلمي - رضي الله عنه - قال: بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله! فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه ما شأنكم تنظرون إليَّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتونني، لكني

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الطهارة، باب الأرض يصيبها البول كيف تغسل ١/ ١٧٥، برقم ٥٢٩، وتقدم تخريجه عند أحمد.

(٢) انظر: فتح الباري ١/ ٣٢٥، وشرح النووي ٣/ ١٩١، وعون المعبود شرح سنن أبي داود ٢/ ٣٩، وتحفة الأحوذي، شرح سنن الترمذي ١/ ٤٥٧.

سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني[١] ولا ضربني ولا شتمني، قال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**»، أو كما قال رسول الله ﷺ.

قلت: يا رسول الله! إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام، وإنَّ منَّا رجالاً يأتون الكهان، قال: «**فلا تأتهم**».

قال: ومنَّا رجال يتطيرون، قال: «**ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم**»[٢]، (قال ابن الصلاح: فلا يصدنكم)، قال: قلت: ومنا رجال يخُطُّون. قال: «**كان نبي من الأنبياء يخُطُّ، فما وافق خطه فذاك**»[٣].

---

(١) ما كهرني: أي ما قهرني ولا نهرني. انظر: شرح النووي ٥/ ٢٠.

(٢) قال العلماء: معناه أن الطيرة شيء تجدونه في نفوسكم ضرورة، ولا عتب عليكم في ذلك، ولكن لا تمتنعوا بسببه من التصرف في أموركم. انظر: المرجع السابق ٥/ ٢٢.

(٣) اختلف العلماء في معناه، والصحيح أن معناه: من وافق خطه فهو مباح له؛ =

قال: وكانت لي جارية ترعى غنماً لي قِبَلَ أُحُد والجوَّانية[1] فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم، آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة، فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك عليَّ، قلت: يا رسول الله! أفلا أعتقها، قال: «**ائتني بها**»، فأتيته بها، فقال لها: «**أين الله؟**» قالت: في السماء، قال: «**من أنا؟**» قالت: أنت رسول الله. قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**»[2].

وهذا الموقف من أعظم الحكم البارزة السامية التي

= ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة فلا يُباح، والمقصود أنه حرام؛ لأنه لا يُباح إلا بيقين الموافقة، وليس لنا يقين بها، وقيل: إنه نُسِخَ في شرعنا. فحصل من مجموع كلام العلماء فيه الاتفاق على النهي عنه الآن فهو محرم. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٥/ ٢٣.

(١) الجوانية: موضع في شمال المدينة بقرب جبل أحد. انظر: المرجع السابق ٥/ ٢٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته ١/ ٣٨١، برقم ٥٣٧، وانظر شرحه في شرح مسلم للنووي ٥/ ٢٠.

أوتيها النبي ﷺ ، وقد ظهر أثر ذلك في حياة ونفس معاوية - رضي الله عنه -؛ لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها، ولهذا قال معاوية رضي الله عنه : ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه.

المثال الخامس: مع من كانت يده تطيش

عن عمر بن أبي سلمة - رضي الله عنه - قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ : «**يا غلام! سمّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك**»، فمازالت تلك طعمتي بعد[1].

المثال السادس: مع من أصاب من امرأته قبل الكفارة

عن سلمة بن صخر الأنصاري - رضي الله عنه - قال في حديثه: (... خرجت فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته خبري فقال لي: «**أنت بذاك؟**» فقلت: أنا بذاك، فقال: «**أنت بذاك؟**»

---

(١) مسلم ٣/ ١٥٩٩ برقم ٢٠٢٢، والبخاري مع الفتح ٩/ ٥٢١ برقم ٥٣٧٦.

فقلت: أنا بذاك، فقال: «**أنت بذاك؟**» فقلت: نعم ها أنذا فامضِ فيَّ حكمك فإني صابر له. قال: «**أعتق رقبة**» قال: فضربت صفحة رقبتي بيدي وقلت: لا والذي بعثك بالحق ما أصبحت أملك غيرها. قال: «**فصم شهرين**» قال: قلت: يا رسول الله وهل أصابني ما أصابني إلا في الصيام، قال: «**فتصدق**» قال فقلت: والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه وحشاً ما لنا عشاء. قال: «**اذهب إلى صاحب صدقة بني زريق فقل له فليدفعها إليك، فأطعم عنك منها وسقاً ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك**» قال فرجعت إلى قومي فقلت: وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي ووجدت عند رسول الله ﷺ السعة والبركة وقد أمر لي بصدقتكم فادفعوها لي، قال: فدفعوها لي)[1].

---

(١) أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وانظر: صحيح الترمذي ١/ ٣٥٢، وإرواء الغليل ٧/ ١٧٩.

المثال السابع: مع من بكت عند القبر

عن أنس - رضي الله عنه - قال: مرَّ النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال: «اتقِ الله واصبري» قالت: إليك عنّي فإنك لم تُصَبْ بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي ﷺ. فأتت النبي ﷺ فلم تجد عنده بوّابين، فقالت: لم أعرفك. فقال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»(١)، وهذا فيه الدلالة على رفق النبي ﷺ بالجاهل، وترك المؤاخذة.

---

(١) البخاري مع الفتح ٣/ ١٤٨ برقم ١٢٨٣.

المبحث الرابع عشر: صبره الجميل ﷺ

للنبي محمد ﷺ مواقف في الدعوة إلى الله تدل على صبره، ورغبته فيما عند الله تعالى، ومن المعلوم أنه صبر في جميع أحواله ابتداءً بدعوته السرية حتى لَقِيَ ربه صابراً محتسباً، وأمثلة صبره في دعوته كثيرة جداً لا تحصر، ولكنني أقتصر على إيراد الأمثلة التطبيقية الآتية:

المثال الأول: صعوده على الصفا ونداؤه العام:

أمر الله نبيه بإنذار عشيرته الأقربين، فقال عز وجل: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[1].

فقام رسول الله ﷺ بتنفيذ أمر ربه بالجهر بالدعوة والصدع بها، وإنذار عشيرته، فوقف مواقف حكيمة

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٢١٤-٢١٦.

أظهر الله بها الدعوة الإسلامية، وبيّن بها حكمة النبي ﷺ وشجاعته، وصبره، وحسن خلقه، وإخلاصه لله رب العالمين، وقَمَعَ بها الشرك وأهله، وأذلهم إلى يوم الدين.

عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: «**يا بني فهر، يا بني عدي**» – لبطون قريش – حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب، وقريش، فقال: «**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟**» قالو: نعم، ما جربنا عليك إلا صِدْقاً. قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**». فقال أبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾[1].

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، باب وأنذر عشيرتك الأقربين ٨/ ٥٠١،=

وفي رواية لأبي هريرة – رضي الله عنه – أنه ﷺ ناداهم بطناً بطناً، ويقول لكل بطن: «أنقذوا أنفسكم من النار...»، ثم قال: **«يا فاطمة أنقذي نفسك من النار؛ فإني لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أن لكم رحماً سأبلها ببلاها»**[1].

وهذه الصحية العالمية غاية البلاغ، وغاية الإنذار، فقد أوضح ﷺ لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلة بينه وبينهم، وأوضح أن عصبية القرابة التي يقوم عليها العرب ذابت في حرارة هذا الإنذار، الذي جاء من عند الله تعالى، فقد دعا ﷺ قومه – في هذا الموقف العظيم – إلى الإسلام، ونهاهم عن عبادة الأوثان، ورغّبهم في الجنة، وحذّرهم من النار، وقد

= ٧٣٧، برقم ٤٧٧٠، و٦/ ٥٥١، ومسلم بنحوه في كتاب الإيمان، باب قوله: وأنذر عشيرتك الأقربين ١/ ١٩٤، برقم ٢٠٨ ، والآيتان من سورة المسد: ١، ٢.

(١) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة الشعراء، باب وأنذر عشيرتك الأقربين ٨/ ٥٠١، برقم ٤٧٧١، ٥/ ٣٨٢، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: وأنذر عشيرتك الأقربين ١/ ١٩٢، برقم ٢٠٦ .

ماجت مكة بالغرابة والاستنكار، واستعدت لحسم هذه الصرخة العظيمة التي ستزلزل عاداتها وتقاليدها وموروثاتها الجاهلية؛ ولكن الرسول الكريم ﷺ لم يضرب لصرخاتهم حساباً، لأنه مرسل من الله – عز وجل –، ولابد أن يبلغ البلاغ المبين عن رب العالمين، حتى ولو خالفه أو رد دعوته جميع العالمين، وقد فعل ﷺ(١).

استمر ﷺ يدعوا إلى الله – تعالى – ليلاً ونهاراً، وسِرًّا وجهاراً، لا يصرفه عن ذلك صارف، ولا يردُّه عن ذلك راد، ولا يصدُّه عن ذلك صادّ، استمر يتتبع الناس في أنديتهم ومجامعهم ومحافلهم، وفي المواسم ومواقف الحج، يدعو من لقيه من: حر وعبد، وقوي وضعيف، وغني وفقير، جميع الخلق عنده في ذلك سواء.

وقد تسلَّط عليه وعلى من اتبعه الأشداء الأقوياء من

---

(١) انظر: الرحيق المختوم ص٧٨، وفقه السيرة لمحمد الغزالي ص١٠١، ١٠٢، والسيرة النبوية، دروس وعبر لمصطفى السباعي ص٤٧.

مشركي قريش بالأذية القولية والفعلية، وانفجرت مكة بمشاعر الغضب؛ لأنها لا تريد أن تفارق عبادة الأصنام والأوثان[1]، ومع ذلك لم يفتر محمد ﷺ في دعوته، ولم يترك العناية والتربية الخاصة لأولئك الذين دخلوا في الإسلام، فقد كان يجتمع بالمسلمين في بيوتهم على شكل أسر بعيدة عن أعين قريش، وتتكون هذه الأسر من الأبطال الذين عقد عليهم رسول الله ﷺ الأمل بعد الله – تعالى – في حمل العبء والمهام الجسمية لنشر الإسلام، وبذلك تكونت طبقة خاصة من المؤمنين الأوائل قوية في إيمانها، متينة في عقيدتها، مدركة لمسئوليتها، منقادة لأمر ربها، طائعة لقائدها، مطبقة لكل أمر يصدر عنه برغبة وشوق واندفاع لا يعادله اندفاع، وحب لا يساويه حب.

وبهذه المواقف الحكيمة، والتربية الصالحة المتينة استطاع محمد ﷺ أن يؤدي الأمانة، ويرسم لنا طريقاً

---

(١) البداية والنهاية ٣/ ٤٠.

نسير عليه في دعوتنا وعملنا وسلوكنا، فهو قدوتنا وإمامنا الذي نسير على هديه، ونستنير بحِكَمِهِ ﷺ .

فقد بدأ الدعوة بعناصر اختارها ورباها، فلبت الدعوة، وآمنت به، وكانت دعوته عامة للناس، وأثناء هذه الدعوة يُركِّزُ على من يجد عندهم الإمكانات أو يتوقع منهم ذلك، وقد تكوَّن من هذه العناصر نواة القاعدة الصلبة التي ثبتت عليها أركان الدعوة[1].

ومع هذا الجهد المبارك العظيم لم يلجأ رسول الله ﷺ إلى الاغتيال السياسي، ولم يتخلص بالاغتيال من أفراد بأعينهم، وكان بإمكانه ذلك وبكل يسر وسهولة، إذ كان يستطيع أن يكلف أحد الصحابة بقتل بعض قادة الكفر: كالوليد بن المغيرة المخزومي، أو العاص بن وائل السهمي، أو أبي جهل عمرو بن هشام، أو أبي لهب عبد العزى ابن عبد المطلب، أو النضر بن الحارث، أو عقبة

(١) التاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر ٢/ ٦٥.

ابن أبي معيط، أو أُبّي بن خلف، أو أُمية بن خلف...، وهؤلاء هم من أشد الناس أذية لرسول الله ﷺ ، فلم يأمر أحداً من أصحابه باغتيال أحد منهم أو غيرهم من أعداء الإسلام؛ فإن مثل هذا الفعل قد يُوْدي بالجماعة الإسلامية كاملة، أو يعرقل مسيرتها مدة ليست باليسيرة، كرد فعل من أعداء الإسلام الذين يتكالبون على حربه، والنبي ﷺ لم يؤمر في هذه المرحلة باغتيالهم؛ لأن الذي أرسله هو أحكم الحاكمين.

وعلى هذا يجب أن يسير الدعاة إلى الله فوق كل أرض، وتحت كل سماء، وفي كل وقت، يجب أن تكون الدعوة على حسب المنهج الذي سار عليه رسول الله ﷺ سواء كان ذلك قبل الهجرة أو بعدها، فطريق الدعوة الصحيح هو هديه والتزام أخلاقه وحكمه وتصرفاته على حسب ما أرادها ﷺ[1].

---

(١) انظر: التاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر ٢/ ٦٥.

المثال الثاني: مع اضطهاد سادات قريش

رأت قريش أن تجرب أسلوباً آخر تجمع فيه بين الترغيب والترهيب، فلترسل إلى محمد ﷺ تعرض عليه من الدنيا ما يشاء، ولترسل إلى عمه الذي يحميه تحذره مغبة هذا التأييد والنصر لمحمد ﷺ ، وتطلب منه أن يكف عنها محمداً ودينه[1].

جاءت سادات قريش إلى أبي طالب، فقالوا لـه: يا أبا طالب، إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه، وإنا والله لا نصبر على هذا، مِنْ: شَتْم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى نكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين.

فعظم على أبي طالب هذا الوعيد والتهديد الشديد، وعظم عليه فراق قومه وعداوته لهم، ولم يطب نفساً

---

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٤١، وفقه السيرة لمحمد الغزالي ص١١٢.

بإسلام رسول الله ﷺ لهم، ولا خذلانه، فبعث إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا ابن أخي، إن قومك جاءوني فقالوا لي كذا وكذا، للذي كانوا قالوا له، فأبقِ عليّ وعلى نفسك، ولا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت، فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك.

فثبت النبي ﷺ على دعوته إلى الله، ولم تأخذه في الله لومة لائم؛ لأنه على الحق، ويعلم بأن الله سينصر دينه ويُعلي كلمته، وعندما رأى أبو طالب هذا الثبات ويئس من موافقة النبي ﷺ لقريش على ترك دعوته إلى التوحيد قال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أُوسَّد في التراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضةً وأبشر وقر بذاك منك عيونا[1]

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ١/ ٢٧٨، وانظر: البداية والنهاية ٣/ ٤٢، وفقه السيرة للغزالي ص١١٤، والرحيق المختوم ص٩٤.

المثال الثالث: مع عتبة بن ربيعة

بعد أن أسلم حمزة بن عبد المطلب، وعمر بن الخطاب أخذت السحائب تنقشع، وأقلق هذا الموقف الجديد مضاجع المشركين، وأفزعهم وزادهم هولاً وفزعاً تزايد عدد المسلمين، وإعلانهم إسلامهم، وعدم مبالاتهم بعداء المشركين لهم، الأمر الذي جعل رجال قريش يساومون رسول الله ﷺ ، فبعث المشركون عتبة بن ربيعة ليعرض على رسول الله ﷺ أموراً لعله يقبل بعضها فيُعطَى من أمور الدنيا ما يريد.

فجاء عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ ، فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السطة[1] في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرَّقت به جماعتهم، وسفَّهت به أحلامهم، وعِبْتَ به

---

(١) يعني: المنزلة الرفيعة. انظر: المصباح المنير، مادة "سطا" ص٢٧٦، والقاموس المحيط، باب الواو، فصل السين ص١٦٧٠.

آلهتهم ودينهم، وكفَّرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، قال رسول الله ﷺ : «**قل أبا الوليد أسمع**»، قال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تريد به شرفاً سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به مُلْكاً ملَّكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه.. حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال: «**أقد فرغت يا أبا الوليد؟**» قال: نعم، قال: «**فاستمع مني**» قال: أفعل، فقال: ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤

وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٌ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴾[1]. ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليها يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد، ثم قال: «**قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك**»[2].

وفي رواية أخرى أن عتبة استمع حتى جاء الرسول ﷺ إلى قوله تعالى: ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةً مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾[3]، فقام مذعوراً فوضع يده على فم رسول الله ﷺ يقول: أنشدك الله والرحم، وطلب

---

(١) سورة فصلت، الآيات: ١-٥.

(٢) أخرج هذه القصة ابن إسحاق في المغازي ١/ ٣١٣ من سيرة ابن هشام، قال الألباني: وإسناده حسن إن شاء الله. انظر: فقه السيرة للغزالي ص١١٣، وتفسير ابن كثير ٤/ ٦١، والبداية والنهاية ٣/ ٦٢، والرحيق المختوم ص١٠٣.

(٣) سورة فصلت، الآية: ١٣.

منه أن يكف عنه، فرجع إلى قومه مسرعاً كأن الصواعق ستلاحقه، واقترح على قريش أن تترك محمداً وشأنه، وأخذ يرغبهم في ذلك[1].

لقد تخير رسول الله ﷺ بفضل الله - تعالى -، ثم بحكمته العظيمة هذه الآيات من الوحي؛ ليعرف عتبة حقيقة الرسالة والرسول، وأن محمداً ﷺ يحمل كتاباً من الخالق إلى خلقه، يهديهم من الضلال، وينقذهم من الخبال، ومحمد ﷺ قبل غيره مُكلّف بتصديقه والعمل به، والوقوف عند أحكامه، فإذا كان الله - عز وجل - يأمر الناس بالاستقامة على أمره، فمحمد ﷺ أولى الناس بذلك، وهو لا يطلب ملكاً ولا مالاً ولا جاهاً، لقد مكَّنه الله من هذا كله، فعفَّ عنه وترفَّع أن يمد يديه إلى هذا الحطام الفاني؛ لأنه صادق في دعوته، مخلص لربه، ﷺ[2].

---

(١) انظر: البداية والنهاية ٣/ ٦٢، وتاريخ الإسلام للذهبي، قسم السيرة ص١٥٨، وفقه السيرة لمحمد الغزالي ص١١٤، وهذا الحبيب يا محبّ ص١٠٢، وتفسير ابن كثير ٤/ ٦٢.

(٢) انظر: فقه السيرة لمحمد الغزالي ص١١٣.

وهذا موقف من أعظم مواقف الصبر والحكمة التي أوتيها النبي ﷺ ، فهو قد ثبت وصدق في دعوته، ولم يرد مالاً، ولا جاهاً، ولا ملكاً، ولا نكاحاً، من أجل أن يتخلى عن دعوته، وقد اختار الكلام المناسب في الموضع المناسب، وهذا هو عين الحكمة والخلق الحسن العظيم.

المثال الرابع: مع أبي جهل

قرر المشركون ألا يألو جهداً في محاربة الإسلام وإيذاء النبي ﷺ ومن دخل معه في الإسلام، والتعرض لهم بألوان النكال والإيلام.

ومنذ جهر النبي ﷺ بدعوته إلى الله، وبيَّن أباطيل الجاهلية، انفجرت مكة بمشاعر الغضب، وظلت عشرة أعوام تعدّ المسلمين عصاة ثائرين فزلزلت الأرض من تحت أقدامهم، واستباحت في الحرم الآمن دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وصاحبت هذه النار المشتعلة

حرب من السخرية والتحقير، والاستهزاء والتكذيب، وتشويه تعاليم الإسلام، وإثارة الشبهات، وبث الدعايات الكاذبة، ومعارضة القرآن، والقول بأنه أساطير الأولين، ومحاولة المشركين للنبي ﷺ أن يعبد آلهتهم عاماً، ويعبدون الله عاماً! إلى غير ذلك من مفاوضاتهم المضحكة!

واتهموا النبي ﷺ بالجنون، والسحر، والكذب والكهانة، والنبي ﷺ ثابت صابر محتسب يرجو من الله النصر لدينه، وإظهاره[1].

لقد نال المشركون من النبي ﷺ ما لم ينالوه من كثير من المؤمنين، فهذا أبو جهل يعتدي على النبي ﷺ ليعفر وجهه في التراب، ولكن الله حماه منه، ورد كيده في نحره، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال أبو جهل: هل يُعَفِّر محمد

---

(١) انظر: فقه السيرة لمحمد الغزالي ص١٠٦، والرحيق المختوم ص٨٠، ٨٢، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٢/ ٨٥، ٨٨، ٩١، ٩٣، ٩٤، وهذا الحبيب يا محبّ ص١١٠.

وجهه بين أظهركم؟ قال: قيل: نعم. فقال: واللات والعزى، لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأُعَفِّرَنَّ وجهه في التراب، قال: فأتى رسولَ الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته. قال: فما فجئهم[1] منه إلا وهو ينكص على عقبيه[2]، ويتقي بيديه، قال: فقيل له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار، وهولاً، وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ : «**لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً**». قال: فأنزل الله – عز وجل –: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴾ إلى آخر السورة[3].

وقد عصم الله النبي ﷺ من هذا الطاغية ومن غيره، وصبر على هذا الأذى العظيم ابتغاء وجه الله – تعالى –، فضحَّى بنفسه وماله ووقته في سبيل الله تعالى.

---

(١) ويقال أيضاً: فجأهم، أي بغتهم. انظر: شرح النووي ١٧/ ١٤٠.

(٢) يرجع يمشي إلى ورائه. انظر: المرجع السابق ٧/ ١٤٠.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب المنافقين، باب قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴾ ٤/ ٢١٥٤، برقم ٢٧٩٧، وانظر: شرح النووي ١٧/ ١٤٠.

المثال الخامس: وضع السَّلا على ظهره ﷺ

ومما أُصيب به محمد ﷺ من الأذى ما رواه ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نُحِرتْ جزور بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سَلَا[1] جزور بني فلان فيأخذه فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم[2] فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ ، والنبي ﷺ ساجد ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جويرية، فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلما قضى النبي ﷺ صلاته، رفع صوته، ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا

---

(١) السّلا: هو اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان، وهي من الآدمية: المشيمة. انظر: شرح النووي ١٢/ ١٥١.

(٢) هو عقبة بن أبي مُعيط، كما صرح في رواية لمسلم في صحيحه ٣/ ١٤١٩.

ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً، ثم قال: «**اللهم عليك بقريش**» ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته، ثم قال: «**اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط**»، وذكر السابع ولم أحفظه، فوالذي بعث محمداً ﷺ بالحق لقد رأيت الذي سمَّى صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب، قليب بدر[1].

المثال السادس: مع عقبة بن أبي معيط

ومن أشد ما صنع به المشركون ﷺ ما رواه البخاري في صحيحه عن عروة بن الزبير، قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد ما صنع المشركون

---

(١) البخاري مع الفتح، في كتاب الوضوء، باب إذا أُلقيَ على ظهر المصلي قذر أو جيفة لم تفسد عليه صلاته ١/ ٣٤٩، برقم ٢٤٠، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ٢/ ١٤١٨، برقم ١٧٩٤ .

برسول الله ﷺ ؟ قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر، فأخذ بمنكبه، ودفعه عن رسول الله ﷺ وقال: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾[1].

وقد اشتد أذى المشركين لرسول الله ﷺ ولأصحابه، حتى جاء بعض الصحابة إلى رسول الله ﷺ يستنصره، ويسأل منه الدعاء والعون، ولكن النبي الحكيم واثق بنصر الله وتأييده، فإن العاقبة للمتقين.

---

(١) سورة غافر، الآية: ٢٨.

والحديث في البخاري مع الفتح، في كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة ٧/ ١٦٥، برقم ٣٨٥٦، وكتاب التفسير، سورة المؤمن ٨/ ٥٥٣، وكتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: ((لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً)) ٧/ ٢٢، برقم ٣٦٧٨. واللفظ ملفّق من كتاب المناقب وكتاب التفسير.

عن خباب بن الأرت - رضي الله عنه - قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة لـه في ظل الكعبة، [ولقد لقينا من المشركين شدة]، فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر لـه في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد [ما دون عظامه من لحم وعصب]، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليُتمَّنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»[1].

وهكذا اشتد أذى قريش على رسول الله ﷺ وعلى

---

(١) البخاري مع الفتح في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٦/ ٦١٩، برقم ٣٦١٢، وفي كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة ٧/ ١٦٤، برقم ٣٨٥٢، وفي كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر ١٢/ ٣١٥، برقم ٦٩٤٣، واللفظ من كتاب الإكراه، وما بين المعكوفين من مناقب الأنصار.

أصحابه، وما ذلك كله إلا من أجل إعلاء كلمة الله، والصدع بالحق، والثبات عليه، والدعوة إلى التوحيد الخالص، ونبذ عادات الجاهلية وخرافاتها ووثنيتها.

المثال السابع: مع زوجة أبي لهب

لقي النبي ﷺ أشد الأذى، ووصل الأمر إلى تغيير اسمه ﷺ احتقاراً له ولدينه، وحسداً وبغضاً له، فقد كان المشركون من قريش من شدة كراهتهم للنبي ﷺ لا يُسمُّونه باسمه الدَّال على المدح فيعدلون إلى ضده، فيقولون: مُذمّم، وإذا ذكروه بسوء قالوا: فعل الله بمذمم، ومذمم ليس هو اسمه ولا يُعرف به، فكان الذي يقع منهم في ذلك مصروفاً إلى غيره بحمد الله تعالى[١].

قال ﷺ: «**ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش، ولعنهم؟! يشتمون مذمماً، ويلعنون مذمماً، وأنا محمد**»[٢].

---

(١) انظر: فتح الباري ٦/ ٥٥٨.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ ٦/ ٥٥٤، برقم ٣٥٣٣.

والنبي ﷺ لـه خمسة أسماء ليس منها مُذَمَّماً[1].

جاءت أم جميل زوجة أبي لهب – حين سمعت ما أنزل الله فيها وفي زوجها من القرآن – إلى رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة، ومعه أبو بكر الصديق، وفي يدها ملء الكف من حجارة، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر! أين صاحبك؟ قد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، أَمَا والله إني لشاعرة، ثم قالت:

مُذَمَّمَاً عصينا   وأمره أبينا   ودينه قلينا[2]

استمر المشركون في إلحاق الأذى برسول الله ﷺ وبأصحابه الذين أسلموا، وبعد أن زاد عدد المسلمين

(١) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ ٦/ ٥٥٤، برقم ٣٥٣٢ .

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ١/ ٣٧٨، ومعنى قولها: قلينا: أي أبغضنا. انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ٥٢٣.

وكثر عددهم ازداد حنق المشركين على المسلمين، وبسطوا إليهم أيديهم وألسنتهم بالسوء، ولما رأى رسول الله ﷺ ذلك، ورأى أنه في حماية الله ثم عمه أبي طالب، وهو لا يستطيع أن يمنع المسلمين مما هم فيه من العذاب - فقد مات منهم من مات، وعُذِّب من عذب حتى عمي وهو تحت العذاب - فأذن رسول الله لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة، فكان أهل هذه الهجرة الأولى اثنى عشر رجلاً، وأربع نسوة، ورئيسهم عثمان بن عفان رضي الله عنه، ذهبوا فوفَّقَ الله لهم ساعة وصولهم إلى الساحل سفينتين، فحملوهم فيها إلى أرض الحبشة، وكان ذلك في رجب، في السنة الخامسة من البعثة، وخرجت قريش في آثارهم حتى جاءوا البحر فلم يدركوا منهم أحداً، ثم بلغ هؤلاء المهاجرين أن قريشاً قد كفوا عن النبي ﷺ فرجعوا إلى مكة من الحبشة، وقبل وصولهم مكة بساعة من نهار بلغهم أن الخبر كذب، وأن قريشاً أشد ما كانوا عداوة

لرسول الله ﷺ فدخل من دخل مكة بجوار، وكان من الداخلين ابن مسعود، ووجد أن ما بلغهم من إسلام أهل مكة كان باطلاً، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار - كابن مسعود - أو مستخفياً، ثم اشتد البلاء من قريش على من دخل مكة من المهاجرين وغيرهم، ولقوا منهم أذىً شديداً، فأذن لهم رسول الله ﷺ في الخروج إلى الحبشة مرة ثانية، وكان عدد من خرج في هذه المرة الثانية ثلاثة وثمانين رجلاً، إن كان فيهم عمار بن ياسر، ومن النساء تسعة عشرة امرأة، فكان المهاجرون في مملكة أصحمة النجاشي آمنين، فلما علمت قريش بذلك أرسلت للنجاشي بهدايا وتحف ليردهم عليهم، فمنع ذلك عليهم، ورد عليهم هداياهم، وبقي المهاجرون في الحبشة آمنين حتى قدموا إلى رسول الله ﷺ عام خيبر[1].

---

(١) انظر: زاد المعاد لابن القيم ٣/ ٢٣، ٣٦، ٣٨، والرحيق المختوم ص٨٩، وهذا الحبيب يا محب ص١٢٠، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٤٣، والبداية والنهاية ٣/ ٦٦،=

المثال الثامن: حبسه ﷺ في الشعب

ولما رأت قريش انتشار الإسلام، وكثرة من يدخل فيه، وبلغها ما لقي المهاجرون في بلاد الحبشة، من: إكرام وتأمين، مع عودة وفدها خائباً، اشتد حنقها على الإسلام، وأجمعوا على أن يتعاقدوا على بني هاشم، وبني عبد المطلب، وبني عبد مناف، وأن لا يبايعوهم، ولا يناكحوهم، ولا يكلموهم، ولا يجالسوهم، حتى يسلِّموا إليهم رسول الله ﷺ وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في سقف الكعبة، فانحاز بنو هاشم، وبنو عبد المطلب مؤمنهم وكافرهم إلا أبا لهب، فإنه بقي مظاهراً لقريش على رسول الله ﷺ وعلى بني هاشم، وبني عبد المطلب.

وحُبِسَ رسول الله ﷺ في شعب أبي طالب ليلة هلال محرم، سنة سبع من البعثة، وبقوا محصورين محبوسين،

= والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٢/ ٩٨، ١٠٩، وتاريخ الإسلام للذهبي، قسم السيرة ص١٨٣.

مضيقاً عليهم جداً، مقطوعاً عليهم الطعام والمادة نحو ثلاث سنين حتى بلغهم الجهد، وسُمِعَ أصوات صبيانهم بالبكاء من وراء الشعب، ثم أطلع الله رسوله على أمر الصحيفة، وأنه أرسل عليها الأرضة فأكلت جميع ما فيها من جور وقطيعة وظلم إلا ذكر الله - عز وجل -، فأخبر عمه بذلك، فخرج إلى قريش فأخبرهم أن محمداً قد قال كذا وكذا، فإن كان كاذباً خلينا بينكم وبينه، وإن كان صادقاً رجعتم عن قطيعتنا وظلمنا، قالوا: قد أنصفت، فأنزلوا الصحيفة، فلما رأوا الأمر كما أخبر به رسول الله ﷺ ازدادوا كفراً إلى كفرهم، وخرج رسول الله ﷺ ومن معه من الشعب بعد عشرة أعوام من البعثة، ومات أبو طالب بعد ذلك بستة أشهر، وماتت خديجة بعده بثلاثة أيام، وقيل غير ذلك[1].

(١) انظر: زاد المعاد ٣/ ٣٠، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٧١، البداية والنهاية ٣/ ٦٤، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٢/ ١٠٩، ١٢٧، ١٢٨، وتاريخ الإسلام للذهبي - قسم السيرة ص١٢٦، ١٣٧، والرحيق المختوم ص١١٢.

ولما نُقِضَتِ الصحيفة وافق موت أبي طالب وموت خديجة وبينهما زمن يسير، فاشتد البلاء على رسول الله ﷺ من سفهاء قومه، وتجرؤوا عليه فكاشفوه بالأذى، فازدادوا غماً على غم حتى يئس منهم، وخرج إلى الطائف رجاء أن يستجيبوا لدعوته أو يؤووه أو ينصروه على قومه، فلم ير من يؤوي، ولم ير ناصراً، وآذوه مع ذلك أشد الأذى، ونالوا منه ما لم ينله من قومه[1].

المثال التاسع: مع أهل الطائف

في شوال، من السنة العاشرة من النبوة، خرج النبي ﷺ إلى الطائف لعله يجد في ثقيف حسن الإصغاء لدعوته والانتصار لها، وكان معه زيد بن حارثة مولاه، وكان في طريقه كلما مر على قبيلة دعاهم إلى الإسلام، فلم تُجِبْه واحدة منها.

عندما وصل إلى الطائف عمد إلى رؤسائها فجلس

(١) انظر: زاد المعاد ٣/ ٣١، والرحيق المختوم ص١١٣.

إليهم، ودعاهم إلى الإسلام، فردوا عليه رداً قبيحاً، وأقام رسول الله ﷺ بين أهل الطائف عشرة أيام، لا يدع أحداً من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، فقالوا: اخرج من بلادنا، وأغروا به سفهاءهم وصبيانهم، فلما أراد الخروج تبعه هؤلاء السفهاء واجتمعوا عليه صَفَّين يرمونه بالحجارة، وبكلمات من السفه، ورجموا عراقيبه حتى اختضب نعلاه بالدماء، وكان زيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى أصابه شجاج في رأسه، ورجع رسول الله ﷺ من الطائف إلى مكة محزوناً، كسير القلب، وفي طريقه إلى مكة أرسل الله إليه جبريل ومعه ملك الجبال يستأمره أن يطبق الأخشبَيْن على أهل مكة، وهما جبلاها اللذان هي بينهما[1].

عن عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت لرسول الله

(١) انظر: زاد المعاد ٣/ ٣١، والرحيق المختوم ص١٢٢، وهذا الحبيب يا محبّ ص١٣٢، والبداية والنهاية ٣/ ١٣٥.

ﷺ: يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: «لقد لقيت من قومك [ما لقيت]، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال[١]، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أَسْتَفِق إلا بقرن الثعالب[٢]، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني: فقال: إن الله – عز وجل – قد سمع قول قومك لك، وما ردُّوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلم عليّ، ثم قال: يا محمد! إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك فما شئت[٣]؟ إن شئت أن أُطْبِق

---

(١) ابن عبد ياليل بن كلال من أكابر أهل الطائف من ثقيف. الفتح ٦/ ٣١٥.

(٢) وهو ميقات أهل نجد، ويقال له: قرن المنازل، ويعرف الآن بالسيل الكبير. انظر: الفتح ٦/ ٣١٥.

(٣) استفهام، أي: فأمرني بما شئت. انظر: فتح الباري ٦/ ٣١٦.

عليهم الأخشبين». فقال له رسول الله ﷺ : «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»[١].

وفي هذا الجواب الذي أدلى به رسول الله ﷺ تتجلى شخصيته الفذة، وما كان عليه من الخلق العظيم الذي أمده الله به.

وفي ذلك بيان شفقته على قومه، ومزيد صبره وحلمه، وهذا موافق لقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾[٣]. فصلوات الله وسلامه عليه[٤].

---

(١) البخاري مع الفتح في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه ٦/ ٣١٢، برقم ٣٢٣١، ومسلم بلفظه في كتاب الجهاد والسير باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ٣/ ١٤٢٠، برقم ١٧٩٥، وما بين المعكوفين من البخاري دون مسلم.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر ٦/ ٣١٦، والرحيق المختوم ص١٢٤.

وأقام ﷺ بنخلة أياماً، وصمم على الرجوع إلى مكة، وعلى القيام باستئناف خطته الأولى في عرض الإسلام وإبلاغ رسالة الله الخالدة، بنشاط جديد، وجد وحماس، وحينئذ قال له زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك؟ فَرُوي عنه[1] أنه قال: «**يا زيد، إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً، وإن الله ناصر دينه، ومظهر نبيه**».

ثم سار حتى وصل إلى مكة فأرسل رجلاً من خزاعة إلى مطعم بن عدي ليدخل في جواره، فقال مطعم: نعم، ودعا بنيه وقومه فقال: البسوا السلاح، وكونوا عند أركان البيت، فإني قد أجرت محمداً، فدخل رسول الله ﷺ ومعه زيد بن حارثة حتى انتهى إلى المسجد الحرام، فقام المُطْعِمُ بن عدي على راحلته فنادى: يا معشر قريش إني قد أجرت محمداً فلا يهجه أحد منكم، فانتهى رسول الله ﷺ إلى الركن فاستلمه وصلى ركعتين، وانصرف إلى

(١) انظر: زاد المعاد، لابن القيم ٣/ ٣٣.

بيته، والمطعم بن عدي وولده محدقون به بالسلاح حتى دخل بيته[١].

وفي هذه المواقف العظيمة التي وقفها النبي ﷺ في رحلته إلى الطائف دليل واضح على تصميمه الجازم في الاستمرار في دعوته وعدم اليأس من استجابة الناس لها، وبَحَثَ عن ميدان جديد للدعوة، بعد أن قامت الحواجز دونها في ميدانها الأول.

وفي ذلك دليل على أن النبي ﷺ كان أستاذاً في الحكمة، وذلك لأنه حينما قدم الطائف اختار الرؤساء وسادة ثقيف في الطائف وقد علم أنهم إذا أجابوه أجابت كل قبائل أهل الطائف.

وفي سيل الدماء من قدمي النبي ﷺ - وهو النبي الكريم - أكبر مثل لما يتحمله الداعية في سبيل الله من أذى واضطهاد.

---

(١) انظر: زاد المعاد ٣/ ٣٣، وسيرة ابن هشام ٢/ ٢٨، والبداية والنهاية ٣/ ١٣٧، والرحيق المختوم ص١٢٥.

وفي عدم دعائه على قومه، وعلى أهل الطائف، وعدم موافقة مَلَك الجبال في إطباق الأخْشَبيْن على أهل مكة أكبر مثل لما يتحمله الداعية في صبره على من رد دعوته، وعدم اليأس من هدايتهم، فربما يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً.

ومن حكمته ﷺ أنه لم يدخل مكة إلا بعد أن دخل في جوار المُطْعم بن عدي، وهكذا ينبغي للداعية أن يبحث عمن يحميه من كيد أعدائه؛ ليقوم بدعوته على الوجه المطلوب[1].

المثال العاشر: مع أهل الأسواق والمواسم

باشر النبي ﷺ دعوته في مكة بعد عودته من الطائف في شهر ذي القعدة سنة عشر من النبوة، فبدأ يذهب إلى المواسم التي تقام في الأسواق مثل: عكاظ، ومجنة، وذي مجاز، وغيرها، التي تحضرها القبائل العربية للتجارة

(١) انظر: السيرة النبوية دروس وعبر لمصطفى السباعي ص٥٨، وهذا الحبيب يا محبّ ص١٣٤.

والاستماع لما يُلقى فيها من الشعر ويعرض نفسه على هذه القبائل يدعوها إلى الله – تعالى –، وجاء موسم الحج لهذه السنة فأتاهم قبيلة قبيلة يعرض عليهم الإسلام كما كان يدعوهم منذ السنة الرابعة من النبوة.

ولم يكتف رسول الله ﷺ بعرض الإسلام على القبائل فحسب، بل كان يعرضه على الأفراد أيضاً.

وكان ﷺ يُرَغِّبُ جميع الناس بالفلاح، فعن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه، قال: أخبرني رجل يقال له: ربيعة بن عباد، من بني الديل، وكان جاهلياً، قال: رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: «**يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**»، والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه، أحول، ذو غديرتين، يقول: إنه صابئ كاذب، يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه، فذكروا لي نسب رسول الله ﷺ وقالوا: هذا عمه أبو لهب[1].

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٣٤١، ٣/ ٤٩٢، وسنده حسن، وله شاهد عند ابن حبان =

وقد كانت الأوس والخزرج يحجُّون كما تحج العرب دون اليهود، فلما رأى الأنصار أحواله ﷺ ودعوته، عرفوا أنه الذي تتوعدهم به اليهود، فأرادوا أن يسبقوهم؛ ولكنهم لم يبايعوا النبي ﷺ في هذه السنة، ورجعوا إلى المدينة[1].

وفي موسم الحج من السنة الحادية عشرة من النبوة، عرض النبي ﷺ نفسه على القبائل، وبينما الرسول ﷺ يعرض نفسه، مر بعقبة مِنَى فوجد بها ستة نفر من شباب يثرب، فعرض عليهم الإسلام، فأجابوا دعوته، ورجعوا إلى قومهم وقد حملوا معهم رسالة الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ[2].

= برقم ١٦٨٣ (موارد) من حديث طارق بن عبد الله المحاربي، والحاكم المستدرك بإسنادين، وقال عن الإسناد الأول: صحيح على شرط الشيخين، رواته كلهم ثقات أثبات ١/ ١٥.

(١) انظر: زاد المعاد ٣/ ٤٣، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٢/ ١٣٦، والرحيق المختوم ص١٢٩، والبداية والنهاية ٣/ ١٤٩، وابن هشام ٢/ ٣١.

(٢) انظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٢/ ١٣٧، وهذا الحبيب يا محبّ ٢/ ١٤٥،=

ثم استدار العام وأقبل الناس إلى الحج سنة اثنتي عشرة من النبوة، وكان من بين حجاج يثرب اثنا عشر رجلاً، فيهم خمسة من الستة الذين كانوا قد اتصلوا برسول الله ﷺ في العام السابق، والتقوا حسب الموعد مع رسول الله ﷺ عند العقبة بمنى، وأسلموا وبايعوا رسول الله ﷺ بيعة النساء[1].

عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: «**تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتانٍ تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروفٍ، فمن وفَّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فَعُوقِب به في الدنيا فهو له كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره**

= والرحيق المختوم ص١٣٢، وزاد المعاد ٣/ ٤٥، وسيرة ابن هشام ٢/ ٣٨، والبداية والنهاية ٣/ ١٤٩.

(١) انظر: زاد المعاد ٣/ ٤٦، والرحيق المختوم ص١٣٩، والتاريخ الإسلامي ٢/ ١٣٩، وهذا الحبيب يا محبّ ص١٤٥، وسيرة ابن هشام ٢/ ٣٨.

الله عليه فأمره إلى الله: إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه» فبايعناه على ذلك[1].

وبعد أن انتهت المبايعة، وانتهى الموسم بعث النبي ﷺ مع هؤلاء مصعب بن عمير – رضي الله عنه – ليعلم المسلمين شرائع الإسلام؛ وليقوم بنشر الإسلام، وقد قام بذلك – رضي الله عنه – أتم قيام، وفي موسم الحج في السنة الثالثة عشرة من النبوة حضر لأداء الحج من يثرب ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان، وكلهم قد أسلموا.

فلما قدموا مكة واعدوا النبي ﷺ عند العقبة، وجاءهم على موعدهم، ثم تكلم رسول الله ﷺ ، ثم قالوا: يا رسول الله، على ما نبايعك؟ فقال: «**تبايعوني على: السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في**

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ في مكة ٧/ ٢١٩، برقم ٣٨٩٢، وكتاب الإيمان، باب حدثنا أبو اليمان ١/ ٦٤، برقم ١٨.

الله لا تخافون في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة»[١]، فقاموا إليه فبايعوه.

وبعد عقد هذه البيعة جعل عليهم رسول الله ﷺ اثني عشر زعيماً، يكونون نقباء على قومهم، وكانوا تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس، ثم رجعوا إلى يثرب، وعندما وصلوا أظهروا الإسلام فيها، ونفع الله بهم في الدعوة إلى الله تعالى[٢].

وبعد أن تمت بيعة العقبة الثانية ونجح النبي ﷺ في تأسيس وطنٍ للإسلام، انتشر الخبر في مكة كثيراً، وثبت لقريش أن النبي ﷺ قد بايع أهل يثرب، فاشتد أذاهم على من أسلم في مكة، فأمر النبي ﷺ بالهجرة إلى المدينة،

---

(١) أحمد في المسند ٣/ ٣٢٢، والبيهقي ٩/ ٩، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ٢/ ٦٢٤، وحسَّن إسناده الحافظ في الفتح ٧/ ١١٧.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٤٩، والبداية والنهاية ٣/ ١٥٨، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٢/ ١٤٢، والرحيق المختوم ص١٤٣.

فهاجر المسلمون، فاجتمع قريش في ٢٦ من شهر صفر سنة ١٤ من النبوة، وأجمعوا على قتل النبي ﷺ ، فأوحى الله إلى النبي ﷺ بذلك؛ ولحسن سياسته وحكمته أمر علياً أن يبيت في فراشه تلك الليلة، فبقي المشركون ينظرون إلى عليّ من صِير الباب[1]، وخرج رسول الله ﷺ ، ومر بأبي بكر، وهاجر إلى المدينة[2].

وهذه المواقف العظيمة التي وقفها رسول الله ﷺ دليل واضح على حكمة النبي ﷺ ، وعلى صبره، وشجاعته، وأنه ﷺ حينما علم بأن قريشاً قد طغت، ورفضت الدعوة بحث عن مكان يتخذ فيه قاعدة للدعوة الإسلامية، ولم يكتف بذلك، بل أخذ منهم البيعة والمعاهدة على نصرة الإسلام، وتم ذلك في مؤتمرين: بيعة العقبة الأولى، ثم

---

(١) صير الباب: هو شق الباب. انظر: المعجم الوسيط، مادة "صار" ١/ ٥٣١.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٩٥، والبداية والنهاية ٣/ ١٧٥، وزاد المعاد ٣/ ٥٤، والسيرة النبوية دروس وعبر لمصطفى السباعي ص٦١، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٢/ ١٤٨، وهذا الحبيب يا محبّ ص١٥٦.

الثانية، وعندما وجد مكان الدعوة الذي يتخذ قاعدة لها، ووجد أنصار الدعوة أذن بالهجرة لأصحابه، وأخذ هو بالأسباب عندما تآمرت عليه قريش، وهذا لا يعتبر جبناً، ولا فراراً من الموت؛ ولكن يعتبر أخذاً بالأسباب مع التوكل على الله تعالى، وهذه السياسة الحكيمة من أسباب نجاح الدعوة، وهكذا ينبغي أن يكون الدعاة إلى الله، فإن النبي ﷺ هو قدوتهم وإمامهم[1].

المثال الحادي عشر: جُرِحَ وجهه وكسرت رباعيته ﷺ

عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - أنه سُئِلَ عن جرح النبي ﷺ يوم أحد فقال: جُرِحَ وجه النبي ﷺ وكُسِرَت رباعيته، وهُشِمَتِ البيضة على رأسه، فكانت فاطمة - عليها السلام - تغسل الدم، وعليٌّ يمسك، فلما رأت أن الدم لا يرتد إلا كثرة أخذت حصيراً فأحرقته حتى صار رماداً ،

(١) انظر: السيرة النبوية دروس وعبر ص٦٨.

ثم ألزقته فاستمسك الدم[١].

وقد حصل لـه هذا الأذى العظيم الذي ترتج لعظمته الجبال، هو نبي الله ﷺ ولم يدع على قومه، بل دعا لهم بالمغفرة، لأنهم لا يعلمون.

فعن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»[٢].

فالأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – وعلى رأسهم محمد ﷺ قد كانوا[٣] على جانب عظيم من الحلم والتصبر،

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب لبس البيضة ٦/ ٩٦، برقم ٢٩١١، ومسلم، كتاب الجهاد، باب غزوة أحد ٣/ ١٤١٦، برقم ١٧٩٠.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الأنبياء، باب حدثنا أبو اليمان ٦/ ٥١٤، برقم ٣٤٧٧، ١٢/ ٢٨٢، برقم ٦٩٢٩، وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب عزوة أحد ٣/ ١٤١٧، برقم ١٧٩٢، وانظر: شرحه في الفتح ٦/ ٥٢١، وشرح النووي لصحيح مسلم ١٢/ ١٤٨.

(٣) انظر: شرح النووي لمسلم ١٢/ ١٤٨.

والعفو والشفقة على قومهم ودعائهم لهم بالهداية والغفران، وعذرهم في جناياتهم على أنفسهم بأنهم لا يعلمون[١]، قال ﷺ : «**اشتد غضب الله على قوم فعلوا هذا برسول الله ﷺ**»، وهو حينئذ يشير إلى رباعيته، «**اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله ﷺ في سبيل الله عز وجل**»[٢].

وفي إصابة النبي ﷺ يوم أحد عزاء للدعاة فيما ينالهم في سبيل الله من أذى في أجسامهم، أو اضطهاد لحرياتهم، أو قضاء على حياتهم، فالنبي ﷺ هو القدوة قد أوذي وصبر[٣].

---

(١) شرح النووي على مسلم ١٢/ ١٥٠ بتصرف.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد ٧/ ٣٧٢، برقم ٤٠٧٣، ومسلم، كتاب الجهاد، باب: اشتداد غضب الله على من قتله رسول الله ٣/ ١٤١٧، ١٧٩٣.

(٣) السيرة النبوية دروس وعبر ص١١٦.

المبحث الخامس عشر: شجاعته ﷺ

لاشك أن الشجاعة صبر في ساحات القتال والوغى، وفيها ضبط النفس عن مثيرات الخوف حتى لا يجبن الإنسان في المواضع التي تحسن فيها الشجاعة ويقبح فيها الجبن ويكون شراً، ومن هذه الأمثلة يجد الإنسان أن النبي ﷺ خير قدوة وخير مثال في ذلك؛ ولهذا جاهد في سبيل الله: بالقلب، واللسان، والسيف، والسنان، والدعوة والبيان، وقد أرسل ستاً وخمسين سرية، وقاد بنفسه سبعاً وعشرين غزوة، وقاتل بنفسه في تسع من غزواته[1]، ومن ذلك الأمثلة الآتية:

المثال الأول: شجاعته ﷺ في معركة بدر الكبرى

من مواقفه التي تزخر بالحكمة في هذه الغزوة أنه ﷺ استشار الناس قبل بدء المعركة؛ لأنه ﷺ يريد أن يعرف

---

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٢/ ٤٣٦.

مدى رغبة الأنصار في القتال؛ لأنه شُرِطَ له في البيعة أن يمنعوه في المدينة مما يمنعون منه أنفسهم وأموالهم وأبنائهم وأزواجهم، أما خارج المدينة فلم يحصل أي شرط، فأراد ﷺ أن يستشيرهم، فجمعهم ﷺ واستشارهم، فقام أبو بكر – رضي الله عنه – فقال وأحسن، ثم عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فقال وأحسن، ثم استشارهم ثانياً، فقام المِقْدَاد فقال: يا رسول الله، امض لما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون، [نقاتل عن يمينك، وعن شمالك، ومن بين يديك، ومن خلفك، ثم استشار الناس ثالثاً، ففهمت الأنصار أنه يعنيهم، فبادر سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله كأنك تريدنا]، وكان النبي ﷺ يعنيهم، لأنهم بايعوه على أن يمنعوه من الأحمر والأسود في ديارهم، فلما عزم على

الخروج استشارهم؛ ليعلم ما عندهم، فقال له سعد: لعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقاً عليها أن لا ينصروك إلا في ديارها، وإني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم: فاظعن حيث شئت، وصل حبل من شئت، واقطع حبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت، وما أمرتنا فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك، فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معك، والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فَخُضْتَهُ لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدواً غداً، إنا لَصُبُرٌ في الحرب، صُدقٌ في اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقرّ به عينك، فَسِرْ بنا على بركة الله، فأشرق وجه رسول الله ﷺ وسُرَّ بما سمع، ونَشَّطه ذلك، ثم قال: «سيروا وأبشروا، فإن الله قد وعدني

إحدى الطائفتين؛ ولكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم»[١].

ومن مواقفه العظيمة في بدر: اعتماده على ربه – تبارك وتعالى –؛ لأنه قد علم أن النصر لا يكون بكثرة العدد ولا العدة، وإنما يكون بنصر الله – عز وجل – مع الأخذ بالأسباب والاعتماد على الله.

عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه[٢]: «اللهم أنجز لي ما وعدتني،

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٣، وفتح الباري ٧/ ٢٨٧، وزاد المعاد ٣/ ١٧٣، والرحيق المختوم ص٢٠٠، وقد أخرج البخاري مواضع منها. انظر: البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ ٧/ ٢٨٧، برقم ٣٩٥٢، وكتاب التفسير ٨/ ٢٧٣، وأخرج مسلم بعض المواضع من القصة. انظر: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر ٣/ ١٤٠٣، برقم ١٧٧٩، وانظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٢/ ١٩٤.

(٢) يهتف بربه، أي: يصيح ويستغيث بالله بالدعاء. انظر: شرح النووي ١٢/ ٨٤.

اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»، فما زال يهتف بربه، مادًّا يديه، مُستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدة ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله - عز وجل -: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[1] فأمده الله بالملائكة[2].

وقد خرج رسول الله ﷺ من العريش وهو يقول: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[3].

(١) سورة الأنفال، الآية: ٩.

(٢) أخرجه مسلم بلفظه في كتاب الجهاد والسير والمغازي، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ٣/ ١٣٨٣، برقم ١٧٦٣، والبخاري مع الفتح بمعناه مختصراً، في كتاب المغازي، باب قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ ٧/ ٢٨٧، برقم ٣٩٥٢، وانظر: الرحيق المختوم ص٢٠٨.

(٣) سورة القمر، الآية: ٤٥، والحديث في البخاري مع الفتح ٧/ ٢٨٧.

وقاتل ﷺ في المعركة، وكان من أشد الخلق وأقواهم وأشجعهم، ومعه أبو بكر - رضي الله عنه - كما كانا في العريش يُجاهِدان بالدعاء والتضرع، ثم نزلا فحرَّضا، وحثَّا على القتال، وقاتلا بالأبدان جمعاً بين المقامين الشريفين[1].

وكان أشجع الناس الرسول ﷺ ، فعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: (لقد رأَيْتُنَا يوم بدر، ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً)[2].

وعنه - رضي الله عنه - قال: كنا إذا حمي البأس، ولقي القومُ القومَ اتقينا برسول الله ﷺ فلا يكون أحدنا أدنى إلى القوم منه)[3].

---

(١) انظر: البداية والنهاية ٣/ ٢٧٨.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٨٦، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ٢/ ١٤٣.

(٣) الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي ٢/ ١٤٣، وعزاه ابن كثير في البداية والنهاية ٣/ ٢٧٩، إلى النسائي.

المثال الثاني: شجاعته ﷺ في غزوة أحد

من مواقفه في الشجاعة أيضاً، وصبره على أذى قومه ما فعله ﷺ في غزوة أحد، فقد كان ﷺ يقاتل قتالاً عظيماً؛ فإن الدولة كانت أول النهار للمسلمين على المشركين، فانهزم أعداء الله وولوا مدبرين حتى انتهوا إلى نسائهم، فلما رأى الرماة هزيمتهم تركوا مركزهم الذي أمرهم رسول الله ﷺ بحفظه، وذلك أنهم ظنوا أنه ليس للمشركين رجعة، فذهبوا في طلب الغنيمة، وتركوا الجبل فكرّ فرسان المشركين فوجدوا الثغر خالياً قد خلا من الرُّماة فجازُوا منه، وتمكَّنوا حتى أقبل آخرهم فأحاطوا بالمسلمين، فأكرم الله من أكرم منهم بالشهادة، وهم سبعون، وتولى الصحابة، وخلص المشركون إلى رسول الله ﷺ فجرحوا وجهه، وكسروا رباعيته اليمنى، وكانت السفلى، وهشموا البيضة على رأسه، وقاتل الصحابة دفاعاً عن رسول الله ﷺ[١].

---

(١) انظر: زاد المعاد ٣/ ١٩٦، ١٩٩، والرحيق المختوم ص٢٥٥، ٢٥٦.

وكان حول النبي ﷺ رجلان من قريش، وسبعة من الأنصار، فقال ﷺ لما رهقوه، وقربوا منه: «**من يردُّهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة**»، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، ثم رهقوه أيضاً فقال: «**من يردهم عنا وله الجنة**»، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه: «**ما أنصفنا أصحابنا**»[(١)].

وعندما اجتمع المسلمون، ونهضوا مع النبي ﷺ إلى الشعب الذي نزل فيه، وفيهم أبو بكر، وعمر، وعلي، والحارث بن الصّمة الأنصاري وغيرهم، فلما استندوا إلى الجبل أدرك رسول الله ﷺ أُبَيُّ بن خلف، وهو على جواد لـه، ويقول: أين محمد، لا نجوت إن نجا؟ فقال القوم: يا رسول الله، أيعطف عليه رجل منا، فأمرهم رسول الله ﷺ بتركه، فلما دنا منه تناول رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد ٣/ ١٤١٥، برقم ١٧٨٩.

الحربة من الحارث بن الصمة، فلما أخذها منه انتفض انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله وأبصر ترقوته من فرجةٍ بين سابغة الدرع والبيضة، فطعنه فيها طعنة تدحرج منها عن فرسه مراراً، فلما رجع عدو الله إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير... قال: قتلني والله محمد، فقالوا له: ذهب والله فؤادك والله إن بك من بأس، قال: إنه قد قال لي بمكة: أنا أقتلك، فوالله لو بصق عليَّ لقتلني، فمات عدو الله بسرف، وهم قافلون إلى مكة[1].

المثال الثالث: شجاعته ﷺ في معركة حنين

بعد أن دارت معركة حنين والتقى المسلمون والكفار،

---

(١) انظر: زاد المعاد، لابن القيم ٣/ ١٩٩، والرحيق المختوم ص٢٦٣، وروى قصة قتل النبي ﷺ لأبي بن خلف: أبو الأسود عن عروة بن الزبير، والزهري عن سعيد ابن المسيب. انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٤/ ٣٢، وكلاهما مرسل، والطبري ٢/ ٦٧، وانظر: فقه السيرة لمحمد الغزالي ص٢٢٦.

ولّى المسلمون مدبرين[١]، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قِبَلَ الكفار... ثم قال: «**أي عباس، ناد أصحاب السمرة**» فقال عباس: - وكان رجلاً صيِّتاً - فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة؟ قال: فوالله لكأن عَطْفَتهم حين سمعوا صوتي عَطْفَةَ البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيك، يا لبيك، قال: فاقتتلوا والكفار... فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال ﷺ: «**الآن حمي الوطيس**»[٢].

وظهرت شجاعة النبي ﷺ التي لا نظير لها في هذا الموقف الذي عجز عنه عظماء الرجال[٣].

وسئل البراء، فقال لـه رجل: يا أبا عمارة، أكنتم وليتم

---

(١) كان مع النبي ﷺ في هذه الغزوة ألفان من أهل مكة، مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه من المدينة ففتح بهم. انظر: زاد المعاد ٣/ ٤٦٨.

(٢) مسلم، في كتاب الجهاد والسير، باب: غزوة حنين، وقد اختصرت ألفاظه ٣/ ١٣٩٨، برقم ١٧٧٥.

(٣) انظر: الرحيق المختوم ص٤٠١، وهذا الحبيب يا محب ص٤٠٨.

يوم حنين؟ قال: لا والله ما ولّى رسول الله ﷺ ، ولكنه خرج شبان أصحابه[١] وأخفاؤهم[٢] حسراً[٣] ليس عليهم سلاح أو كثير سلاح، فلقوا قوماً رماة لا يكاد يسقط لهم سهم، جمع هوازن، وبني نَصْرٍ، فرشقوهم رشقاً[٤]، ما يكادون يخطئون، فانكشفوا، فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ وأبو سفيان بن الحارث يقود بغلته، فنزل ودعا واستنصر وهو يقول:

أنا النبي لا كذب   أنا ابن عبد المطلب

اللهم نزِّل نصرك[٥]

---

(١) جمع شباب. شرح النووي لمسلم ١٢/ ١١٧.

(٢) جمع خفيف، وهم المسارعون المستعجلون. شرح النووي لمسلم ١٢/ ١١٧.

(٣) حسراً: جمع حاسر، أي بغير دروع، وقد فسره بقوله: ليس عليهم سلاح. شرح النووي لمسلم ١٢/ ١١٧.

(٤) رشقا: هو بفتح الراء، وهو مصدر، وأما الرشق بالكسر فهو اسم للسهام التي ترميها الجماعة دفعة واحدة. انظر: شرح النووي ١٢/ ١١٨.

(٥) مسلم، في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين، مع التصرف في بعض الكلمات ٣/ ١٤٠٠، برقم ١٧٧٦، والبخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب من صف أصحابه عند الهزيمة ونزل عن دابته فاستنصر ٦/ ١٥٠، ٨/ ٢٧، ٢٨، برقم ٢٩٣٠.

قال البراء: كنا والله إذا احمرَّ البأس[١] نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به، يعني النبي ﷺ[٢].

وفي رواية لمسلم عن سلمة قال: مررت على رسول الله ﷺ منهزماً[٣]، وهو على بغلته الشهباء، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد رأى ابن الأكوع فزعاً**». فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض، ثم استقبل به وجوههم، فقال: «**شاهت الوجوه**»[٤]، فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة، فولوا مدبرين، فهزمهم الله – عز وجل –، وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين[٥].

---

(١) إذا احمر البأس: كناية عن شدة الحرب، واستعير ذلك لحمرة الدماء الحاصلة فيها في العادة. انظر: شرح النووي ١٢/ ١٢١.

(٢) رواه مسلم في كتابا الجهاد والسير، باب غزوة حنين ٣/ ١٤٠١، برقم ٧٩ -(١٧٧٦).

(٣) قال العلماء: قوله: ((منهزماً)) حال من ابن الأكوع، وليس النبي – ﷺ –. انظر: شرح النووي ١٢/ ١٢٢.

(٤) شاهت الوجوه، أي: قبحت. انظر: شرح النووي ١٢/ ١٢٢.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين ٣/ ١٤٠٢، برقم ١٧٧٧.

وقد قال العلماء: إن ركوب النبي ﷺ البغلة في موضع الحرب وعند اشتداد البأس هو النهاية في الشجاعة والثبات؛ ولأنه أيضاً يكون معتمداً يرجع الناس إليه، وتطمئن قلوبهم به وبمكانه، وإنما فعل هذا عمداً، وإلا فقد كانت لـه ﷺ أفراس معروفة.

ومما يدل على شجاعة تقدمه ﷺ وهو يركض بغلته إلى جمع المشركين، وقد فر الناس عنه، ونزوله إلى الأرض حين غشوه مبالغة في الشجاعة والصبر، وقيل: فعل ذلك مواساة لمن كان نازلاً على الأرض من المسلمين، وقد أخبر الصحابة – رضي الله عنهم – بشجاعته ﷺ في جميع المواطن[1].

المثال الرابع: شجاعته ﷺ في الحماية لأصحابه

روى البخاري ومسلم، عن أنس – رضي الله عنه – قال: كان

---

(١) انظر: شرح النووي على مسلم ١٢/ ١١٤.

النبي ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق الناس قِبَلَ الصوت، فاستقبلهم النبي ﷺ قد سبق الناس إلى الصوت، وهو يقول: «**لم تراعوا، لم تراعوا**»، وهو على فرس لأبي طلحة عري ما عليه سرج، في عنقه سيف، فقال: «**لقد وجدته بحراً، أو إنه لبحر**»[١].

وهذا المثال وغيره من الأمثلة السابقة تدل دلالة واضحة على أن ﷺ أشجع إنسان على الإطلاق، فلم يكتحل الوجود بمثله ﷺ، وقد شهد له بذلك الشجعان الأبطال[٢].

قال البراء – رضي الله عنه –: كنا والله إذا احمرَّ البأس نتقي به،

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل ١٠/ ٤٥٥، برقم ٦٠٣٣، ومسلم، كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبي ﷺ وتقدمه للحرب ٤/ ١٨٠٢، برقم ٢٣٠٧ .

(٢) انظر: رواية علي بن أبي طالب في شجاعة النبي ﷺ في مسند أحمد ١/ ٨٦، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي ٢/ ١٤٣، وتقدم تخريجها في آخر المثال الأول من شجاعة النبي ﷺ في غزوة بدر.

وإن الشجاع منا للذي يحاذي به، يعني النبي ﷺ)[١].

وقال أنس في الحديث السابق: كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس...).

المثال الخامس: شجاعته العقلية ﷺ

كانت هذه الشواهد السابقة لشجاعته القلبية، أما شجاعته العقلية فسأكتفي بشاهد واحد؛ فإنه يكفي عن ألف شاهد ويزيد، وهو موقفه من تعنت سهيل بن عمرو، وهو يملي وثيقة صلح الحديبية، إذ تنازل ﷺ عن كلمة «بسم الله الرحمن الرحيم» إلى بسمك اللهم وعن كلمة «محمد رسول الله» إلى كلمة: محمد بن عبد الله، وقبوله شرط سهيل على أن لا يأتي النبي ﷺ رجل من قريش حتى ولو كان مسلماً إلَّا ردَّه إلى أهل مكة، وقد اغتاظ الصحابة غيظاً عظيماً، وبلغ الغضب حدًّا لا مزيد عليه، وهو ﷺ صابر ثابت حتى انتهت الوثيقة، وكان بعد أيام فتحاً مبيناً.

---

(١) أخرجه مسلم، ٣/ ١٤٠١، برقم ٧٩ – (١٧٧٦)، وتقدم تخريجه.

فضرب ﷺ بذلك المثل الأعلى في الشجاعتين: القلبية، والعقلية، مع بعد النظر، وأصالة الرأي، وإصابته؛ فإن من الحكمة أن يتنازل الداعية عن أشياء لا تضره بأصل قضيته لتحقيق أشياء أعظم منها[1].

وجميع ما تقدم نماذج من شجاعته ﷺ وثباته، وهذا نقطة من بحر، وإلا فإنه لو كُتِبَ في شجاعته ﷺ بالاستقصاء لكُتِبَ مجلدات، فيجب على كل مسلم، وخاصة الدعاة إلى الله – عز وجل – أن يتخذوا الرسول ﷺ قدوةً في كل أحوالهم وتصرفاتهم، وبذلك يحصل الفوز والنجاح، والسعادة في الدنيا والآخرة، ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[2].

---

(١) انظر: وثيقة صلح الحديبية كاملة في البخاري مع الفتح ٥/ ٣٢٩، برقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢، وشرح الوثيقة في الفتح ٥/ ٣٣٣-٣٥٢، ومسند أحمد ٤/ ٣٢٨-٣٣١، وانظر: هذا الحبيب يا محبّ ص٥٣٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

المبحث السادس عشر: حكمته ﷺ في الإصلاح وجمع القلوب

حكمته ﷺ في الإصلاح والتأسيس:

عندما وصل رسول الله ﷺ إلى المدينة كان فيها مجموعات من السكان متباينة في عقيدتها، مختلفة في أهدافها، متفرقة في اجتماعاتها، وكانت لديهم خلافات بعضها قديم موروث، وبعضها حديث موجود، وقد كانت هذه المجموعات على ثلاثة أصناف:

١ - المسلمون، من: الأوس، والخزرج، والمهاجرين.

٢ - المشركون، من: الأوس، والخزرج، والذين لم يدخلوا في الإسلام.

٣ - اليهود، وهم عدة قبائل: بنو قينقاع، وقد كانوا حلفاء الخزرج، وبنو النضير، وبنو قُريظة، وهاتان القبيلتان كانتا حلفاء الأوس.

وقد كان هناك خلاف مستحكم بين الأوس والخزرج، وكانت بينهما حروب في الجاهلية، وآخرها يوم بُعاثٍ ولا يزال في النفوس شيء منها[١].

لقد قام النبي ﷺ بحل هذه المشكلات كلها، بحكمته العظيمة، وحسن سياسته، وكان حله وإصلاحه لهذه الأوضاع، وجمعه لشمل المسلمين كالآتي:

١ - بناء المسجد والاجتماع فيه أول عمل وحَّد بين القلوب:

كان أول عمل قام به ﷺ في الإصلاح والتأسيس بناء المسجد النبوي، واشترك المسلمون جميعاً في البناء، وعلى رأسهم إمامهم محمد ﷺ ، وكان أول عمل تعاوني عام، وَحَّد بين القلوب، وأظهر الهدف العام للعمل، وقد كان

---

(١) انظر: البداية والنهاية ٣/ ٢١٤، وسيرة ابن هشام ٢/ ١١٤، وزاد المعاد ٣/ ٦٢، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٢/ ١٥٩، والرحيق المختوم ص١٧١، وهذا الحبيب يا محب ص١٧٤، وفقه السيرة لمحمد الغزالي ص١٨٨، والبخاري مع الفتح، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد ١/ ٥٢٤ (رقم ٤٢٨)، ومسلم، كتاب المساجد، باب بناء مسجد النبي ﷺ ١/ ٣٧٣، ٣٧٤ (رقم ٥٢٤).

لكل حي في المدينة – قبل قدوم النبي ﷺ – مكان يلتقون فيه، فيسمرون ويسهرون، وينشدون الأشعار، فكانت هذه الحال تدل على الفرقة والاختلاف، فعندما بُنيَ المسجد كان مركز المسلمين جميعاً، ومكان تجمعهم، يلتقون به في كل وقت، ويسألون رسول الله ﷺ فيعلمهم ويرشدهم ويوجههم(١).

وبهذا تجمعت الأندية، والتفَّت الأحياء، واقتربت القبائل، وتحابَّت البطون، وانقلبت التفرقة إلى وحدة، ولم تعد في المدينة جماعات، بل جماعة واحدة، ولم تعد زعامات، بل قائد واحد، هو رسول الله ﷺ ، يتلقى من ربه الأوامر والنواهي، ويُعلِّم أمته، فأصبح المسلمون صفاً واحداً، وامتزجت النفوس والعقليات، وتقوت الوحدة، وتآلفت الأرواح، وتعاونت الأجسام(٢).

---

(١) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه ٧/ ٢٣٩، ٢٤٠ (رقم ٣٩٠٦).

(٢) انظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٢/ ١٦١، ١٦٢، والرحيق المختوم ص١٧٩.

ولم يكن المسجد موضعاً لأداء الصلوات الخمس فحسب، بل كان جامعة يتلقى فيها المسلمون تعاليم الإسلام وتوجيهاته، ويجتمعون فيه، وتلتقي فيه العناصر القبلية المختلفة التي طالما نافرت بينها النزعات الجاهلية وحروبها وقاعدة لإدارة جميع الشؤون، وبثّ الانطلاقات، وموضعاً لعقد المجالس الاستشارية والتنفيذية.

ولهذا ما أقام رسول الله ﷺ بمكان في المدينة إلا كان أول ما يفعله بناء مسجد يجتمع فيه المؤمنون، فقد أقام مسجد قباء حين أقام فيها، وصلى الجمعة في بني سالم بن عوف، بين قباء والمدينة، في بطن وادي (رانوناء) فلما أن وصل إلى المدينة كان أول عمل عمله بناء المسجد فيها[1].

٢ – دعوة اليهود إلى الإسلام بالقول الحكيم:

ومن قواعد الإصلاح والتأسيس التي قام بها النبي ﷺ

---

(١) انظر: السيرة النبوية دروس وعبر، ص٧٤، وفقه السيرة ص١٨٩، وهذا الحبيب يا محب ص١٨٠.

- بعد أن دخل المدينة - الاتصال باليهود بواسطة عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - ودعوتهم إلى الإسلام.

فعن أنس - رضي الله عنه - قال: بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي ﷺ إلى المدينة، فأتاه، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، قال: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة، وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ فقال رسول الله ﷺ : «**خبَّرني بهن آنفاً جبريل**» قال ابن سلام: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله ﷺ : «**أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها**» [قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله]، قال: يا رسول الله، إن اليهود قوم بُهْتٌ، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بَهَتُوني عندك، [فأرسل نبي الله

ﷺ فأقبلوا فدخلوا عليه، فقال لهم رسول الله ﷺ : «**يا معشر اليهود، ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً، وأني جئتكم بحق، فأسلموا**»، قالوا: ما نعلمه، قالوا للنبي ﷺ – قالها ثلاث مرات – فقال رسول الله ﷺ : «**فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟**» قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا، قال: «**أفرأيتم إن أسلم؟**» قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم، قال: «**أفرأيتم إن أسلم؟**» قالوا حاشا لله ما كان ليسلم، قال: «**أفرأيتم إن أسلم؟**» قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم، قال: «**يا ابن سلام اخرج عليهم**»، فخرج فقال: يا معشر اليهود، اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بحق، فقالوا: كذبت، [شرنا، وابن شرنا]، ووقعوا فيه[1].

---

(١) البخاري مع الفتح، في كتاب أحاديث الأنبياء ٦/ ٣٦٢، برقم ٣٣٢٩، وفي كتاب مناقب الأنصار ٧/ ٢٥٠ (رقم ٣٩١١)، ٧/ ٢٧٢ (رقم ٣٩٣٨)، والألفاظ من =

وهذه أول تجربة تلقاها رسول الله ﷺ من اليهود عند دخول المدينة[١].

ومن حسن سياسته ﷺ أنه وافق على إخفاء عبد الله بن سلام حتى يسأل اليهود عن مكانته بينهم، وعندما أثنوا عليه، ورفعوا من قدره أمره بالخروج فخرج وأعلن شهادته، وأظهر ما كان يكتمه اليهود من صدق النبي ﷺ. ثم ضبطهم ﷺ بالمعاهدة التي ستأتي.

٣ – المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

كما قام النبي ﷺ بالبدء ببناء المسجد ودعوة اليهود إلى الإسلام، قام ﷺ بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وهذا من الرشد، والكمال النبوي، والنضج السياسي،

= المواضع الثلاثة، وانظر أيضاً: البخاري مع الفتح ٨/ ١٦٥، برقم ٤٤٨٠، والبداية والنهاية ٣/ ٢١٠.

(١) انظر: الرحيق المختوم ص١٧٥، وهذا الحبيب يا محب ص١٧٥، وفقه السيرة لمحمد الغزالي ص١٩٨، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٢/ ١٧٣.

والحكمة المحمدية[(١)].

آخى بينهم ﷺ في دار أنس بن مالك، وكانوا تسعين رجلاً، نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار، آخى بينهم على المواساة، يتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام إلى حين وقعة بدر، فلما أنزل الله – عز وجل –: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾[(٢)]، ردّ التوارث إلى الرحم دون عقد الأخوة[(٣)].

ذابت عصبيات الجاهلية، فلا حمية إلا للإسلام، وسقطت فوارق النسب واللون والوطن، فلا يتقدم أحد أو يتأخر إلا بمروءته وتقواه، وكانت عواطف الأخوة، والإيثار؛ والمواساة والمؤانسة تمتزج في هذه الأخوة، وتملأ المجتمع الجديد بأروع الأمثال؛ وفي هذه الأخوة أقوى

(١) انظر: هذا الحبيب يا محب، لأبي بكر الجزائري ص١٧٨.

(٢) سورة الأنفال: الآية: ٧٥.

(٣) انظر: زاد المعاد ٣/ ٦٣، والرحيق المختوم ص١٨٠.

مظهر من مظاهر عدالة الإسلام الإنسانية والأخلاقية[١].

ولم تكن هذه المؤاخاة معاهدة دُوِّنت على الورق فحسب، ولا كلمات قيلت باللسان فقط؛ وإنما كانت مؤاخاة سجلت على صفحات القلوب، وعملاً يرتبط بالدماء والأموال، لا كلاماً يثرثر به اللسان، إنها مؤاخاة في القول والعمل، والنفس والمتاع والأملاك، في العسر واليسر[٢].

ومن أروع الأمثال لذلك ما رواه البخاري في صحيحه آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن الربيع، فقال سعد: قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالاً، فسأقسم مالي بيني وبينك نصفين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن، ثم تابع

(١) انظر: زاد المعاد ٣/ ٦٣، والرحيق المختوم ص١٨٠.

(٢) انظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٢/ ١٦٥، وفقه السيرة لمحمد الغزالي، ص١٩٢.

الغدوة ثم جاء يوماً وبه أثر صُفرة، فقال النبي ﷺ : «**مَهْيَم؟**»[١]، قال: تزوجت امرأة من الأنصار، فقال: «**ما سقت فيها؟**» قال: وزن نواة من ذهب، أو نواة من ذهب، فقال: «**أولِم ولو بشاة**»[٢].

وهذه المؤاخاة حكمة فذَّة، وسياسة صائبة، وحلٌّ رائعٌ لكثير من المشكلات التي كان يواجهها المسلمون.

٤ – التربية الحكيمة:

وقد كان ﷺ يتعهدهم بالتعليم والتربية وتزكية النفوس، والحث على مكارم الأخلاق، ويؤدبهم بآداب الود والإخاء والمجد والشرف والعبادة والطاعة[٣].

---

(١) مهيم: كلمة استفهام، أي: ما حالك، وما شأنك؟ انظر: القاموس المحيط، باب الميم، فصل الميم، ص١٤٩٩.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب إخاء النبي – ﷺ – بين المهاجرين والأنصار، ٧/ ١١٢ حديث رقم ٣٧٨٠، ٣٧٨١، واللفظ من الموضعين، وانظر: باب كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه، في الكتاب السابق نفسه.

(٣) انظر: الرحيق المختوم ص١٧٩، ١٨١، ٢٠٨، والتاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر ٢/ ١٦٥.

فقد كان يقول ﷺ : «يا أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»(١).

ويقول: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»(٢)، «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»(٣).

ويقول: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(٤).

ويقول: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»،

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة، باب حدثنا محمد بن بشار ٤/ ٦٥٢ (رقم ٢٤٨٥)، وقال: هذا حديث صحيح، وابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب إطعام الطعام، ٢/ ١٠٨٣ (رقم ٣٢٥١)، والدارمي ١/ ١٥٦، وأحمد ١/ ١٦٥، ٢/ ٣٩١، وانظر: صحيح الترمذي، ٢/ ٣٠٣.

(٢) مسلم، في كتاب الإيمان، باب تحريم إيذاء الجار، ١/ ٦٨ (رقم ٤٦).

(٣) البخاري مع الفتح، في كتاب الإيمان، باب أي الإسلام أفضل ١/ ٥٤ (رقم ١١)، ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل ١/ ٦٥ (رقم ٤١)، واللفظ له.

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ١/ ٥٦ (رقم ١٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ١/ ٦٧ (رقم ٤٥).

وشبك بين أصابعه[١].

ويقول: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا» - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله وعرضه»[٢].

وقال: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»[٣].

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الصلاة باب تشبيك الأصابع في المسجد ١/ ٥٦٥ (رقم ٤٨١)، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ٤/ ١٩٩٩ (رقم ٢٥٨٥).

(٢) مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره وتحريم دمه وعرضه وماله ٤/ ١٩٨٦ (رقم ٢٥٦٤).

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب الهجر، وقول الرسول ﷺ: ((لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث)) ١٠/ ٤٩١ (رقم ٦٠٧٧)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي ٤/ ١٩٨٦ (رقم ٢٥٦٠).

وقال: «**تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين، ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظِروا هذين حتى يصطلحا، أنظِروا هذين حتى يصطلحا، أنظِروا هذين حتى يصطلحا**»(١).

وقال: «**تعرض الأعمال في كل يوم خميس وإثنين فيغفر الله – عز وجل – في ذلك اليوم لكل امرئٍ لا يُشرك بالله شيئاً إلا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: اركوا(٢) هذين حتى يصطلحا، اركوا هذين حتى يصطلحا**»(٣).

وقال ﷺ : «**انصُر أخاك ظالماً أو مظلوماً**» قيل: يا رسول الله، هذا نصرته مظلوماً، فكيف أنصره إذا كان

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب النهي عن الشحناء والتهاجر ٤/ ١٩٨٧ (رقم ٢٥٦٥).

(٢) اركوا هذين: أي أخروا، يقال: ركاه، يركوه ركوا، إذا أخره، انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/ ١٢٢.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الشحناء والتهاجر، ٤/ ١٩٨٨ (رقم ٢٥٦٥/ ٣٦).

ظالماً؟ قال: «تحجزه أو تمنعه من الظلم فذلك نصره»[١].

وقال: «حق المسلم على المسلم ست»، قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: «إذا لقيته فسلِّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمِّته، وإذا مرض فعُده، وإذا مات فاتبعه»[٢].

وعن البراء بن عازب قال: أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع: «أمرنا بعيادة المريض، واتباع الجنازة، وتشميت العاطس، وإجابة الداعي، وإفشاء السلام، ونصر المظلوم، وإبرار المقسم، ونهانا عن خواتيم الذهب، وعن الشُّرب في الفضة» - أو قال: «في آنية

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ٤/ ١٩٩٨ (رقم ٢٥٨٤)، بمعناه، وأخرجه أحمد بلفظه ٣/ ٩٩، والبخاري مع الفتح في كتاب المظالم، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً ٥/ ٩٨ (رقم ٢٤٤٣، ٢٤٤٤)، وكتاب الإكراه، باب يمين الرجل لصاحبه ١٢/ ٢٢٣ (رقم ٦٩٥٢).

(٢) البخاري مع الفتح بنحوه في كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز ٣/ ١١٢ (رقم ١٢٤٠)، ومسلم في كتاب السلام، باب من حق المسلم على المسلم رد السلام (٤/ ١٧٠٥)، برقم ٢١٦٢ .

الفضة – وعن المياثر[١]، والقسي[٢]، وعن لبس الحرير، والديباج[٣]، والإستبرق»[٤].

وقال: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أَوَلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم»[٥].

وسئل ﷺ: أي الإسلام خير؟ فقال: «تُطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»[٦].

ويقول: «مَثَل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم،

---

(١) المياثر: سروج من الديباج أو الحرير. الفتح ١٠/ ٢٩٣.

(٢) ثياب مضلعة بالحرير: أي فيها خطوط منه. الفتح ١٠/ ٢٩٣.

(٣) الديباج والإستبرق: صنفان من الحرير. انظر: فتح الباري ١٠/ ٣٠٧.

(٤) البخاري مع الفتح، في كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز ٣/ ١١٢ (رقم ١٢٣٩)، ٥/ ٩٩، ٩/ ٢٤٠، ١٠/ ٩٦، وانظر مواضع الحديث في البخاري مع فتح الباري ٣/ ١١٢.

(٥) مسلم، في كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ١/ ٧٤ (رقم ٥٤).

(٦) البخاري مع الفتح في كتاب الإيمان، باب إطعام الطعام من الإسلام ١/ ٥٥ (رقم ١٢)، ومسلم في الإيمان باب بيان تفاضل الإسلام ١/ ٦٥ (رقم ٣٩).

مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[١].

وقال ﷺ: «من لا يرحَم لا يُرحم»[٢].

وقال: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله عز وجل»[٣].

وقال ﷺ: «سباب المسلم فسوقٌ، وقتاله كفر»[٤].

وسواء وصلت هذه النصوص للأنصار من النبي ﷺ مباشرة، أو سمعوا بعضها من المهاجرين الذين سمعوا من النبي ﷺ قبل الهجرة، فكل ذلك تربية منه ﷺ لأصحابه

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم ١٠/ ٤٣٨ (رقم ٦٠١١)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم ٤/ ٢٠٠٠ (رقم ٢٥٨٦).

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم ١٠/ ٤٣٨ (رقم ٦٠١٣)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك ٤/ ١٨٠٩ (رقم ٢٣١٩).

(٣) مسلم، في كتاب الفضائل، الباب السابق ٤/ ١٨٠٩.

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر ١/ ١١٠ (رقم ٤٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي ﷺ: ((سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)) (رقم ٦٤).

جميعاً، ولمن بلغته هذه النصوص إلى يوم الدين.

وغير ذلك من النصوص التي ربّى بها محمد ﷺ أصحابه فقد كان يحثهم على الإنفاق، ويذكر من فضائله ما يشوِّق النفوس والقلوب، وكان يحث على الاستعفاف عن المسألة، ويذكر لهم فضل الصبر والقناعة، وكان يرغبهم في العبادات بما فيها من الفضائل والأجر والثواب، وكان يربطهم بالوحي النازل من السماء ربطاً موثقاً يقرؤه عليهم ويقرؤونه؛ لتكون هذه الدراسة إشعاراً بما عليهم من حقوق الدعوة، فضلاً عن ضرورة الفهم والتدبر.

وهكذا رفع ﷺ معنوياتهم، ودربهم على أعلى القيم والمثل حتى صاروا صورة لأعلى قمة من الكمال الإنساني.

بمثل هذا استطاع النبي ﷺ أن يبني مجتمعاً مسلماً أروع وأشرف مجتمع عرفه التاريخ، وأن يضع لمشاكل هذا المجتمع حلاً بعد أن كان يعيش في ظلمات الجهل والخرافات، فأصبح مجتمعاً يضرب به المثل في جميع

الكمال الإنساني، وهذا بفضل الله وحده، ثم بفضل هذا النبي الحكيم، فحَريٌّ بالدعاة إلى الله أن يسلكوا مسلكه، ويهتدوا بهديه ﷺ[١].

٥ – ميثاق المهاجرين والأنصار وموادعة اليهود:

بعد أن قام رسول الله ﷺ بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، عقد معاهدة أزاح بها كل ما كان من حزازات الجاهلية والنزعات القبلية، ولم يترك مجالاً لتقاليد الجاهلية، وقد وضع في هذه المعاهدة ميثاقاً للمهاجرين والأنصار، متضمناً موادعة اليهود بالمدينة، وهذا من أبرز الجهود التي بذلها ﷺ في الإصلاح والتأسيس.

كتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه اليهود، وعاهدهم، وأقرهم على أموالهم، واشترط عليهم، وشرط لهم[٢].

---

(١) انظر: الرحيق المختوم، ص١٨٣.

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٢٢٤-٢٢٦، وزاد المعاد ٣/ ٦٥، وانظر: كتابة الميثاق بين المسلمين ويهود المدينة في سيرة ابن هشام ٢/ ١١٩-١٢٣.

وهذا الميثاق في غاية الدقة، وحسن السياسة، وكمال الحكمة من النبي ﷺ ، فقد ربط بين جميع المسلمين في المدينة وبين اليهود، فأصبحوا كتلة واحدة، يستطيعون أن يقفوا في وجه كل من يريد أهل المدينة بسوء.

وهذه الخطوات الخمس: بناء المسجد، ودعوة اليهود إلى الإسلام، والمؤاخاة بين المؤمنين وتربيتهم، وكتابة الميثاق، هي التي حل بها النبي ﷺ - بفضل الله تعالى - الخلاف المستحكم بين سكان المدينة، وأزال بها جميع آثار الماضي، ووحَّد بها قلوب المسلمين، وطبَّق بها النظام المتقن داخل المدينة، ومن ثم انتشر هذا النظام، والدعوة إلى الله من هذه المدينة إلى جميع أقطار العالم[1].

---

(١) انظر: الرحيق المختوم ص١٧١، ١٧٨، ١٨٥، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٢/ ١٦٦، ٢/ ٦٩، ١٦٠، وهذا الحبيب يا محب ص١٧٦، ١٧٤.

المبحث السابع عشر: بلاغة النبي ﷺ :

مما يدل على تأثير القرآن العظيم في القلوب ما قاله جبير بن مطعم رضي الله عنه : (سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطُّور، فَلَمّا بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾[1] كاد قلبي أن يطير [وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي][2].

وهذا يدل على تأثير القرآن الكريم في القلوب، وكذلك أحاديث رسول الله ﷺ ؛ فإنها الوحي الثاني ولها

(١) سورة الطور، الآيات: ٣٥-٣٧ .

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة الطور، بابٌ: حدثنا عبد الله بن يوسف، ٦/ ٦٨، برقم ٤٨٥٤، وما بين المعكوفين من الطرف رقم ٤٠٢٣ من كتاب المغازي ٥/ ٢٥، وأخرجه مسلم بنحوه في كتاب الصلاة، باب القراءة في الصبح، ١/ ٣٣٨، برقم ٤٦٣ .

تأثير في القلوب أيضاً، ومما يدل على تأثير كلام رسول الله ﷺ في القلوب وبلاغته الأمثلة الآتية:

المثال الأول: قصة ضماد رضي الله عنه:

عندما قدم ضماد رضي الله عنه مكة، وكان يرقي من الجن، فسمع سفهاءَ من أهل مكة يقولون: إن محمداً مجنون، فقال: لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يديَّ، فلقيه فقال: يا محمد إني أرقي من هذه الريح[1] وإن الله يشفي على يديَّ من شاء، فهل لك[2]؟ فقال رسول الله ﷺ: **«إن الحمدَ لله، نحمدُهُ، ونستعينه، من يهده الله فلا مُضِلّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده وسوله. أما بعد»** فقال: أعد عليَّ كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات. فقال: لقد سمعت قول

---

(١) المراد بالريح هنا: الجنون ومس الجن. شرح النووي على صحيح مسلم ٦/ ٤٠٦ .
(٢) أي فهل لك رغبة في رقيتي، وهل تميل إليها؟ انظر: المرجع السابق ٦/ ٤٠٦ .

الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بَلَغْنَ ناعوس البحر[١]، فقال: هات يدك أُبَايِعْكَ على الإسلام، فقال رسول الله ﷺ : «وعلى قومك؟» قال: وعلى قومي[٢].

المثال الثاني: مع الطفيل بن عمرو رضي الله عنه :

ومن بلاغته ﷺ ما جاء عن الطفيل بن عمرو رضي الله عنه أنه كان شاعراً، وسيِّداً في قومه، فقدم مكة، فحذرته قريش من مقابلة الرسول ﷺ ، وقالوا: إن كلامه كالسحر فاحذره أن يدخل عليك وعلى قومك ما أدخل علينا؛ فإنه يُفرّق بين المرء وزوجه، وبين المرء وابنه، فما زالوا يحذرونه، حتى حلف أن لا يدخل المسجد إلا وقد سدَّ أُذنيه، فسد أذنيه بقطن، ثم دخل المسجد، فأعجبه فقال في نفسه: إني امرؤ

---

(١) قيل: ناعوس البحر، وقيل: قاموس البحر، وهو وسطه، ولُـجّتَه، أو قعره. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٦/ ٤٠٧ .

(٢) مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ٢/ ٥٩٣، برقم ٨٦٨ .

ثَبْتٌ ما تخفى عليَّ الأمور: حُسْنُها وقُبْحُها، والله لأَسْمَعَنَّ منه؛ فإن كان أمره رُشداً أخذته منه وإلا اجتنبته، فنزع القطن فلم يسمع كلاماً أحسن من كلامِه، فلحقه إلى بيته ودخل معه وأخبره الخبر، وقال: اعرض عليَّ دينك؟ فعرض عليه ﷺ الإسلام فأسلم[1].

فينبغي للدعاة إلى الله عزّ وجلّ أن يعتنوا بتذكير الناس بالقرآن الكريم، وبسنة محمد ﷺ . والله المستعان.

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١/ ٣٤٥ .

المبحث الثامن عشر: معجزاته ودلائل نبوّته ﷺ

من أعظم الأقوال الحكيمة في دعوة أهل الكتاب وغيرهم من الكفار أن تبيّن لهم البراهين والأدلة القطعية الدالة على صدق رسالة محمد ﷺ إلى الناس أجمعين.

ولا شك أن الآيات والبينات الدالة على نبوته ﷺ وعموم رسالته كثيرة متنوعة، وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء، وجميع الأنواع تنحصر في نوعين:

(أ) منها: ما مضى وصار معلوماً بالخبر الصادق كمعجزات موسى وعيسى.

(ب) ومنها: ما هو باق إلى اليوم كالقرآن، والعلم والإيمان اللذين في أتباعه، فإن ذلك من أعلام نبوته، وكشريعته التي أتى بها، والآيات التي يظهرها الله وقتاً بعد وقتٍ من كرامات الصالحين من أمته، وظهور دينه بالحجة والبرهان، وصفاته الموجودة في كتب الأنبياء قبله وغير

ذلك[١]، وهذا باب واسع لا أستطيع حصره؛ ولكن سأقتصر في إثبات نبوته ﷺ وعموم رسالته على المطالب الآتية:

المطلب الأول: معجزات القرآن العظيم.

المطلب الثاني: معجزاته ﷺ الحسية.

المطلب الأول: معجزات القرآن العظيم:

المعجزة لغة: ما أُعجزَ به الخصم عند التحدي[٢].

وهي أمر خارق للعادة يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله، يجعله الله على يد من يختاره لنبوته؛ ليدلّ على صدقه وصحة رسالته[٣].

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤/ ٦٧ – ٧١ .

(٢) انظر: القاموس المحيط، باب الزاي، فصل العين، ص ٦٦٣ .

(٣) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ١/ ٦٦، والمعجم الوسيط، مادة: عجز ٢/ ٥٨٥، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، للدكتور صالح الفوزان ٢/ ١٥٧ .
والفرق بين المعجزة والكرامة: هو أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بدعوة النبوة والتحدي للعباد. أما الكرامة: فهي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا التحدي، ولا تكون الكرامة إلا لعبد ظاهره الصلاح، مصحوباً بصحة =

والقرآن الكريم كلام الله المنزل على محمد ﷺ هو المعجزة العظمى، الباقية على مرور الدهور والأزمان، المعجز للأولين والآخرين إلى قيام الساعة[١]، قال النبي ﷺ: **«ما من الأنبياء نبيّ إلا أعطي من الآيات على ما مثله آمن البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»**[٢].

وليس المراد في هذا الحديث حصر معجزاته ﷺ في القرآن، ولا أنه لم يؤت من المعجزات الحسية كمن

= الاعتقاد والعمل الصالح. أما إذا ظهر الأمر الخارق على أيدي المنحرفين فهو من الأحوال الشيطانية. وإذا ظهر الأمر الخارق على يد إنسان مجهول الحال؛ فإن حاله يعرض على الكتاب والسنة كما قال الإمام الشافعي – رحمه الله -: (إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة). انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص٥١٠، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٣، والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية للسلمان، ص٣١١.

(١) انظر: الداعي إلى الإسلام للأنباري ص٣٩٣ .

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي ٩/ ٣ (رقم ٤٩٨١)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ١/ ١٣٤ (رقم ١٥٢).

تقدمه، بل المراد أن القرآن المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره؛ لأن كل نبي أُعطي معجزة خاصة به، تحدّى بها من أُرسل إليهم، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه؛ ولهذا لما كان السحر فاشياً في قوم فرعون جاءه موسى بالعصا على صورة ما يصنع السحرة، لكنها تلقف ما صنعوا، ولم يقع ذلك بعينه لغيره.

ولما كان الأطباء في غاية الظهور جاء عيسى بما حيّر الأطباء، من: إحياء الموتى، وإبراء الأكمه، والأبرص، وكل ذلك من جنس عملهم، ولكن لم تصل إليه قدرتهم.

ولما كانت العرب أرباب الفصاحة والبلاغة والخطابة جعل الله – سبحانه – معجزة نبينا محمد ﷺ القرآن الكريم الذي[1] ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ

(١) انظر: فتح الباري ٩/ ٦، ٧، وشرح النووي على مسلم ٢/ ١٨٨، وأعلام النبوة للماوردي ص٥٣، وإظهار الحق ٢/ ١٠١ .

خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[١].

ولكن معجزة القرآن الكريم تتميز عن سائر المعجزات؛ لأنه حجة مستمرة، باقية على مرّ العصور، والبراهين التي كانت للأنبياء انقرض زمانها في حياتهم ولم يبق منها إلا الخبر عنها، أما القرآن فلا يزال حجة قائمة كأنما يسمعها السامع من فم رسول الله، ولاستمرار هذه الحجة البالغة قال ﷺ : «**فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يومَ القيامة**»[٢].

والقرآن الكريم آية بيّنة، معجزة من وجوه متعددة، من جهة اللفظ، ومن جهة النظم، والبلاغة في دلالة اللفظ على المعنى، ومن جهة معانيه التي أمر بها، ومعانيه التي أخبر بها عن الله – تعالى – وأسمائه وصفاته وملائكته، وغير ذلك من الوجوه الكثيرة التي ذكر كل عالمٍ ما فتح

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٢ .

(٢) انظر: البداية والنهاية ٦/ ٦٩، وتقدم تخريج الحديث.

الله عليه به منها[1]، وسأقتصر على أربعة وجوه من باب المثال لا الحصر بإيجاز على النحو الآتي:

الوجه الأول: الإعجاز البياني والبلاغي:

من الإعجاز القرآني ما اشتمل عليه من البلاغة والبيان، والتركيب المعجز، الذي تحدى به الإنس والجن أن يأتوا بمثله، فعجزوا عن ذلك، قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾[3].

---

(١) انظر: الجواب الصحيح ٤/ ٧٤، ٧٥، وأعلام النبوة للماوردي ص٥٣-٧٠، والبداية والنهاية ٦/ ٥٤، ٦٥، والبرهان في علوم القرآن للزركشي ٢/ ٩٠-١٢٤، ومناهل العرفان للزرقاني ٢/ ٢٢٧-٣٠٨.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٨ .

(٣) سورة الطور، الآيتان: ٣٣، ٣٤ .

وبعد هذا التحدي انقطعوا فلم يتقدم أحد، فمدّ لهم في الحبل وتحداهم بعشر سور مثله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[1]. فعجزوا فأرخى لهم في الحبل فقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[2]، ثم أعاد التحدي في المدينة بعد الهجرة، فقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[3].

---

(١) سورة هود، الآية: ١٣ .

(٢) سورة يونس، الآية: ٣٨ .

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ٢٣، ٢٤ .

فقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ أي: فإن لم تفعلوا في الماضي، ولن تستطيعوا ذلك في المستقبل، فثبت التحدي، وأنهم لا يستطيعون أن يأتوا بسورة من مثله فيما يستقبل من الزمان، كما أخبر قبل ذلك، وأمر النبي وهو بمكة أن يقول: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1].

فعم بأمره له أن يخبر جميع الخلق معجزاً لهم، قاطعاً بأنهم إذا اجتمعوا لا يأتون بمثل هذا القرآن، ولو تظاهروا وتعاونوا على ذلك، وهذا التحدي لجميع الخلق، وقد سمعه كل من سمع القرآن، وعرفه الخاص والعام، وعلم مع ذلك أنهم لم يعارضوه، ولا أتوا بسورة مثله من حين بُعِثَ ﷺ إلى اليوم والأمر على ذلك[2].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٨ .

(٢) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤/ ٧١-٧٧، والبداية والنهاية ٦/ ٦٥.

والقرآن يشتمل على آلاف المعجزات؛ لأنه مائة وأربع عشرة سورة، وقد وقع التحدي بسورة واحدة، وأقصر سورة في القرآن سورة الكوثر، وهي ثلاث آيات قصار، والقرآن يزيد بالاتفاق على ستة آلاف ومائتي آية، ومقدار سورة الكوثر من آيات أو آية طويلة على ترتيب كلماتها له حكم السورة الواحدة، ويقع بذلك التحدي والإعجاز[1]؛ ولهذا كان القرآن الكريم يغني عن جميع المعجزات الحسية والمعنوية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الوجه الثاني: الإخبار عن الغيوب:

من وجوه الإعجاز القرآني أنه اشتمل على أخبار كثيرة من الغيوب التي لا علم لمحمد ﷺ بها، ولا سبيل لبشر مثله أن يعلمها، وهذا مما يدلّ على أن القرآن كلام الله –

---

(١) انظر: استخراج الجدال من القرآن الكريم لابن نجم ص١٠٠، وفتح الباري ٦/ ٥٨٢، ومناهل العرفان للزرقاني ١/ ٣٣٦، ١/ ٢٣١، ٢٣٢ .

تعالى - الذي لا تخفى عليه خافية: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[1].

والإخبار بالغيوب أنواع:

النوع الأول: غيوب الماضي: وتتمثل في القصص الرائعة وجميع ما أخبر الله به عن ماضي الأزمان.

النوع الثاني: غيوب الحاضر: أخبر اللهُ رسولَه ﷺ بغيوب حاضرة، ككشف أسرار المنافقين، والأخطاء التي وقع فيها بعض المسلمين، أو غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله، وأطلع عليه رسوله ﷺ.

النوع الثالث: غيوب المستقبل، أخبر اللهُ رسولَه ﷺ بأمور لم تقع، ثم وقعت كما أخبر، فدلّ ذلك على أن

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

القرآن كلام الله، وأن محمداً ﷺ رسول الله[١].

الوجه الثالث: الإعجاز التشريعي:

القرآن العظيم جاء بهدايات كاملة تامّة، تفي بحاجات جميع البشر في كل زمان ومكان؛ لأن الذي أنزله هو العليم بكل شيء، خالق البشرية والخبير بما يُصلحها ويُفسدها، وما ينفعها ويضرّها، فإذا شرع أمراً جاء في أعلى درجات الحكمة والخبرة ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[٢].

ويزداد الوضوح عند التأمل في أحوال الأنظمة والقوانين البشرية التي يظهر عجزها عن معالجة المشكلات البشرية ومسايرة الأوضاع والأزمنة

(١) انظر: الداعي إلى الإسلام للأنباري ص٤٢٤-٤٢٨، وإظهار الحق ٦٥-١٠٧، ومناهل العرفان ٢/ ٢٦٣، ومعالم الدعوة للديلمي ١/ ٤٦٣.
وقد أخبر ﷺ بأمور غيبية كثيرة جداً. انظر: جامع الأصول لابن الأثير ١١/ ٣١١-٣٣١.

(٢) سورة الملك، الآية: ١٤.

والأحوال، مما يضطر أصحابها إلى الاستمرار في التعديل والزيادة والنقص، فيُلْغُونَ غداً ما وضعوه اليوم؛ لأن الإنسان محلّ النقص والخطأ، والجهل لأعماق النفس البشرية، والجهل بما يحدث غداً في أوضاع الإنسان وأحواله، وفيما يصلح البشرية في كل عصر ومصر.

وهذا دليل حسي مُشاهد على عجز جميع البشر عن الإتيان بأنظمة تصلح الخلق وتقوّم أخلاقهم، وعلى أن القرآن كلام الله سليم من كل عيب، كفيل برعاية مصالح العباد، وهدايتهم إلى كل ما يصلح أحوالهم في الدنيا والآخرة إذا تمسكوا به واهتدوا بهديه[1]، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[2].

---

(١) انظر: مناهل العرفان للزرقاني ٢/ ٢٤٧، وأثر تطبيق الحدود في المجتمع الإسلامي، من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ص١١٧، ومعالم الدعوة للديلمي ١/ ٤٢٦ .

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٩ .

وبالجملة فإن الشريعة التي جاء بها كتاب الله – تعالى – مدارها على ثلاث مصالح:

المصلحة الأولى: درء المفاسد عن ستة أشياء[١]: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسب، والعرض، والمال.

المصلحة الثانية: جلب المصالح[٢]: فقد فتح القرآن الأبواب لجلب المصالح في جميع الميادين، وسدّ كل ذريعة تؤدي إلى الضرر.

المصلحة الثالثة: الجري على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات.

فالقرآن الكريم حلّ جميع المشاكل العالمية التي عجز عنها البشر، ولم يترك جانباً من الجوانب التي يحتاجها البشر في الدنيا والآخرة إلا وضع لها القواعد، وهدى إليها بأقوم الطرق وأعدلها[٣].

---

(١) درء المفاسد هو المعروف عند أهل الأصول بالضروريات. انظر: أضواء البيان ٣/ ٤٤٨.

(٢) جلب المصالح يعرف عند أهل الأصول بالحاجيات. أضواء البيان ٣/ ٤٤٨.

(٣) انظر: أضواء البيان ٣/ ٤٠٩-٤٥٧، فقد أوضح هذا الجانب بالأدلة العقلية والنقلية جزاه الله خيراً وغفر له.

الوجه الرابع: الإعجاز العلمي الحديث:

يتصل بما ذكر من إعجاز القرآن في إخباره عن الأمور الغيبية المستقبلة نوع جديد كشف عنه العلم في العصر الحديث، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْأَفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[1].

لقد تحقق هذا الوعد من ربنا في الأزمنة المتأخرة، فرأى الناس آيات الله في آفاق المخلوقات بأدق الأجهزة والوسائل: كالطائرات، والغوَّاصات، وغير ذلك من أدق الأجهزة الحديثة التي لم يمتلكها الإنسان إلا في العصر الحديث... فمن أخبر محمداً ﷺ بهذه الأمور الغيبية قبل ألف وأربعمائة وستة وعشرين عاماً؟ إن هذا يدلّ على أن القرآن كلام الله، وأن محمداً رسول الله حقّاً.

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٥٣ .

وقد اكتُشِفَ هذا الإعجاز العلمي: في الأرض وفي السماء، وفي البحار والقفار، وفي الإنسان والحيوان، والنبات، والأشجار، والحشرات، وغير ذلك، ولا يتّسع المقام لذكر الأمثلة العديدة على ذلك[1].

المطلب الثاني: معجزات النبي ﷺ الحسية:

معجزات النبي ﷺ الحسية الخارقة للعادة كثيرة جداً[2]، لا أستطيع حصرها، وسأقتصر بإيجاز على ذكر تسعة أنواع منها على سبيل المثال، على النحو الآتي:

النوع الأول: المعجزات العلوية، ومنها:

١ - انشقاق القمر: وهذه من أُمَّهات معجزاته ﷺ

---

(١) انظر أمثلة كثيرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ٢/ ٢٧٨-٢٨٤، وكتاب الإيمان، لعبد المجيد الزنداني ص٥٥-٥٩، وكتاب التوحيد للزنداني أيضاً ١/ ٧٤-٧٧.

(٢) قال ابن تيمية – رحمه الله –: (قد جمعت نحو ألف معجزة). انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص١٥٨.

ومعجزاته – ﷺ – تزيد على ألف ومائتين، وقيل: ثلاثة آلاف معجزة. انظر: فتح الباري ٦/ ٥٨٣.

الدالة على صدقه، فقد سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يُريهم آية، فأراهم القمر شقتين حتى رأوا جبل حِراء بينهما[١]، قال تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ الآيات[٢].

٢ - صعوده ﷺ ليلة الإسراء والمعراج إلى ما فوق السماوات: وهذا ما أخبر به القرآن الكريم، وتواترت به الأحاديث، قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٣].

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب انشقاق القمر ٧/ ١٨٢، ٦/ ٦٣١ (رقم ٣٦٣٦)، ٨/ ٦١٧، ومسلم، صفات المنافقين، باب انشقاق القمر، ٤/ ٢١٥٩ (رقم ٢٨٠٠).

(٢) سورة القمر، الآيتان: ١ – ٢ .

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١ .

وهذه الآية من أعظم معجزاته ﷺ ، فإنه أُسري به إلى بيت المقدس، وقطع المسافة في زمن قصير، ثم عُرِجَ به إلى السماوات، ثم صعد إلى مكان يسمع فيه صريف الأقلام، ورأى الجنة، وفُرِضَت عليه الصلوات، ورجع إلى مكة قبل أن يُصبح، فكذَّبته قريش، وطلبوا منه علامات تدلّ على صدقه، ومن ذلك علامات بيت المقدس؛ لعلمهم بأنه ﷺ لم يرَ بيت المقدس قبل ذلك، فجلَّى الله له بيت المقدس ينظر إليه ويخبرهم بعلاماته وما سألوا عنه[١].

وغير ذلك من الآيات العلوية، كحراسة السماء بالشهب عند بعثته ﷺ .

النوع الثاني: آيات الجوّ:

١ – من هذه المعجزات طاعةُ السَّحاب له ﷺ ، بإذن

---

(١) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب حديث الإسراء ٧/ ١٩٦ (رقم ٣٨٨٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال ١/ ١٥٦ (رقم ١٧٠).

الله تعالى في حصوله ونزول المطر وذهابه بدعائه[1] ﷺ .

٢ - ومن هذا النوع نصر الله للنبي ﷺ بالريح التي قال تعالى عنها: ﴿ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾[2]، وهذه الريح هي ريح الصَّبَا، أرسلها على الأحزاب، قال ﷺ : «**نُصِرْتُ بالصّبا، وأُهْلِكت عادٌ بالدَّبورِ**»[3]، وغير ذلك.

النوع الثالث: تصرفه في الحيوان: الإنس، والجنّ والبهائم:

وهذا باب واسع، منه على سبيل المثال:

(أ) تصرفه في الإنس:

١ - كان علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يشتكي عينيه من

---

(١) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب الجمعة، باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة ٢/ ٤١٣ (رقم ٩٣٣)، ومسلم، كتاب الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء ٢/ ٦١٤ (رقم ٨٩٧).

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٩ .

(٣) مسلم، كتاب الاستسقاء، باب في ريح الصبا والدبور (رقم ٩٠٠).

وجعٍ بهما، فبصقَ رسول الله ﷺ فيهما ودعا له فبرأ، كأَنْ لم يكن به وجع[١].

٢ - انكسرت ساق عبد الله بن عتيك - رضي الله عنه - فمسحها رسول الله ﷺ، فكأنها لم تنكسر قطُّ[٢].

٣ - أُصيب سلمة بن الأكوع بضربة في ساقه يوم خيبر، فنفث فيها رسول الله ﷺ ثلاث نفثات، فما اشتكاها سلمة بعد ذلك[٣].

(ب) تصرفه في الجنّ والشياطين:

١ - كان ﷺ يُخرج الجن من الإنس بمجرد المخاطبة. فيقول: «اخرج عدو الله أنا رسول الله»[٤].

(١) انظر: البخاري، كتاب الجهاد، باب فضل من أسلم على يديه رجل ٦/ ١٤٤ (رقم ٣٠٠٩)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي رضي الله عنه ٤/ ١٨٧٢ (رقم ٢٤٠٦).

(٢) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب قتل أبي رافع ٧/ ٣٤٠ (رقم ٤٠٣٩).

(٣) انظر: المرجع السابق، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر ٧/ ٤٧٥ (رقم ٤٢٠٦).

(٤) مسند أحمد ٤/ ١٧٠-١٧٢، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٦: رجال أحمد رجال الصحيح.

٢ - أخرج الشيطان من صدر عثمان بن أبي العاص، فضرب صدر عثمان بيده ثلاث مرات، وتفل في فمه، وقال: «اخرج عدو الله» فعل ذلك ثلاث مرات، فلم يُخالط عثمان الشيطان بعد ذلك[1].

(ج) تصرفه في البهائم:

وقد حصل له مراراً، ومن ذلك أنه جاء بعير فسجد للنبي ﷺ، فقال أصحابه: يا رسول الله! تسجد لك البهائم والشجر، فنحن أحقّ أن نسجد لك، فقال ﷺ: «اعبدوا ربَّكم، وأكرِمُوا أخاكُم، ولو كنتُ آمراً أحداً أن يسجُدَ لأحدٍ لأمرتُ المرأةَ أن تسجد لزوجها...»[2].

---

(١) ابن ماجه، كتاب الطب، باب الفزع والأرق وما يتعوذ منه، بسند حسن ٢/ ١١٧٤ (رقم ٣٥٤٨)، وانظر: صحيح ابن ماجه ١/ ٢٧٣.

(٢) مسند أحمد ٦/ ٧٦، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٩: إسناده جيد، وانظر: معجزات من هذا النوع مسند الإمام أحمد ٤/ ١٧٠-١٧٢، ومجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ٣-١٢.

النوع الرابع: تأثيره في الأشجار والثمار والخشب:

(أ) تأثيره في الأشجار:

١ - جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ وهو في سفر، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فقال الأعرابي: ومن يشهد لك على ما تقول؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هذه السَّلمة**»[(١)]، فدعاها رسول الله ﷺ وهي بشاطئ الوادي، فأقبلت تخدّ[(٢)] الأرض خدّاً حتى قامت بين يديه، فأشهدها ثلاثاً، فشهدتْ ثلاثاً أنه كما قال، ثم رجعت إلى مَنْبَتِها[(٣)].

٢ - أراد رسول الله ﷺ أن يقضي حاجته وهو في سفر، فلم يجد ما يستتر به، فأخذ بغصن شجرة وقال: «**انقادي**

---

(١) شجرة من شجر البادية، انظر: المصباح المنير، مادة "سلم"، ١/ ٢٨٦، ومختار الصحاح، مادة "سلم"، ص١٣١ .

(٢) أي: تشقها أخدوداً. وانظر: المصباح المنير، مادة "خد" ١/ ١٦٥، ومختار الصحاح مادة (خد) ص٧٢ .

(٣) الدارمي، في المقدمة، باب ما أكرم الله به نبيه من إيمان الشجر به والبهائم والجن ١/ ١٧ (رقم ١٦)، وإسناده صحيح، وانظر: مشكاة المصابيح برقم ٥٩٢٥، ٣/ ١٦٦٦ .

عليَّ بإذن الله»، فانقادت معه كالبعير المخشوم[١] حتى أتى الشجرة الأخرى، ففعل وقال كذلك، ثم أمرهما أن تلتئما عليه فالتأمتا، ثم بعد قضاء الحاجة رجعت كل شجرة، وقامت كل واحدة منهما على ساق...»[٢].

(ب) تأثيره في الثمار:

جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: بم أعرف أنك نبي؟ قال: «**إن دعوت هذا العِذق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله**»؟ فدعاه رسول الله ﷺ فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبي ﷺ، ثم قال: «**ارجع**»، فعاد، فأسلم الأعرابي[٣].

(١) الذي جعل في أنفه عوداً، ويشد فيه حبل ليذل وينقاد إذا كان صعباً. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٨/ ١٤٦ .

(٢) انظر: صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر ٤/ ٢٣٠٦ (رقم ٣٠١٢).

(٣) الترمذي، كتاب المناقب، باب حدثنا عباد، ٥/ ٥٩٤ (رقم ٣٦٢٨)، وأحمد ١/ ١٢٣، والحاكم وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي ٢/ ٦٢٠.

(ج) تأثيره في الخشب:

كان ﷺ يخطب في المدينة يوم الجمعة على جذع نخل، فلما صنع له المنبر ورقِي عليه صاحَ الجذعُ صياحَ الصبي، [وخارَ كما تخورُ البقرة، جزعاً على رسول الله ﷺ فالتزمه رسول الله ﷺ وضمه إليه وهو يئن، ومسحه حتى سكن][1].

النوع الخامس: تأثيره في الجبال والأحجار وتسخيرها له:

(أ) تأثيره في الجبال:

صعد النبي ﷺ أُحداً، ومعه أبو بكر، وعمر، وعثمان، فرجف بهم، فضربه ﷺ برجله، وقال: «**اثبت أحد، فإن عليك نبي، وصدِّيق، وشهيدان**»[2].

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٦/ ٦٠٢ (رقم ٣٥٨٤)، وما بين المعكوفين عند أحمد في المسند ٢/ ١٠٩.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ: ((لو كنت متخذاً خليلاً..)) ٧/ ٢٢، ٤٠، ٧/ ٥٣ (رقم ٣٦٧٥).

(ب) تأثيره في الحجارة:

وقال ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يُسلِّم عليّ قبل أن أُبعثَ، إني لأعرفه الآن»[١].

(ج) تأثيره في تراب الأرض:

عندما كان رسول الله ﷺ في معركة حنين، واشتدّ القتال، نزل عن بغلته وقبض قبضة من تراب الأرض، واستقبل به وجوه القوم، فقال: «شاهَتِ الوُجُوه»، فما خلق الله إنساناً منهم إلا ملأ عينيه من تلك القبضة، فهزمهم الله وقسم غنائمهم بين المسلمين[٢].

النوع السادس: تفجير الماء، وزيادة الطعام والشراب والثمار:

(أ) نبع الماء وزيادة الشراب:

---

(١) مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة ٤/ ١٧٨٢ (رقم ٢٢٧٧).

(٢) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين ٣/ ١٤٠٢ (رقم ١٧٧٧). وحصل له مثل ذلك في معركة بدر.

هذا النوع حصل لرسول الله ﷺ مراتٍ كثيرة جدّاً[1]، ومن ذلك:

١ - عطش الناس في الحديبية، فوضع يده ﷺ في الركوة فجعل الماء يثور بين أصابعه كالعيون، فشربوا وتوضؤوا، قيل لجابر: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة[2].

٢ - قدم ﷺ تبوك، فوجد عينها كشراك النعل، فغُرِفَ له منها قليلاً قليلاً، حتى اجتمع له شيء قليل، فغسل فيه يديه ووجهه، ثم أعاده فيها فجرت العين بماءٍ مُنهمرٍ، وبقيت العين إلى الآن[3].

---

(١) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٦/ ٥٨٠، من حديث ٣٥٧١-٣٥٧٧، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها ١/ ٤٧١-٤٧٧ (رقم ٦٨١، ٦٨٢)، وجامع الأصول لابن الأثير ١١/ ٣٣٤-٣٥١.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة ٦/ ٥٨١، ٧/ ٤٤١، ٤٤٣، ١٠/ ١٠١ (رقم ٣٥٧٦)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال ٣/ ١٤٨٤ (رقم ١٨٥٦) (٧٢).

(٣) انظر: صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب معجزات النبي ﷺ ٤/ ١٧٨٤ (رقم ٧٠٦).

٣ - قصة أبي هريرة - رضي الله عنه - وقدح اللبن، وزيادة لبن القدح حتى شرب منه أضياف الإسلام(١).

(ب) زيادة الطعام وتكثيره لما جعل الله فيه ﷺ من البركة، ومن ذلك:

١ - كان النبي ﷺ في ألف وأربعمائة من أصحابه في غزوة، فأصابهم مشقة، فأمر ﷺ أن يجمعوا ما معهم من طعام وبسطوا سفرة، وكان الطعام شيئاً يسيراً فبارك فيه، وأكلوا، وحشوا أوعيتهم من ذلك الطعام(٢).

٢ - بقي الصحابة والنبي ﷺ في غزوة الخندق ثلاثة أيام لا يذوقون طعاماً، فذبح جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - عناقاً، وطحنت زوجته صاعاً من شعير، ثم دعا النبي ﷺ، فصاح النبي ﷺ بأهل الخندق يدعوهم على هذا

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الرقاق، باب كيف كان يعيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا ١١/ ٢٨١ (رقم ٦٤٥٢).

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب حمل الزاد في الغزو ٦/ ١٢٩ (رقم ٢٩٨٢)، ومسلم، اللقطة، باب استحباب خلط الأزواد إذا قلّت ٣/ ١٣٥٤ (رقم ١٧٢٩).

الطعام اليسير، ثم جاء النبي - ﷺ - وبصق في العجين وبارك، وبصقَ في البرمة وبارك، قال جابر - رضي الله عنهما -: وهم ألف، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتغطّ كما هي[1]، وإن عجيننا ليخبز كما هو[2].

وهذا باب واسع لا يمكن حصره.

(ج) زيادة الثمار والحبوب، ومن ذلك:

١ - جاء رجل يستطعم النبي ﷺ فأطعمه شطرَ وسْقِ شعيرٍ، فما زال الرجل يأكل منه وأهله حتى كاله، فأتى النبي ﷺ فقال: «**لو لم تكِلْهُ لأكلتم منه ولقام لكم**»[3].

---

(١) أي: تغلي ويسمع غليانها. انظر: الفتح ٧/ ٣٩٩.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق ٧/ ٣٩٥، ٣٩٦ (رقم ٤١٠١)، ومسلم، كتاب الأشربة، باب جواز استتباع غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك ٣/ ١٦١٠ (رقم ٢٠٣٩).

(٣) مسلم، كتاب الفضائل، باب معجزات النبي ﷺ ٤/ ١٧٨٤ (رقم ٢٢٨١).

٢ - كان على والد جابر دين، وما في نخله لا يقضي ما عليه سنين، فجاء جابر إلى رسول الله ﷺ ليحضر الكيل، فحضر، ومشى حول الجرن، ثم أمر جابراً أن يكيل فكال لهم حتى أوفاهم، قال جابر - رضي الله عنه -: (وبقي تمري وكأنه لم ينقص منه شيء)[1].

النوع السابع: تأييد الله له بالملائكة:

أيد الله رسوله بالملائكة في عدة مواضع، نُصرةً له ولدينه، منها على سبيل المثال:

١ - في الهجرة، قال المولى - جل وعلا -: ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ ﴾[2].

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة ٦/ ٥٨٧، ٧/ ٣٥٧ (رقم ٣٥٨٠)، وانظر شرح روايات الحديث في الفتح ٦/ ٥٩٣ .

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٠ .

٢ - في بدر، قال الله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[1].

٣ - في أُحدٍ، قاتل جبريل وميكائيل - عليهما السلام - عن يمين النبي ﷺ وعن يساره[2].

٤ - في الخندق، قال الله - عز وجل -: ﴿ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾[3].

٥ - في غزوة بني قُريظة، جاء جبريل إلى النبي ﷺ بعد أن وضع السلاح من غزوة الخندق واغتسل، فقال له جبريل: قد وضعت السلاح؟ والله ما وضعناه، فاخرُجْ

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٩ .

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب: إذ همت طائفتان... ٧/ ٣٥٨ (رقم ٤٠٥٤)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب قتال جبريل وميكائيل عن النبي ﷺ يوم أحد ٤/ ١٨٠٢ (رقم ٢٣٠٦).

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٩ .

إليهم، فسأله النبي ﷺ: «إلى أين»؟ فأشار إلى بني قريظة، فخرج ﷺ، ونصره الله عليهم[1].

٦ - في حنين، قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[2].

النوع الثامن: كفاية الله له أعداءه وعصمته من الناس:

هذا النوع من أعظم الآيات الدالة على صدق رسالة محمد ﷺ، ومن ذلك:

١ - كفاه الله تعالى المشركين والمستهزئين، فلم يصلوا إليه بسوء، قال تعالى: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾[3].

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ٧/ ٤٠٧ (رقم ٤١١٧)، ومسلم، كتاب الجهاد، باب جواز قتال من نقض العهد ٣/ ١٣٨٩ (رقم ١٧٦٩).

(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٦ .

(٣) سورة الحجر، الآيتان: ٩٤، ٩٥ .

٢ - كفاه الله أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(١).

٣ - وعصمه تعالى من جميع الناس بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ ﴾(٢).

وهذا خبر عام بأن الله يعصمه من جميع الناس، فكلٌّ من هذه الأخبار الثلاثة قد وقع كما أخبر الله - تعالى - فقد كفاه الله أعداءه بأنواع عجيبة خارجة عن العادة المعروفة، ونصره مع كثرة أعدائه وقوتهم وغلبتهم، وانتقم ممن عاداه.

ومن ذلك أن رجلاً نصرانيّاً أسلم، وقرأ البقرة وآل

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٧ .

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧ .

عمران، وكان يكتب للنبي ﷺ ثم ارتدّ وعاد نصرانيّاً، فكان يقول: ما يَدْري محمد إلا ما كتبت له، فأماته الله، فدفنه قومه، فأصبح وقد أخرجته الأرض من بطنها، فأعادوا دفنه، وأعمقوا قبره، فأصبح وقد أخرجته الأرض منبوذاً على ظهرها، فأعادوا دفنه وأعمقوا له، فأصبح وقد لفظته الأرض، فعلموا أن هذا ليس من الناس فتركوه منبوذاً[1].

النوع التاسع: إجابة دعواته ﷺ:

الأدعية التي دعا بها النبي ﷺ وشُوهدت إجابتها كالشمس في رابعة النهار كثيرة جدّاً، لا تُحصر ولا يتّسع المقام لذكر أكثرها، ولكن منها على سبيل المثال:

١ - قال ﷺ لأنس - رضي الله عنه -: «**اللهم أكثر ماله وولده،**

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة ٦/ ٦٢٤ (رقم ٣٦١٧)، ومسلم، صفات المنافقين ٤/ ٢١٤٥ (رقم ٢٧٨١).

وبارك له فيما أعطيته»[١]، [**وأطل حياته واغفر له**][٢]، قال أنس: فوالله إنّ مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادُّون على نحو المائة اليوم[٣]، [وحدثتني ابنتي أمينة أنه دُفِنَ لصلبي مقدم الحجاج البصرة بضع وعشرون ومائة][٤].

وكان له - رضي الله عنه - بستان يحمل في السنة الفاكهة مرتين، وكان فيها ريحان يجيء منها ريح المسك[٥].

٢ - ودعا ﷺ لأم أبي هريرة بالهداية فهداها الله فوراً،

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الصيام، باب من زار قوماً فلم يفطر عندهم ٤/ ٢٢٨، ١١/ ١٤٤ (رقم ١٩٨٢)، ومسلم، في فضائل الصحابة، باب فضائل أنس ٤/ ١٩٢٨ (رقم ٢٤٨٠).

(٢) البخاري في الأدب المفرد، برقم ٦٥٣، وانظر: فتح الباري ١١/ ١٤٥، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٢١٩.

(٣) مسلم، فضائل الصحابة، باب فضائل أنس ٤/ ١٩٢٩ (رقم ٢٤٨١) (١٤٣).

(٤) البخاري مع الفتح كتاب الصيام، باب من زار قوماً فلم يفطر عندهم ٤/ ٢٢٨ (رقم ١٩٨٢).

(٥) الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أنس ٥/ ٦٨٣ (رقم ٣٨٣٣) وقال: هذا حديث حسن غريب، وانظر: صحيح الترمذي ٣/ ٢٣٤.

وأسلمت وقصَّتها عجيبة جدًّا[١].

٣ - وقال ﷺ لعروة بن أبي الجعد البارقي: «**اللهم بارك له في صفقة يمينه**»، فكان يقف في الكوفة ويربح أربعين ألفاً قبل أن يرجع إلى أهله[٢]، [وكان لو اشترى التراب لربح فيه][٣].

٤ - ودعاؤه ﷺ على بعض أعدائه، فلم تتخلّف الإجابة، كأبي جهل، وأميّة، وعقبة، وعتبة... وغيرهم كثير[٤].

٥ - ودعاؤه يوم بدر، ويوم حنين، وعلى سراقة بن مالك - رضي الله عنه - وغيرهم كثير[٥].

---

(١) مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي هريرة ٤/ ١٩٣٨ (رقم ٢٤٩١).

(٢) أحمد في المسند ٤/ ٣٧٦.

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب حدثنا محمد بن المثنى ٦/ ٦٣٢ (رقم ٣٦٤٢).

(٤) انظر: البخاري مع الفتح ١/ ٣٤٩، ومسلم ٣/ ١٤١٨.

(٥) انظر: دعاءه يوم بدر في صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ٣/ ١٣٨٤ (رقم ١٧٦٣)، ويوم حنين في مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين ٣/ ١٤٠٢ (رقم ١٧٧٥)، وقصة سراقة في =

والحقيقة أن العاقل المنصف يقف أمام هذه الدلائل والبينات مذعوراً، ولا يسعه إلا أن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

= البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ٧/ ٢٣٨ (رقم ٣٩٠٦)، وانظر: ص٢٧١ و٢٧٥.

المبحث التاسع عشر: عموم رسالته ﷺ إلى الجن والإنس

إن أصل الأصول هو تحقيق الإيمان بما جاء به محمد ﷺ، وأنه رسول الله إلى جميع الخلق: إنسهم وجنّهم، عربهم وعجمهم، كتابيّهم ومجوسيّهم، رئيسهم ومرؤوسهم، وأنه لا طريق إلى الله - عز وجل - لأحد من الخلق إلا بمتابعته ﷺ باطناً وظاهراً، حتى لو أدركه موسى وعيسى، وغيرهما من الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام؛ لوجب عليهم اتباعه، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٨١، ٨٢.

قال ابن عباس – رضي الله عنهما –: (ما بعث الله نبيّاً إلا أخذ عليه الميثاق: لئن بُعِثَ محمد وهو حيٌّ ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به، ولينصرنه)(١).

ولهذا جاء في الحديث: **((لو كان موسى حيّاً بين أظهركم ما حلّ له إلا أن يتبعني))**(٢).

ومن خالف عموم رسالة النبي ﷺ لا يخلو من أحد أمرين:

١ – إما أن يكون المخالِفُ مؤمناً بأنه مرسل من عند الله؛ ولكنه يقول: رسالته خاصة بالعرب.

---

(١) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص٧٧، ١٩١–٢٠٠، وفتاوى ابن تيمية ١٩/ ٩–٦٥، بعنوان: إيضاح الدلالة في عموم الرسالة للثقلين، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١/ ٣١–١٧٦، وتفسير ابن كثير ١/ ٣٧٨، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢/ ٣٣٤، ومعالم الدعوة للديلمي ١/ ٤٥٤–٤٥٦، والمناظرة في الإسلام والنصرانية ص٣٠٣–٣٠٩.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ٣٣٨، وله شواهد وطرق كثيرة ذكرها الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٧٣–١٧٤، وانظر: مشكاة المصابيح بتحقيق الألباني ١/ ٦٣، ٦٨.

٢- وإما أن يكون المخالف منكراً للرسالة جملةً وتفصيلاً.

فأما المعترف له بالرسالة؛ ولكنه يجعلها خاصة بالعرب فإنه يلزمه أن يصدقه في كل ما جاء به عن الله - تعالى - ومن ذلك عموم رسالته، ونسخها للشرائع قبلها، فقد بيّن ﷺ أنه رسول الله إلى الناس أجمعين، وأرسل رسله، وبعث كتبه في أقطار الأرض إلى كسرى، وقيصر، والنجاشي، وسائر ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام، ثم قاتل من لم يدخل في الإسلام من المشركين، وقاتل أهل الكتاب، وسبى ذراريهم، وضرب الجزية عليهم، وذلك كلّه بعد امتناعهم عن الدخول في الإسلام، أما كونه يؤمن برسول ولا يصدّقه في جميع ما جاء به فهذا تناقض ومكابرة.

وأما المنكر لرسالة نبينا محمد ﷺ مطلقاً، فقد قام البرهان القاطع على صدق صاحب الرسالة ﷺ ، ولا تزال معجزات القرآن تتحدى الإنس والجنّ، فإما أن

يأتي بها يُناقض المعجزة القائمة وإلا لزمه الاعتراف بمدلولها، فإن اعترف بالرسالة لزمه التصديق بكل ما أخبر به الرسول ﷺ ، وإن ذهب يُكابر ويُعاند ليأتي بقرآن مثل ما جاء به محمد ﷺ وقع في العجز وفضح نفسه لا محالة؛ لأن أصحاب الفصاحة والبلاغة قد عجزوا عن ذلك، ولا شكّ أن غيرهم أعجز عن هذا؛ لأن القرآن معجزة قائمة مستمرة خالدة[1].

وحينئذ يلزم جميع الخلق العمل بما فيه والتحاكم إليه.

وقد صرح القرآن الكريم بأن محمداً ﷺ رسول إلى جميع الناس، وخاتم النبيين، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١/ ١٤٤، ١٦٦، ومناهج الجدل في القرآن الكريم ص٣٠٣، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للدكتور/ صالح بن فوزان ٢/ ١٨٢.

وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾(٢)، وقال تعالى يأمر نبيِّه بالإنذار والتبليغ: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾(٣).

وهذا تصريح بعموم رسالته لكل من بلغه القرآن.

وصرح تعالى بشمول رسالة النبي ﷺ لأهل الكتاب، فقال: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨ .

(٢) سورة الفرقان، الآية: ١ .

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٩ .

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٢٠ .

مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[٢]، وقال عز وجل: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٣].

وبلَّغَ ﷺ الناس جميعاً أنه خاتم الأنبياء، وأن رسالته عامة، قال ﷺ : **((أعطيت خمساً لم يُعْطَهُنَّ أحدٌ من الأنبياء قبلي))**، وذكر منها: **((وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصّة، وبُعثت إلى الناس كافَّةً))**... الحديث[٤].

وقال ﷺ: **((مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل**

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠ .

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧ .

(٣) سورة سبأ، الآية: ٢٨ .

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ : ((جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً)) ١/ ٥٣٣ (رقم ٤٣٨)، ومسلم، كتاب المساجد ١/ ٣٧٠، (رقم ٥٢١).

الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلاّ وُضِعت هذه اللبنة؟» قال: ((فأنا اللَّبنةُ، وأنا خاتم النبيين))[١].

وعموم رسالته ﷺ لجميع الإنس والجن في كل زمان ومكان من بعثته إلى يوم القيامة، وكونها خاتمة الرسالات، يقضي ويدلّ دلالة قاطعة على أن النبوة قد انقطعت بانقطاع الوحي بعده، وأنه لا مصدر للتشريع والتعبد إلا كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله ﷺ، وهذا يقتضي وجوب الإيمان بعموم رسالته واتباع ما جاء به، فقد قال ﷺ : «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار**»[٢].

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ٦/ ٥٥٨ (رقم ٣٥٣٥)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين ٤/ ١٧٩٠ (رقم ٢٢٨٦).

(٢) مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته ١/ ١٣٤ (رقم ١٥٣).

وبعون الله - تعالى - فقد قامت الحجة وثبتت رسالة النبي ﷺ وعمومها وشمولها لجميع الثقلين: الإنس والجن، في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة: ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾[1]، ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ... ﴾ الآية[2].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٤ .

(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٩ .

المبحث العشرون: اعتراف المنصفين من علماء اليهود والنصارى برسالته ﷺ

أولاً: اعتراف المنصفين من علماء اليهود:

لاشك أن من حكمة القول مع أهل الكتاب في دعوتهم إلى الله - عز وجل - الاستشهاد عليهم بشهادة علماء أهل الكتاب المنصفين، الذين وفقهم الله - تعالى - وقبلوا الحق، وبيّنوه ولم يكتموه، وهذا من باب قوله تعالى: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾[1].

وأذكر على سبيل المثال من هؤلاء العلماء الذين يعترف اليهود بأنهم كانوا منهم فأقروا بالإسلام وأنه الدين الحق ما يلي:

١ - عبد الله بن سلام ﷺ وأرضاه:

لو لم يسلم من اليهود في زمن النبي ﷺ إلا سيد اليهود على الإطلاق وابن سيدهم، وعالمهم وابن عالمهم، وخيرهم وابن خيرهم، باعترافهم وشهادتهم، لكان في

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٢٦.

مقابلة كل يهودي على وجه الأرض، فكيف وقد تابعه من الأحبار والرُّهبان من لا يُحصي عددهم إلا الله[١].

وقد آمن هذا الرجل بالله وبرسوله ﷺ ، فعن أنس – رضي الله عنه – قال: بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي ﷺ المدينة فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبيٌّ، قال: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة، وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ فقال رسول الله ﷺ : «خبَّرني بهنَّ آنفاً جبريلُ» قال ابن سلام: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله ﷺ : **«أما أول أشرط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ[٢]، وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها»**، [قال: أشهد أن

(١) انظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم ص٥١٤، ٥٢٥.

(٢) وفي رواية للبخاري برقم ٣٩٣٩: ((فزيادةُ كَبِدِ الحوت)).

لا إله إلا الله، وأنك رسول الله] قال: يا رسول الله، إن اليهود قوم بُهْتٌ، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بَهَتُوني عندك، فادعهم [فاسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي]، [فأرسل نبي الله ﷺ فأقبلوا]، فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله ﷺ: **«يا معشر اليهود، ويلكم اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً، وأني جئتكم بحق، فأسلِمُوا»**، قالوا: ما نعلمه — قالوا للنبي ﷺ، قالها ثلاثاً مراراً — فقال رسول الله ﷺ: **«فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟»** قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا، وأخبرنا وابن أخبرنا، [خيرنا وابن خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا]، قال: **«أفرأيتم إن أسلم؟»** قالوا: أعاذه الله من ذلك، حاشا لله ما كان ليسلم، قال: **«أفرأيتم إن أسلم؟»** قالوا حاشا لله ما كان ليسلم، قال: **«أفرأيتم إن أسلم؟»** قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم، قال: **«يا ابن سلام اخرج عليهم»**،

[فخرج عليهم عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله]، [يا معشر اليهود، اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بحق، فقالوا: كذبت]، [شرُّنا وابن شرِّنا، ووقعوا فيه]، [فأخرجهم رسولُ الله ﷺ][(١)].

وعن عبد الله بن سلام – رضي الله عنه – قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة انجفل الناس قِبَلَهُ، وقيل: قَدِمَ رسولُ الله ﷺ ، قَدِمَ رسولُ الله ﷺ ، قَدِمَ رسولُ الله ﷺ ثلاثاً، فجئت في الناس لأنظر، فلما تبيّنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذّاب، فكان أول شيء سمعته تكلم به أن قال:

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الأنبياء، باب خلق آدم وذريته ٦/ ٣٦٢ (رقم ٣٣٢٩)، ومناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ٧/ ٢٥٠ (رقم ٣٩١١)، وباب حدثني حامد بن عمر، عن بشر بن المفضل ٧/ ٢٧٢ (رقم ٣٩٣٨)، وكتاب التفسير، سورة البقرة، باب قوله: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ﴾. ٨/ ١٦٥ (رقم ٤٤٨٠)، وألفاظ الحديث من المواضع الأربعة، وانظر: البداية والنهاية ٣/ ٢١٠.

«يا أيها الناس، أفشُوا السلام، وأطعِمُوا الطعامَ، وصِلُوا الأرحامَ، وصلُّوا بالليلِ والناسُ نيامٌ، تدخُلُوا الجنّةَ بسلام»(١).

وقد أثنى الله على هذا العالم الرباني، فعن سعد بن أبي وقاص قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي(٢) على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام، قال: وفيه نزلت هذه الآية(٣): ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ ﴾(٤).

---

(١) ابن ماجه في كتاب الأطعمة، باب إطعام الطعام ٢/ ١٠٨٣ (رقم ٣٢٥١) بلفظه، والترمذي في صفة القيامة، باب حدثنا محمد بن بشار ٤/ ٦٥٢ (٢٤٨٥)، وأحمد في المسند ٤/ ٤٥١، وانظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ٢٢٢ .

(٢) قد ثبت عنه – ﷺ – أنه شهد لأناس كثير بالجنة، ومنهم العشرة المبشرون بالجنة، فقيل بأن سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – يعني من الأحياء، لأن عبد الله بن سلام – رضي الله عنه – عاش بعد موتهم، ولم يتأخر معه من العشرة غير سعد وسعيد، ويؤخذ هذا من قول سعد رضي الله عنه : يمشي على الأرض. انظر: فتح الباري ٧/ ١٢٩، ١٣٠ .

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب عبد الله بن سلام ٧/ ١٢٨ (رقم ٣٨١٢)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن سلام ٤/ ١٩٣٠ (رقم ٢٤٨٣).

(٤) سورة الأحقاف، الآية: ١٠ .

٢ - زيد بن سعنة، أحد أحبار اليهود رضي الله عنه :

قال - رضي الله عنه -: ما من علامات النبوة شيءٌ إلا وقد عرفتها في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً، وقد اختبرتهما، فأشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبيّاً، وأشهدك أن شطر مالي - فإني أكثرها مالاً - صدقة على أمة محمد ﷺ . قال عمر: أو على بعضهم، فإنك لا تسعهم. قلت: أو على بعضهم. فخرج عمر وزيد إلى رسول الله ﷺ ، فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وآمن به، وصدّقه، وبايعه، وشهد معه مشاهد كثيرة، ثم توفي في غزوة تبوك مُقبلاً غير مدبر[1]، رضي الله عنه ورحمه.

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وعزاه إلى الطبراني، وقال: رجاله ثقات ٨/ ٢٤٠، وتقدم تخريجه كاملاً مطولاً في حلم النبي ﷺ ، والقصة هنا مختصرة، فارجع إليها في مجمع الزوائد للهيثمي، ٨/ ٢٣٩، ٢٤٠ .

٣ - من أسلم عند الموت:

أتى رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر على رجل من اليهود ناشر التوراة يقرؤها يُعزِّي بها نفسه على ابن له في الموت كأحسن الفتيان وأجمله، فقال رسول الله ﷺ : «**أنشدك بالذي أنزل التوراة، هل تجد في كتابك هذا صفتي ومخرجي**»؟ فقال برأسه هكذا، أي: لا. فقال ابنه: إي والذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك، وأشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. فقال: «**أقيموا اليهودي عن أخيكم**»، ثم وَلِيَ كفنه، وحنَّطهُ، وصلَّى عليه ﷺ(١).

هذه ثلاثة أمثلة لاعترافات أحبار اليهود بأن محمداً ﷺ حقّاً، وأن صفته موجودة في التوراة، ويعرفه اليهود كما يعرفون أبناءهم ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ

---

(١) أحمد في المسند ٥/ ٤١١، وقال ابن كثير: هذا حديث جيد قوي، له شواهد في الصحيح عن أنس - رضي الله عنه - انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٢٥٢، ومجمع الزوائد ٨/ ٢٣٤ .

فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[١].

وممن أسلم من اليهود عند الموت ما جاء في حديث أنس رضي الله عنه قال: (كان غلامٌ يهوديٌّ يخدم النبيَّ ﷺ، فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه، فقال له: «أسلم»، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم، فأسلم، [وفي رواية النسائي، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله]، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار»)[٢].

ثانياً: اعتراف المنصفين من علماء النصارى:

من حكمة القول مع النصارى في دعوتهم إلى الله الاستشهاد عليهم بشهادة المنصفين من علماء النصارى، ومن وفقه الله منهم للإسلام، فإن هذا من باب ﴿ وَشَهِدَ

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٩ .

(٢) البخاري برقم ١٣٥٦، ورقم ٥٦٥٧، وانظر: فتح الباري لابن حجر، ٣/ ٢١٩ .

شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾[١]، ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

١ - النجاشي ملك الحبشة رحمه الله ورضي عنه:

عندما قرأ جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - على النجاشي[٢] صدراً من سورة مريم، بكى النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكى أساقفته حين سمعوا ما تُلي عليهم، وقال النجاشي للوفد: (ما يقول صاحبكم في ابن مريم؟) فقال جعفر - رضي الله عنه -: يقول فيه قول الله: (هو روح الله وكلمته، أخرجه من البتول العذراء التي لم يقربها بشر...) فتناول النجاشي عوداً فرفعه، فقال: (يا معشر القسيسين والرهبان، ما يزيد على ما تقولون في ابن مريم

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٢٦.

(٢) أصحمة ملك الحبشة، أسلم وحسن إسلامه، وهو معدود في الصحابة، ولم يُهاجر، ولا له رؤية، فهو تابعي من وجه، صحابي من وجه، توفي في حياة النبي ﷺ فصلى عليه بالناس صلاة الغائب، ولم يثبت أنه صلى على غائب سواه. انظر: سير أعلام النبلاء ١/ ٤٢٨-٤٤٣.

ما تزن هذه، وقال للوفد: مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، فأنا أشهد أنه رسول الله، وأنه الذي بشَّر به عيسى، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبل نعله...)[١].

٢ - سلمان الفارسي ﷺ وأرضاه:

قصة سلمان مشهورة عجيبة[٢]، فقد عاش مع مجموعة من علماء النصارى، وعندما كان مع آخر عالم من هؤلاء بعمورية بالروم حضرته الوفاةُ، فأوصى إلى سلمان الفارسي وقال: (قد أظلَّكَ زمان نبي يُبعثُ من الحرم، مهاجره بين حرتين إلى أرض سبخة ذات نخل، وإن فيه علامات لا تخفى: بين كتفيه خاتم النبوة، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، فإن استطعت أن تخلص إلى تلك البلاد فافعل، فإنه قد أظلك زمانه).

وسافر سلمان ووجد العلامات التي وصفت

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ١/ ٤٣٨ .

(٢) انظر: قصته وإسلامه - ﷺ - في سير أعلام النبلاء ١/ ٥٠٥-٥٥٦.

له، فأسلم رضي الله عنه[١].

٣ - هرقل عظيم الروم:

قال هرقل لأبي سفيان في آخر حديثه: (... وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك بم يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف فإن كان ما تقول حقّاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه...)[٢].

ثم قال للروم بعد ذلك: يا معشر الروم هل لكم في

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١/ ٥٠٩، ٥١٠.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب بدء الوحي، باب حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ١/ ٣٢ (رقم ٧)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ٣/ ١٣٩٦ (رقم ١٧٧٣).

الفلاح والرشد، وأن يثبت مُلككم فتبايعوا لهذا النبي؟[١] ولكن رغب في ملكه وضنَّ به، فلم يسلم!

وهذا مما يبيّن أن عدول أهل الكتاب ومنصفيهم قد شهدوا لرسول الله ﷺ وأنه رسول الله حقّاً، فلا يقدح قدح المكذبين بعد ذلك[٢].

وقد أسلم الجمُّ الغفير من علماء النصارى وشهدوا بأن محمداً ﷺ رسولُ الله إلى الناس أجمعين، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[٣].

فحريٌّ بجميع النصارى أن يسيروا على طريق علمائهم المنصفين، ويسلموا لله رب العالمين.

---

(١) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب بدء الوحي، باب حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ١/ ٣٣ (رقم ٧).

(٢) انظر: هداية الحيارى لابن القيم ص٥٢٥ .

(٣) سورة المائدة، الآية: ٨٢ .

المبحث الحادي والعشرون: خير أعماله خواتمها ﷺ

كان ﷺ إذا عمل عملاً أثبته وداوم عليه؛ ولهذا قال: «**إن أحب الأعمال إلى الله تعالى ما داوم عليه صاحبه وإن قل**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كان النبي ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام فلما كان العام الذي قُبِضَ فيه اعتكف عشرين يوماً، وكان يُعرَضُ عليه القرآن في كل عام مرة، فلما كان العام الذي قُبِضَ فيه عرض القرآن مرتين)(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول قبل أن يموت: «**سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك**». قالت: قلت: يا رسول الله، ما هذه الكلمات التي أراك أحدثتها تقولها؟ قال: «**جُعلت لي علامةٌ في أمتي إذا رأيتها قلتها**

---

(١) البخاري مع الفتح ٩/ ٤٣، برقم ٤٩٩٨، و ٤/ ٢١٣، ومسلم ٢/ ٨١١، برقم ٧٨٢.
(٢) البخاري برقم ٤٤٣٣، ومسلم برقم ٢٤٥٠.

﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾[١]. وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما لعمر عن هذه السورة: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ إنها: أجل رسول الله ﷺ أعلمه إياه، فقال: ما أعلم منها إلا ما تعلم»[٢]. وقيل: نزلت ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ يوم النحر والنبي ﷺ في منى بحجة الوداع[٣]، وقيل: نزلت أيام التشريق[٤]، وعند الطبراني أنها لما نزلت هذه السورة أخذ رسول الله ﷺ أشدَّ ما كان اجتهاداً في أمر الآخرة[٥]؛ ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر**

---

(١) مسلم ١/ ٣٥١، برقم ٤٨٤ .

(٢) البخاري مع الفتح ٨/ ١٣٠، برقم ٤٤٣٠ .

(٣) انظر: الفتح ٨/ ٧٣٤، شرح الأحاديث ٤٩٦٧-٤٩٧٠، وقيل: عاش بعدها إحدى وثمانين يوماً. فتح ٨/ ٧٣٤.

(٤) انظر: المرجع السابق ٨/ ١٣٠.

(٥) انظر: فتح الباري ٨/ ١٣٠.

لي» يتأول القرآن[١]. ومعنى ذلك أنه يفعل ما أمر به فيه وهو قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴾[٢].

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر المستنبطة من هذا المبحث كثيرة، ومنها:

١ ـ الحث على المداومة على العمل الصالح، وأن قليلاً دائماً خير من كثير منقطع؛ لأن بدوام العمل الصالح القليل تدوم الطاعة والذكر، والمراقبة، والنية، والإخلاص، والإقبال على الخالق، والقليل الدائم يثمر؛ لأنه يزيد على الكثير المنقطع أضعافاً كثيرة[٣].

٢ ـ من أجهد نفسه في شيء من العبادات لا يطيق

---

(١) البخاري برقم ٧٩٤، ومسلم برقم ٤٨٤.

(٢) انظر: شرح النووي ٤/ ٤٤٧.

(٣) انظر: فتح الباري ١/ ١٠٣، وشرح النووي ٦/ ٣١٨.

العمل به خُشِيَ عليه أن يمل فيفضي ذلك إلى تركه[١].

٣ـ الإنسان المسلم كلما تقدم في العمر اجتهد في العمل على حسب القدرة والطاقة؛ ليلقى الله على خير أحواله؛ ولأن الأعمال بالخواتيم، وخير الأعمال الصالحة خواتيمها[٢].

---

(١) انظر: فتح الباري ٤/ ٢١٥.

(٢) انظر: فتح الباري ٤/ ٢٨٥، و ٩/ ٤٦.

المبحث الثاني والعشرون: وداعه لأمته ووصاياه ﷺ

١ ـ أذانه في الناس بالحج:

وبعد أن بلَّغ ﷺ البلاغ المبين وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، أعلن في الناس وأذَّن فيهم وأعلمهم أنه حاج في السنة العاشرة – بعد أن مكث في المدينة تسع سنين كلها معمورة بالجهاد والدعوة والتعليم – وبعد هذا النداء العظيم الذي قصد به ﷺ إبلاغ الناس فريضة الحج؛ ليتعلموا المناسك منه ﷺ؛ وليشهدوا أقواله، وأفعاله، ويوصيهم ليبلغ الشاهد الغائب، وتشيع دعوة الإسلام، وتبلغ الرسالة القريب والبعيد[1]. قال جابر رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين لم يحج ثم أذَّن في الناس في العاشرة أن رسول الله ﷺ حاجٌّ، فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٨/ ٤٢٢، وشرح الأبي ٤/ ٢٤٤.

برسول الله ﷺ، ويعمل مثل عمله... وساق الحديث وفيه: حتى إذا استوت به ناقته على البيداء[١] نظرت إلى مد بصري بين يديه من راكب وماشٍ، وعن يمينه مثل ذلك، وعن يساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك[٢]، ورسول الله ﷺ بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعلم تأويله وما عمل به من شيء عملنا به... وساق الحديث وقال: حتى إذا أتى عرفة فوجد القبة قد ضُرِبت له بنمرة فنزل بها.

٢ ـ وداعه ووصيته لأمته في عرفات:

قال جابر رضي الله عنه: حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له فأتى بطن الوادي فخطب الناس وقال: «**إن دمائكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر**

---

(١) البيداء: اسم للمفازة والصحراء التي لا شيء فيها، وهي هنا موضع بذي الحليفة. فتح الملك المعبود ٢/ ٩.

(٢) قيل كان عددهم تسعين ألفاً، وقيل مائة وثلاثين ألفاً. انظر: المرجع السابق ٢/ ٩، و١٠٥.

الجاهلية تحت قدمي موضوع[١] ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول رباً أضع ربانا ربا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله[٢] فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله[٣] ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم[٤] أحداً تكرهونه فإن فعلن ذلك

(١) والمعنى أنه أبطل كل شيء من أمور الجاهلية وصار كالشيء الموضوع تحت القدمين فلا يعمل به في الإسلام، فجعله كالشيء الموضوع تحت القدم من حيث إهماله وعدم المبالاة به. انظر: شرح النووي ٨/ ٤٣٢، وشرح الأبي ٤/ ٢٥٥، وفتح الملك المعبود ٢/ ١٨.

(٢) والمعنى الزائد على رأس المال باطل أما رأس المال فلصاحبه بنص القرآن، انظر: شرح النووي ٨/ ٤٣٣.

(٣) قيل: الكلمة هي: الأمر بالتسريح بالمعروف أو الإمساك بإحسان، وقيل: هي لا إله إلا الله، وقيل: الإيجاب والقبول، وقيل: هي قوله تعالى: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾، سورة النساء، الآية: ٣. قال النووي: (وهذا هو الصحيح ويدخل فيه القبول والإيجاب) شرح النووي، ٨/ ٤٣٣، وشرح الأبي ٤/ ٢٥٦، وفتح الملك المعبود ٢/ ١٩.

(٤) والمعنى لا يأذن لأحد من الرجال أو النساء تكرهون أن يدخل منازلكم، وليس =

فاضربوهن ضرباً غير مبرِّح[١] ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله[٢]، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون»؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت، وأديت، ونصحت. فقال بإصبعه السبَّابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «اللهم اشهد، اللهم اشهد» ثلاث

= المراد من ذلك الزنا؛ لأنه حرام سواء كرهه الزوج أو لم يكرهه؛ ولأن فيه الحد. شرح النووي ٨/ ٤٣٣، والأبي ٤/ ٢٥٧، وفتح الملك المعبود ٢/ ٢٠.

(١) غير المبرِّح: لا شديد ولا شاق، انظر: فتح الملك المعبود ٢/ ١٩، وشرح النووي ٨/ ٤٣٤.

(٢) والمعنى قد تركت فيكم أمراً لن تخطئوا إن تمسكتم به في الاعتقاد والعمل وهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يده ولا من خلفه، وسكت عن السنة؛ لأن القرآن هو الأصل في الدين، أو لأن القرآن أمر باتباع السنة كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ سورة النساء، الآية: ٥٩. وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ سورة الحشر، الآية: ٧. انظر: فتح الملك المعبود ٢/ ٢٠، وقد جاء عند الحاكم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما الوصية بـ (... كتاب الله وسنة نبيه..) وصححه الألباني في صحيحه الترغيب برقم ٣٦.

مرات[١]. وقد كان في الموقف جمٌّ غفير لا يُحصي عددهم إلا الله تعالى[٢].

وأُنزل على النبي ﷺ في يوم عرفة يوم الجمعة قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾[٣]، وهذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم ﷺ؛ ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الجن والإنس فلا حلال إلا ما أحلَّه، ولا حرام إلا ما حرَّمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق، لا كذب فيه ولا خلف، ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ ﴾[٤]

---

(١) أخرجه مسلم برقم ١٢١٨.

(٢) قيل: مائة وثلاثون ألفاً. انظر: فتح الملك المعبود ٢/ ١٠٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣، والحديث أخرجه البخاري برقم ٤٥، ومسلم برقم ٣٠١٦، ٣٠١٧.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١١٥.

أي صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأوامر والنواهي، فلما أكمل الله لهم الدين تمت عليهم النعمة[١].

وقد ذُكر أن عمر بكى عندما نزلت هذه الآية في يوم عرفة، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا أُكمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص[٢]، وكأنه رضي الله عنه توقع موت النبي ﷺ قريباً.

٣ـ وداعه ووصيته لأمته عند الجمرات:

قال جابر رضي الله عنه: رأيت النبي ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر ويقول: «**لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلِّي لا أحُجُّ بعد حجتي هذه**»[٣].

وعن أم الحصين رضي الله عنها قالت: حججت مع

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ١٢.

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢/ ١٢ وعزاه بإسناده إلى تفسير الطبري. وهذا يشهد له قوله ﷺ: ((بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريبًا كما بدأ...)).

(٣) مسلم برقم ١٢٩٧.

رسول الله ﷺ فرأيته حين رمى جمرة العقبة وانصرف وهو على راحلته ومعه بلال وأسامة... فقال رسول الله ﷺ قولاً كثيراً ثم سمعته يقول: «**إن أُمِّر عليكم عبد مجدَّع أسود يقودكم بكتاب الله تعالى فاسمعوا له وأطيعوا**»(١).

٤ ـ وصيته ووداعه لأمته يوم النحر:

عن أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قعد على بعيره وأمسك إنسان بخطامه – أو بزمامه – وخطب الناس فقال: «**أتدرون أيُّ يوم هذا؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم [فسكت] حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: «**أليس بيوم النحر؟**» قلنا: بلى يا رسول الله! قال: «**فأي شهر هذا؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم [فسكت] حتى ظننا أنه سيسمه بغير اسمه، فقال: «**أليس بذي الحجة؟**» قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «**فأي بلد هذا؟**» قلنا الله ورسوله أعلم [فسكت] حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. قال:

---

(١) مسلم برقم ١٢٩٨.

«أليست البلدة الحرام؟» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، وأبشاركم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا [وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، فلا ترجعوا بعدي كفاراً] [أو ضُلاَّلاً] يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد [منكم] الغائب [فَرُبَّ مُبلَّغ أوعى من سامع] ألا هل بلَّغت [ثم انكفأ[1] إلى كبشين أملحين فذبحهما..»[2] قال ابن عباس رضي الله عنهما: فوالذي نفسي بيده إنها لوصيته إلى أمته فليبلغ الشاهد الغائب[3].

وسكوته ﷺ بعد كل سؤال من هذه الأسئلة الثلاثة كان لاستحضار فهومهم؛ وليقبلوا عليه بكليتهم؛

---

(١) انكفأ: أي انقلب. انظر: شرح النووي ١١/ ١٨٣.

(٢) البخاري ٣/ ٢٦ برقم ٦٧، ١٠٥، ١٧٤١، ٣١٩٧، ٤٤٠٦، ٤٦٦٢، ٥٥٥٠، ٧٠٧٨، ٤٤٧، ومسلم برقم ١٦٧٩ والألفاظ من هذه المواضع.

(٣) البخاري برقم ١٧٣٩.

وليستشعروا عظمة ما يخبرهم عنه[١].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "وقف النبي ﷺ يوم النحر بين الجمرات... وقال: «**هذا يوم الحج الأكبر**» وطَفِق[٢] النبي يقول: «**اللهم اشهد**» وودع الناس فقالوا: هذه حجة الوداع"[٣].

وقد فتح الله أسماع جميع الحجاج بمنى حتى سمعوا خطبة النبي ﷺ يوم النحر، وهذا من معجزاته أن بارك في أسماعهم وقوَّاها حتى سمعها القاصي والداني حتى كانوا يسمعون وهم في منازلهم[٤]. فعن عبد الرحمن بن معاذ التيمي رضي الله عنه قال: (خطبنا رسول الله ﷺ ونحن بمنى فَفُتِحت أسماعُنا حتى كنا نسمع ما يقول ونحن في منازلنا..)[٥].

---

(١) انظر: فتح الباري ١/ ١٥٩.

(٢) طفق: جعل وشرع يقول.

(٣) البخاري برقم ١٧٤٢.

(٤) انظر: عون المعبود ٥/ ٤٣٦، وفتح الملك المعبود ٢/ ١٠٦.

(٥) أبو داود برقم ١٩٥٧ وفي آخره قصة تدل على أنه يوم النحر، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم ١٧٢٤، ١/ ٣٦٩.

٥ ـ وصيته ﷺ لأمته في أوسط أيام التشريق:

وخطب ﷺ الناس في اليوم الثاني عشر من ذي الحجة وهو ثاني أيام التشريق ويقال له: يوم الرؤوس؛ لأن أهل مكة يسمونه بذلك؛ لأكلهم رؤوس الأضاحي فيه، وهو أوسط أيام التشريق[١]، فعن أبي نجيح عن رجلين من أصحاب النبي ﷺ، وهما من بني بكر، قالا: رأينا رسول الله ﷺ يخطب بين أوسط أيام التشريق، ونحن عند راحلته، وهي خطبة رسول الله ﷺ التي خطب[٢] بمنى[٣]، وعن أبي نضرة قال: حدثني من سمع خطبة النبي ﷺ وسْطَ أيام التشريق فقال: «**يا أيها الناس إن ربكم واحد،**

---

(١) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود ٥/ ٤٣٢، وفتح الملك المعبود تكملة المنهل العذب المورود ٢/ ١٠٠، وفتح الباري ٣/ ٥٧٤.

(٢) ومعنى قوله: "وهي خطبته التي خطب بمنى" أي مثل الخطبة التي خطبها يوم النحر بمنى، فالخطبتان: في يوم النحر، وفي ثاني أيام التشريق اليوم الثاني عشر متحدتان في المعنى. انظر: عون المعبود ٥/ ٤٣١، وفتح الملك المعبود ٢/ ١٠٠.

(٣) أبو داود برقم ١٩٥٢ ويشهد له حديث سرَّاء بنت نبهان برقم ١٩٥٣ وصحح حديث أبي نجيح الألباني في صحيح سنن أبي داود ١/ ٣٦٨ برقم ١٧٢٠.

وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، أبلغت؟» قالوا: بلَّغ رسول الله ﷺ . ثم قال: «أي يوم هذا؟» قالوا: يوم حرام. ثم قال: «أيُّ شهر هذا؟» قالوا: شهر حرام. ثم قال: «أي بلد هذا؟» قالوا: بلد حرام. قال: «فإن الله قد حرَّم بينكم دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، أبلغت؟» قالوا بلَّغ رسول الله ﷺ . قال: «ليبلغ الشاهد الغائب»[1].

وهناك جُمَلٌ من خطبه ﷺ في حجة الوداع في الأماكن المقدسة منها حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع فقال: «إن

(١) أحمد بترتيب عبد الرحمن البناء ١٢/ ٢٢٦ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ٣/ ٢٦٦. وانظر: حديث أبي حرة الرقاشي عن عمه قال: كنت آخذ بزمام ناقة رسول الله ﷺ في أوسط أيام التشريق أذود عنه الناس... وذكر فيه جملاً تراجع ويراجع سند الحديث في مسند أحمد ٥/ ٧٢.

الشيطان قد يئس أن يُعبد بأرضكم ولكن رضي أن يُطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم فاحذروا، إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، كتاب الله وسنة نبيه...» الحديث[١].

وحديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو يخطب الناس على ناقته الجدعاء في حجة الوداع يقول: «يا أيها الناس أطيعوا ربكم، وصلّوا خمسكم، وأدّوا زكاة أموالكم، وصوموا شهركم، وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنة ربكم»[٢].

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر المستنبطة من هذا المبحث كثيرة، ومنها:

---

(١) ذكره المنذري في الترغيب وعزاه إلى الحاكم، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب ١/ ٢١ برقم ٣٦ وله أصل في صحيح مسلم. انظر: حديث رقم ٢٨١٢، وانظر: مسند أحمد ٢/ ٣٦٨ والأحاديث الصحيحة برقم ٤٧٢.

(٢) الحاكم ١/ ٤٧٣ وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

١- إن كل من قدم المدينة إجابة لأذان النبي ﷺ بالحج فقد حج مع النبي ﷺ؛ لقول جابر رضي الله عنه: (فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتمَّ برسول الله ﷺ ويعمل مثل عمله)(١).

٢- استحباب نزول الحاج إلى عرفات بعد زوال الشمس إن تيسر ذلك.

٣- استحباب خطبة الإمام بالحجاج بعرفات، يبين فيها للناس ما يحتاجون إليه، ويعتني ببيان التوحيد، وأصول الدين، ويحذر فيها من الشرك والبدع والمعاصي، ويوصي الناس بالعمل بالكتاب والسنة.

وقد ثبت أن النبي ﷺ خطب في حجة الوداع ثلاث خطب: خطبة يوم عرفة، والخطبة الثانية يوم النحر في منى، والخطبة الثالثة في منى يوم الثاني عشر من ذي

---

(١) تقدم تخريجه من حديث جابر ﷺ.

الحجة. ومذهب الشافعي أن الإمام يخطب يوم السابع من ذي الحجة كذلك[1]، ويُعلِّم الإمام الناس في كل خطبة ما يحتاجون إليه إلى الخطبة الأخرى.

٤- تأكيد غلظ تحريم الدماء، والأعراض، والأموال، والأبشار الجلدية.

٥- استخدام ضرب الأمثال وإلحاق النظير بالنظير؛ لقوله ﷺ: **«كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»**.

٦- إبطال أفعال الجاهلية، وربا الجاهلية، وأنه لا قصاص في قتلى الجاهلية.

٧- إن الإمام ومن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يجب أن يبدأ بنفسه وأهله؛ لأنه أقرب لقبول قوله، وطيب نفس من قرب عهده بالإسلام.

٨- الموضوع من الربا هو الزائد على رأس المال، أما

---

(١) انظر: فتح الملك المعبود في تكملة المنهل المورود ٢/ ٢٠.

رأس المال فلصاحبه.

٩- مراعاة حق النساء، ومعاشرتهن بالمعروف، وقد جاءت أحاديث كثيرة بذلك جمعها النووي أو معظمها في رياض الصالحين.

١٠- وجوب نفقة الزوجة وكسوتها، وجواز تأديبها إذا أتت بما يقتضي التأديب لكن بالشروط والضوابط التي جاءت بالكتاب والسنة، وأن لا يحصل منكر من أجل ذلك التأديب.

١١- الوصية بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ .

١٢- قوله: «**لتأخذوا عني مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه**» ففي ذلك لام الأمر، والمعنى خذوا مناسككم، وهكذا وقع في رواية غير مسلم، وتقديره: هذه الأمور التي أتيت بها في حجتي من الأقوال، والأفعال، والهيئات هي أمور الحج وصفته

وهي مناسككم فخذوها عني واقبلوها، واحفظوها واعملوا بها، وعلموها الناس، وهذا الحديث أصل عظيم في مناسك الحج، فهو كقوله ﷺ : «صلوا كما رأيتموني أصلي»[(١)].

١٣- وفي قوله ﷺ : «لَعَلِّي لا أحج بعد حجتي هذه» إشارة إلى توديعهم، وإعلامهم بقرب وفاته ﷺ ، وحثهم على الأخذ عنه، وانتهاز الفرصة وملازمته، وبهذا سميت حجة الوداع.

١٤- الحث على تبليغ العلم ونشره، وأن الفهم ليس شرطاً في الأداء، وأنه قد يأتي في الآخر من يكون أفهم ممن تقدم ولكن بقلة، وأن الأفضل أن يكون الخطيب على مكان مرتفع؛ ليكون أبلغ في سماع الناس ورؤيتهم له.

١٥- استخدام السؤال ثم السكوت والتفسير يدل

---

(١) البخاري برقم ٧٢٤٦.

على التفخيم، والتقرير والتنبيه.

١٦- الأمر بطاعة ولي الأمر مادام يقود الناس بكتاب الله تعالى، وإذا ظهرت منه بعض المعاصي والمنكرات، وُعِظَ وَذُكِّر بالله وخُوِّف به لكن بالحكمة والأسلوب الحسن.

١٧- الوصية بطاعة الله، والصلاة، والزكاة، والصيام، وأنه لا فرق بين أصناف الناس إلا بالتقوى.

١٨- معجزة النبي ﷺ الظاهرة الدالة على صدقه، وذلك بسماع الناس لخطبته يوم النحر وهم في منازلهم[١] فقد فتح الله أسماعهم كلهم لها.

١٩- الضحية سنه مؤكدة على الصحيح من أقوال أهل العلم، وهي في حق الحاج وغير الحاج فلا يجزئ عنها الهدي، وإنما هي سنة مستقلة؛ لأنه ﷺ بعد أن

---

(١) البخاري، برقم ٤٤٠٦، ومسلم، برقم ١٦٧٩.

خطب الناس بمنى انقلب فذبح كبشين أملحين[1] وهذا غير الهدايا التي نحرها بيده وأشرك عليّاً في الهدي وأمره بنحر الباقي من البدن.

(١) انظر: فتح الباري ٣/ ٥٧٤، ٥٧٧، وشرح النووي ٨/ ٤٢٢ – ٤٣٤ و٩ / ٥١– ٥٢ و١١/ ١٨٢، وفتح الملك المعبود في تكملة المنهل المورود شرح سنن أبي داود ٢/ ٢٠ و٢/ ٥٤، ٢/ ٩٩–٢٠٦.

المبحث الثالث والعشرون: توديعه للأحياء والأموات ﷺ

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وآتاكم ما توعدون، غداً مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد**»(١). وفي رواية أنه قال ﷺ: «**فإن جبريل أتاني.. فقال إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم**» قالت عائشة: يا رسول الله، كيف أقول لهم؟ قال: «**قولي: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**»(٢).

وقد ذكر الإمام الأُبِّي رحمه الله تعالى أن خروجه هذا

---

(١) البقيع هو مدفن أهل المدينة، وسمي بقيع الغرقد، لغرقد كان فيه، وهو ما عظم من العوسج. انظر: شرح النووي ٧/ ٤٦، وشرح الأبي على مسلم ٣/ ٣٩٠.

(٢) أخرجه مسلم برقم ٩٧٤.

كان في آخر عمره ﷺ[١] وهذا والله أعلم يدل على توديعه للأموات كما فعل مع شهداء أحد؛ ولهذا والله أعلم كان يخرج في الليل ويقف في البقيع يدعو لهم كما قالت عائشة رضي الله عنها: «**ثم انطلقت على إثره حتى جاء البقيع فقام فأطال القيام ثم رفع يديه ثلاث مرات ثم انحرف...**»[٢].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج يوماً فصلى على قتلى أُحد صلاة الميت[٣] بعد ثماني سنين كالمودع للأحياء والأموات ثم طلع على المنبر فقال: «**إني بين أيديكم فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإن موعدكم الحوض، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن من مقامي هذا، وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح**

---

(١) انظر: شرح الأبي على صحيح مسلم ٣/ ٣٨٨، وفتح الباري ٧/ ٣٤٩.

(٢) مسلم برقم ٩٧٤.

(٣) الأحاديث الصحيحة دلت أن شهداء المعركة لا يصلى عليهم، أما هذا الحديث فكأنه ﷺ دعا لهم واستغفر لهم حين علم قرب أجله مودعاً لهم بذلك، كما ودع أهل البقيع بالاستغفار لهم. انظر: فتح الباري ٣/ ٢١٠ و٧/ ٣٤٩ ورجح ذلك العلامة ابن باز في تعليقه على فتح الباري ٦/ ٦١١.

الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي[١]، ولكني أخاف عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها [وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم] قال عقبة: فكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ [على المنبر]»[٢].

فتوديعه ﷺ للأحياء ظاهر؛ لأن سياق الأحاديث يشعر أن ذلك كان آخر حياته ﷺ، وأما توديعه للأموات فباستغفاره لأهل البقيع ودعائه لأهل أحد، وانقطاعه بجسده عن زيارتهم[٣].

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر المستنبطة من هذا المبحث كثيرة، منها:

١ـ حرص النبي ﷺ على نفع أمته، والنصح لهم في

---

(١) أي لا أخاف على مجموعكم؛ لأن الشرك قد وقع من بعض أمته بعده ﷺ. فتح الباري ٣/ ٢١١.

(٢) البخاري من الألفاظ في جميع المواضع، برقم ١٣٤٤، ٣٥٩٦، ٤٠٤٢، ٤٠٨٥، ٦٤٢٦، ٦٥٩٠، ومسلم برقم ٢٢٩٦، وما بين المعكوفين من صحيح مسلم.

(٣) الفتح ٧/ ٣٤٩.

الحياة، وبعد الممات؛ ولهذا صلى على شهداء أحد بعد ثمان سنوات، وزار أهل البقيع ودعا لهم، وأوصى الأحياء ونصحهم، ووعظهم وأمرهم ونهاهم فما ترك خيراً إلا دلهم عليه، ولا شرًا إلا حذرهم منه.

٢ـ التحذير من فتنة زهرة الدنيا لمن فتحت عليه، فينبغي له أن يحذر سوء عاقبتها، ولا يطمئن إلى زخارفها، ولا ينافس غيره فيها، ويستخدم ما عنده منها في طاعة الله تعالى[1].

(١) انظر: فتح الباري ١١/ ٢٤٥.

المبحث الرابع والعشرون: بداية مرضه ﷺ وأمره لأبي بكر أن يصلي بالناس

رجع ﷺ من حجة الوداع في ذي الحجة فأقام بالمدينة بقية الشهر، والمحرم، وصفراً، وجهز جيش أسامة بن زيد رضي الله عنهما، فبينما الناس على ذلك ابتدئ رسول الله ﷺ بشكواه في ليال بقين من صفر: قيل في الثاني والعشرين منه، وقيل: في التاسع والعشرين ، وقيل: بل في أول شهر ربيع الأول، وقد صلى على شهداء أحد فدعا لهم كما تقدم، وذهب إلى أهل البقيع وسلم عليهم ودعا لهم مودعاً لهم، ثم رجع مرة من البقيع فوجد عائشة وهي تشتكي من صداع برأسها وهي تقول: وارأساه. فقال: «**بل أنا والله يا عائشة وارأساه**». قالت عائشة رضي الله عنها: ثم قال: «**وما ضرك لو متِ قبلي فقمت عليك وكفنتك، وصلَّيت عليك، ودفنتك**» قالت: قلت: والله لكأني بك لو قد فعلت ذلك لقد رجعت إلى بيتي فأعرست ببعض نسائك. قالت:

«فتبسَّم رسول الله ﷺ»[١] وتتام به وجعه حتى استعزبه[٢] وهو في بيت ميمونة، فدعا نساءه فاستأذنهن أن يمرض في بيتي»[٣].

وأول ما اشتدَّ برسول الله ﷺ وجعه في بيت ميمونة رضي الله عنها فاستأذن أزواجه أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها[٤]، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما ثقل رسول الله ﷺ واشتد به وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي فأذنَّ له فخرج وهو بين رجلين تخط

---

(١) ابن هشام بسند ابن إسحاق، انظر: سيرة ابن هشام ٤/ ٣٢٠، وانظر: البداية والنهاية لابن كثير ٥/ ٢٢٤، وفتح الباري ٨/ ١٢٩ - ١٣٠، وأخرجه أحمد ٦/ ١٤٤ و٢٢٨ لابن ماجه، والبيهقي، وقال الألباني: إن ابن إسحاق قد صرح بالتحديث في رواية ابن هشام فثبت الحديث والحمد لله. أحكام الجنائز ص ٥٠.

(٢) استعزبه: اشتد عليه وغلبه على نفسه.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام ٤/ ٣٢٠ والبداية والنهاية لا بن كثير ٥/ ٢٢٣ - ٢٣١، وقيل: كان ذلك في التاسع والعشرين من شهر صفر يوم الأربعاء، فبقي في مرضه ثلاثة عشر يوماً وهذا قول الأكثر.

انظر: الفتح ٨/ ١٢٩.

(٤) صحيح مسلم برقم ٤١٨، وانظر: فتح الباري ٨/ ١٢٩.

رجلاه في الأرض بين عباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر[١] وكانت عائشة رضي الله عنها تحدث أن رسول الله ﷺ لـمّا دخل بيتي واشتد به وجعه قال: «هَرِيقوا[٢] عليَّ من سبع قرب[٣] لم تُحْلَلْ أوكيتهن لعلي أعهد[٤] إلى الناس، فأجلسناه في مِخضَب[٥] لحفصة زوج النبي ﷺ ثم طفقنا[٦] نصب عليه من تلك القرب، حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتن، ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم»[٧].

---

(١) هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما قال ابن عباس في آخر حديث البخاري رقم ٦٨٧ ومسلم برقم ٤١٨.

(٢) وفي رواية: أهريقوا: أي أريقوا وصبوا. الفتح ١/ ٣٠٣.

(٣) هذا من باب التداوي؛ لأن لعدد السبع دخولاً في كثير من أمور الشريعة، وأصل الخلقة، وفي رواية لهذا الحديث عند الطبراني: ((... من آبار شتى)). الفتح ١/ ٣٠٣ و٨/ ١٤١.

(٤) أعهد: أي أوصي. الفتح ١/ ٣٠٣.

(٥) المخضب: هو إناء نحو المركن الذي يغسل فيه وتغسل فيه الثياب من أي جنس كان. النووي ٤/ ٣٧٩ والفتح ١/ ٣٠١ و٣٠٣.

(٦) طفقنا: أي شرعنا: يقال: طفق يفعل كذا إذا شرع في فعل واستمر فيه. الفتح ٣/ ٣٠٣.

(٧) البخاري برقم ١٩٨ وذكر هنا له ستة عشر موضعاً، وقد جمع بين هذه المواضع الألباني في مختصر البخاري ١/ ١٧٠، ومسلم برقم ٤١٨.

وعنها رضي الله عنها قالت: (ثقل رسول الله ﷺ فقال: «أصلى الناس»؟ قلنا: لا هم ينتظرونك يا رسول الله! قال: «ضعوا لي ماء في المخضب» قالت: ففعلنا. فاغتسل فذهب لينوءَ[1] فأُغمي عليه، ثم أفاق فقال ﷺ: «أصلى الناس»؟ قلنا: لا هم ينتظرونك يا رسول الله! فقال: «ضعوا لي ماء في المخضب» قالت: ففعلنا [فقعد] فاغتسل. ثم ذهب لينوء فأُغمي عليه. ثم أفاق فقال: «أصلى الناس»؟ فقلنا: لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله! فقال: «ضعوا لي ماء في المخضب» ففعلنا [فقعد] فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: «أصلى الناس»؟ فقلنا: لا هم ينتظرونك يا رسول الله! قالت: والناس عكوف في المسجد ينتظرون النبي ﷺ لصلاة العشاء الآخرة، قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى

(١) لينوء: أي لينهض بجهد. الفتح ٢/ ١٧٤.

أبي بكر؛ ليصلي بالناس، فأتاه الرسول[١] فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلي بالناس. فقال أبو بكر – وكان رجلاً رقيقاً – يا عمر! صلِّ بالناس. فقال له عمر: أنت أحقُّ بذلك. قالت: فصلَّى بهم أبو بكر تلك الأيام. ثم إن رسول الله ﷺ وجد من نفسه خِفَّة فخرج بين رجلين – أحدهما العباس[٢]– لصلاة الظهر وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر، فأومأ إليه النبي ﷺ بأن لا يتأخر، وقال لهما: «**أجلساني إلى جنبه**» فأجلساه إلى جنب أبي بكر، فجعل أبو بكر يصلي وهو قائم يأتم بصلاة النبي ﷺ والناس يصلون بصلاة أبي بكر والنبي ﷺ قاعد)[٣]. وهذا صريح في أن هذه الصلاة هي

---

(١) أي الذي أرسله إليه النبي ﷺ ليصلي بالناس.

(٢) والآخر علي رضي الله عنه كما تقدم.

(٣) البخاري برقم ٦٨٧ ومسلم برقم ٤١٨ وقد اخترت بعض الألفاظ من البخاري وبعضها من مسلم.

صلاة الظهر[١]. وقد كان ﷺ حريصاً على أن يكون أبو بكر هو الإمام وردد الأمر بذلك مراراً، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما ثَقُل رسول الله ﷺ جاء بلال يؤذنه بالصلاة، فقال: «مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس» فقلت: يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف[٢] وإنه متى

---

(١) وزعم بعضهم أنها الصبح، واستدل برواية أرقم بن شرحبيل عن ابن عباس: ((وأخذ رسول الله ﷺ القراءة من حيث بلغ أبو بكر، وهذا لفظ ابن ماجه وإسناده حسن؛ لكن في الاستدلال به نظر؛ لاحتمال أن يكون ﷺ سمع لما قرب من أبي بكر الآية التي انتهى إليها أبو بكر خاصة، وقد كان هو يسمع الآية أحياناً في الصلاة السرية كما في حديث أبي قيادة، ثم لو سلم لم يكن فيه دليل على أنها الصبح بل يحتمل أن تكون المغرب فقد ثبت في الصحيحين من حديث أم الفضل قالت: (سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالمرسلات عرفاً، ثم ما صلى لنا بعدها حتى قبضه الله) البخاري برقم ٧٦٣ و٤٤٢٩، ومسلم برقم ٤٦٢ قال ابن حجر: لكن وجدت في النسائي أن هذه الصلاة التي ذكرتها أم الفضل كانت في بيته وقد صرح الشافعي أنه ﷺ لم يصلِّ بالناس في مرض موته في المسجد إلا مرة واحدة وهي هذه التي صلى فيها قاعداً وكان أبو بكر فيها أولاً إماماً ثم صار مأموماً يسمع الناس التكبير. انظر: الفتح ٢/ ١٧٥.

(٢) أسيف: شديد الحزن: والمراد أنه رقيق القلب إذا قرأ غلبه البكاء فلا يقدر على القراءة. فتح الباري ٢/ ١٥٢، ١٦٥، ٢٠٣.

يقم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر؟ فقال: «**مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس**» قالت: فقلت لحفصة: قولي له إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر، فقالت له فقال رسول الله ﷺ : «**إنكنَّ لأنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس**» فقالت حفصة لعائشة: [ما كنت لأصيب منك خيراً]. قالت عائشة: فأمروا أبا بكر يصلي بالناس فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله ﷺ من نفسه خفة، فقام يهادى بين رجلين ورجلاه تخطان في الأرض، حتى دخل المسجد، فلما سمع أبو بكر حسه ذهب يتأخر، فأومأ إليه رسول الله ﷺ : «**قم مكانك**» فجاء رسول الله ﷺ حتى جلس عن يسار أبي بكر، فكان رسول الله ﷺ يصلي بالناس جالساً وأبو بكر قائماً يقتدي أبو بكر بصلاة النبي ﷺ ويقتدي الناس بصلاة أبي بكر)[1].

---

(١) البخاري برقم ٧١٣، ٢/ ٢٠٤ ومسلم برقم ٤١٨، قول حفصة رضي الله عنها:=

والسبب الذي جعل عائشة رضي الله عنها تراجع النبي ﷺ في إمامة أبي بكر بالصلاة هو ما بيَّنَتْه في رواية أخرى قالت رضي الله عنها: (لقد راجعت رسول الله ﷺ في ذلك وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً، ولا كنت أرى أنه لن يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله ﷺ عن أبي بكر)[١]؛ ولهذا قال ﷺ لها ولحفصة: «إنكن لأنتن صواحب يوسف»[٢].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: (وتقديمه ﷺ لأبي بكر معلوم بالضرورة من دين الإسلام وتقديمه له دليل على أنه أعلم الصحابة، وأقرؤهم لما ثبت في الصحيح: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله..»[٣] الحديث. نعم قد اجتمعت

= ما كنت لأصيب منك خيراً. البخاري برقم ٦٧٩.

(١) البخاري برقم ١٩٨، و٤٤٤٥، ومسلم برقم ٤١٨ رواية ٩٣.

(٢) البخاري برقم ٧١٣، مسلم برقم ٤١٨ وتقدم تخريجه.

(٣) مسلم برقم ٦٧٣.

في أبي بكر هذه الصفات رضي الله عنه ...)[1].

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة، ومنها:

١- استحباب زيارة قبور الشهداء بأحد وقبور أهل البقيع والدعاء لهم بشرط عدم شد الرحال، وعدم إحداث البدع.

٢- جواز تغسيل الرجل زوجته وتجهيزها والزوجة كذلك.

٣- جواز استئذان الرجل زوجاته أن يُمرَّض في بيت إحداهن إذا كان الانتقال يشق عليه، وإذا لم يأذنَّ فحينئذ يقرع بينهن.

---

(١) البداية والنهاية ٥/ ٢٣٤ وروى البيهقي عن أنس رضي الله عنه أنه كان يقول: ((آخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ مع القوم في ثوب واحد ملتحفاً به خلف أبي بكر)) قال ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية ٥/ ٢٣٤: ((وهذا إسناد جيد على شرط الصحيح)) ورجح العلامة ابن باز رحمه الله أن النبي ﷺ لم يصلِّ خلف أحد من أمته إلا عبد الرحمن بن عوف. قلت: أما الصلاة التي صلاها مع أبي بكر فإنه هو الإمام كما تقدم والله أعلم.

٤- جواز المرض والإغماء على الأنبياء بخلاف الجنون فإنه لا يجوز عليهم؛ لأنه نقص، والحكمة من مرض الأنبياء؛ لتكثير أجرهم، ورفع درجاتهم، وتسلية الناس بهم؛ ولئلا يفتتن الناس بهم فيعبدونهم؛ لما يظهر على أيديهم من المعجزات والآيات البينات، وهم مع ذلك لا يملكون لأنفسهم ضرّاً ولا نفعاً إلا ما شاء الله.

٥- استحباب الغسل من الإغماء؛ لأنه ينشط ويزيل أو يخفف الحرارة.

٦- إذا تأخر الإمام تأخراً يسيراً ينتظر، فإذا شق الانتظار صلى أعلم الحاضرين.

٧- فضل أبي بكر وترجيحه على جميع الصحابة رضي الله عنهم، وتنبيهه وتنبيه الناس أنه أحق بالخلافة من غيره؛ لأن الصلاة بالناس للخليفة؛ ولأن الصحابة رضي الله عنهم قالوا: (**رضينا لدنيانا من رضيه رسول الله ﷺ لديننا**).

٨- إذا عرض للإمام عارض أو شغل بأمر لا بد منه منعه من حضور الجماعة فإنه يستخلف من يصلي بهم ويكون أفضلهم.

٩- فضل عمر رضي الله عنه؛ لأن أبا بكر وثق به، ولهذا أمره أن يصلي ولم يعدل إلى غيره.

١٠- جواز الثناء والمدح في الوجه لمن أُمِنَ عليه الإعجاب والفتنة؛ لقول عمر رضي الله عنه: (أنت أحق بذلك).

١١- دفع الفضلاء الأمور العظيمة عن أنفسهم إذا كان هناك من يقوم بها على وجه مقبول.

١٢- يجوز للمُسْتَخْلَفِ في الصلاة ونحوها أن يستخلف غيره من الثقات لقول أبي بكر: (صلِّ يا عمر).

١٣- الصلاة من أهم ما يسأل عنه.

١٤- فضل عائشة رضي الله عنها على جميع أزواج

النبي ﷺ الموجودات ذلك الوقت وهن تسع إحداهن عائشة رضي الله عنهن.

١٥- جواز مراجعة ولي الأمر على سبيل العرض والمشاورة والاستشارة بما يظهر أنه مصلحة، لكن بعبارة لطيفة تحمل الحكمة وحسن الأسلوب.

١٦- جواز وقوف المأموم بجنب الإمام لحاجة أو مصلحة: كإسماع المأمومين التكبير في الجم الغفير الذين لا يسمعون الصوت، أو ضيق المكان، أو علة أخرى كصلاة المرأة بالنساء، أو المنفرد مع الإمام، أو إمام العراة.

١٧- جواز رفع الصوت بالتكبير فينقل المبلغ للناس صوت الإمام إذا لم يسمع الناس تكبير الإمام.

١٨- التنبيه على الحرص على حضور الصلاة مع الجماعة إلا عند العجز التام عن ذلك.

١٩- الأعلم والأفضل أحق بالإمامة من العالم والفاضل.

٢٠- إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا صلى جالساً صلَّى الناس جلوساً، وإذا صلّى قائماً صلوا قياماً.

٢١- البكاء في الصلاة من خشية الله لا حرج فيه لكن لا يتكلف ذلك ولا يطلبه، فإذا غلبه البكاء في الصلاة بدون اختياره فلا حرج[1].

(١) انظر: شرح النووي ٤/ ٣٧٩-٣٨٦، وشرح الأبي ٢/ ٣٠١- ٣٠٢، وفتح الباري ٢/ ١٥١، ١٥٢، ١٦٤ و١٦٦، ١٧٣، ٢٠٣، ٢٠٦.

المبحث الخامس والعشرون: خطبته العظيمة ووصيته للناس ﷺ

خطب ﷺ أصحابه في يوم الخميس قبل أن يموت بخمسة أيام خطبة عظيمة بيَّن فيها فضل الصدِّيق من سائر الصحابة، مع ما قد كان نص عليه أن يؤم الصحابة أجمعين، ولعل خطبته هذه كانت عوضاً عما أراد أن يكتبه في الكتاب، وقد اغتسل عليه الصلاة والسلام بين يدي هذه الخطبة العظيمة، فصبوا عليه من سبع قرب لم تُحلل أوكيتهن، وهذا من باب الاستشفاء بعدد السبع كما وردت به الأحاديث[1] والمقصود أنه ﷺ اغتسل ثم خرج وصلى بالناس ثم خطبهم. قال جندب رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل**[2]؛ **فإن الله تعالى قد**

---

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٥/ ٢٢٨.

(٢) الخُلَّة: الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خِلاله؛ أي في باطنه، وهي أعلى المحبة الخالصة، والخليل: الصديق الخالص؛ وإنما قال ذلك ﷺ؛ لأن خلته كانت مقصورة على حب الله تعالى فليس فيها لغيره متسع ولا شركة من محاب =

اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك»(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب النبي ﷺ فقال: «**إن الله خيَّر عبداً بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عند الله**»، فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال: فديناك بآبائنا وأُمهاتنا، فعجبنا له، وقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله ﷺ عن عبدٍ خيَّرَه الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عند الله، وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، فكان رسول الله ﷺ هو [العبد] المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا. فقال رسول الله ﷺ: «**[يا أبا بكر لا تبكي] إن من أمنِّ الناس عليَّ في**

= الدنيا والآخرة. انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/ ٧٢، والمصباح المنير ١/ ١٨٠، وشرح النووي ٥/ ١٦، شرح الأبي ٢/ ٤٢٦.

(١) مسلم برقم ٥٣٢.

صحبته وماله[١] أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر، ولكن أُخوَّةُ الإسلام، ومودته، لا يَبْقَيَنَّ في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر»[٢].

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة، ومنها:

١ـ أمر النبي ﷺ بسد الأبواب إلا باب أبي بكر من جملة الإشارات التي تدل على أنه هو الخليفة.

٢ـ فضل أبي بكر رضي الله عنه وأنه أعلم الصحابة رضي الله عنهم، ومن كان أرفع في الفهم استحق أن يطلق عليه أعلم، وأنه أحب الصحابة إلى رسول الله ﷺ.

٣ـ الترغيب في اختيار ما في الآخرة على ما في الدنيا، وأن الرغبة في البقاء في الدنيا وقتاً من الزمن إنما هي

---

(١) معناه: أكثرهم جوداً لنا بنفسه وماله، انظر: فتح الباري ١/ ٥٥٩، وشرح النووي ١٥/ ١٦٠.
(٢) البخاري برقم ٤٦٦، ٣٦٥٤، ٣٩٠٤، ومسلم برقم ٢٣٨٢.

للرغبة في رفع الدرجات في الآخرة وذلك بالازدياد من الحسنات لرفع الدرجات.

٤ـ شكر المحسن والتنويه بفضله وإحسانه والثناء عليه؛ لأن من لم يشكر الناس لا يشكر الله تعالى.

٥ـ التحذير من اتخاذ المساجد على القبور وإدخال القبور في المساجد أو وضع الصور فيها، ولعن من فعل ذلك، وأنه من شرار الخلق عند الله كائناً من كان[1].

٦ـ حب الصحابة لرسول الله ﷺ أكثر من النفس والولد والوالد والناس أجمعين ولهذا يفدونه بآبائهم وأمهاتهم.

---

(١) انظر: فتح الباري ١/ ٥٥٩، ٧/ ١٤، ١٦، والنووي ١٥/ ١٦.

المبحث السادس والعشرون: اشتداد مرضه ﷺ ووصيته في تلك الشدة

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات[١] وينفث فلما اشتد وجعه [الذي توفي فيه] كنت أقرأ [وفي رواية أنفث] عليه بهن وأمسح بيده نفسه رجاء بركتها. قال ابن شهاب: «**ينفث على يديه ثم يمسح بهما وجهه**»[٢]. وفي صحيح مسلم قالت: «**كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه؛ لأنها كانت أعظم بركة من يدي**»[٣]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: اجتمع نساء النبي ﷺ فلم يغادر منهن امرأة فجاءت

---

(١) المراد بالمعوذات: قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس. انظر: الفتح ٨/ ١٣١ و٩/ ٦٢.

(٢) البخاري برقم ٤٤٣٩، ٥٠١٦، ٥٧٣٥، ٥٧٥١، ومسلم برقم ٢١٩٢ وكان يفعل ذلك ﷺ أيضاً إذا أوى إلى فراشه "فيقرأ بقل هو الله أحد، وبالمعوذتين جميعاً ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات" البخاري برقم ٥٧٤٨.

(٣) مسلم برقم ٢١٩٢.

فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ . فقال: «مرحباً بابنتي» فأجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم إنه أسرَّ إليها حديثاً فبكت فاطمة. ثم إنه سارّها فضحكت أيضاً، فقلتُ لها ما يبكيك؟ فقالت: ما كنتُ لِأُفشي سرَّ رسول الله ﷺ . فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حُزْنٍ، فقلت حين بكت: أخصَّك رسول الله ﷺ بحديثه دوننا ثم تبكين؟ وسألتها عما قال: فقالت: ما كنت لِأُفشي سرَّ رسول الله ﷺ ، فلما توفي رسول الله ﷺ قلت: عزمتُ عليك بما لي من الحق لما حدثتيني ما قال لك رسول الله ﷺ ؟ فقالت: أمَّا الآن فنعم: أمَّا حين سارَّني في المرة الأولى «**فأخبرني أن جبريل كان يعارضه القرآن كل عام مرة وإنه عارضه به في العام مرتين ولا أُراني**[1] **إلا قد حضر أجلي فاتقي الله واصبري فإنه نعم السلف أنا لك**»، قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جزعي

---

(١) أي لا أظن.

ساري الثانية فقال: «**يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة؟**» قالت: فضحكت ضحكي الذي رأيت"[١] وفي رواية: «**فأخبرني أني أول من يتبعه من أهله فضحكت**»[٢].

فكان سبب ضحكها رضي الله عنها أنها سيدة نساء المؤمنين، وأول من يلحق به من أهله، وسبب البكاء أنه أخبرها بموته ﷺ . قال ابن حجر رحمه الله تعالى: (وروى النسائي في سبب الضحك الأمرين)[٣] أي بشارتها بأنها سيد ة نساء هذه الأمة، وكونها أول من يلحق به من أهله. وقد اتفقوا على أن فاطمة رضي الله عنها أول من مات من أهل بيت النبي ﷺ بعده حتى من أزواجه[٤].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما رأيتُ أحداً أشدَّ

---

(١) البخاري برقم ٤٤٣٣، ٤٤٣٤، ومسلم برقم ٢٤٥٠، واللفظ لمسلم.

(٢) البخاري برقم ٤٤٣٣، ٤٤٣٤، ومسلم ٢٤٥٠.

(٣) انظر: فتح الباري ٨/ ١٣٨.

(٤) انظر: فتح الباري ٨/ ١٣٦.

عليه الوجع[١] من رسول الله ﷺ)[٢].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك[٣] فمسسته بيدي فقلت: يا رسول الله إنك توعك وعكاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ: **«أجلْ إني أُوعك كما يوعك رَجُلان منكم»** قال: فقلت: ذلك أن لك أجرين. فقال رسول الله ﷺ: **«أجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه أذىً من مرض فما سواه [شوكة فما فوقها] إلا حط الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها»**[٤].

وعن عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم قالا:

---

(١) المراد بالوجع: المرض، والعرب تسمي كل مرض وجعاً. انظر: الفتح ١٠/ ١١١، وشرح النووي ١٦/ ٣٦٣.

(٢) البخاري برقم ٥٦٤٦، ومسلم برقم ٢٥٧٠.

(٣) يوعك: قيل الحمى، وقيل ألمها، وقيل إرعادها الموعوك وتحريكها إياه. الفتح ١٠/ ١١١.

(٤) البخاري مع الفتح ١٠/ ١١١ برقم ٥٦٤٧، ٥٦٤٨، ٥٦٦٠، ٥٦٦١، ٥٦٦٧، ومسلم ٤/ ١٩٩١ برقم ٢٥٧١ واللفظ له إلا ما بين المعكوفين.

لما نُـزِلَ[١] برسـول الله ﷺ طفـق[٢] يطـرح خميـصة[٣] لـه عـلى وجهه فإذا اغتم[٤] كشفها عن وجهه وهـو كـذلك يقـول: «**لعنـة الله عـلى اليهـود والنـصارى اتخـذوا قبـور أنبيـائهم مساجد**» يُحَذِّرُ ما صنعوا[٥].

وعن عائشة رضي الله عنها أنهـم تـذاكروا عنـد رسـول الله ﷺ في مرضه فذكرت أمُّ سلمة وأمُّ حبيبة كنيسة رأينها بالحبشة فيها تـصاوير، فقـال رسـول الله ﷺ: «**إن أولئِكَ إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قـبره مـسجداً وصوَّروا فيـه تلـك الـصور، أولئِكِ شرار الخلـق عنـد الله**

(١) نُـزِل: أي لما حضرت المنيـة والوفـاة. انظـر: شرح الـسنوسي عـلى صـحيح مـسلم بهامش الأبي ٢/ ٤٢٥، وفتح الباري ١/ ٥٣٢.

(٢) طفـق: أي شرع وجعـل، انظـر: شرح النـووي ٥/ ١٦، وشرح الأبي ٢/ ٤٢٥، حاشية السنوسي، وفتح الباري ١/ ٥٣٢.

(٣) خميصة: كساء له أعلام.

(٤) اغتم: تسخن بالخميصة وأخذ بنفسه من شدة الحرارة.

(٥) البخاري مع الفتح ٨/ ١٤٠ برقم ٤٤٤٣، ٤٤٤٤، ومسلم برقم ٥٣١.

يوم القيامة»[١].

وعن عائشة رضي الله عنها أيضاً قالت: (قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: **«لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»** قالت: فلولا ذلك لأبرزوا قبره، غير أني أخشى أن يُتخذ مسجداً)[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»**[٣].

وعن أنس رضي الله عنه قال: لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه[٤]،

---

(١) البخاري برقم ٤٢٧ و٤٣٤، ١٣٤١، ٣٨٧٨، ومسلم برقم ٥٢٨.

(٢) البخاري برقم ٤٣٥، ١٣٣٠، ١٣٩٠، ٣٤٥٣، ٤٤٤١، ٤٤٤٣، ٥٨١٥، ومسلم برقم ٥٢٩ ولفظ مسلم ((غير أنه خُشِيَ))، وعند البخاري برقم ١٣٩٠ ((غير أنه خَشِيَ أو خُشِيَ)).

(٣) أبو داود ٢/ ٢١٨، برقم ٢٠٤٢، وأحمد ٢/ ٣٦٧، وانظر صحيح أبي داود ١/ ٣٨٣.

(٤) يتغشاه: يغطيه ما اشتدّ به من مرض فيأخذ بنفسه ويغمه.

فقالت فاطمة رضي الله عنها: واكرب أباه[1] فقال لها: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم» فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب ربّاً دعاه، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه[2]. فلما دُفن قالت فاطمة رضي الله عنها: يا أنس! أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟)[3].

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة ومنها:

١- استحباب الرقية بالقرآن، وبالأذكار، وإنما جاءت الرقية بالمعوذات؛ لأنها جامعة للاستعاذة من كل المكروهات جملة وتفصيلاً، ففيها الاستعاذة من شر ما خلق الله عز وجل، فيدخل في ذلك كل شيء، ومن شر النفاثات في العقد، ومن شر السواحر، ومن شر

(١) لم ترفع صوتها رضي الله عنها بذلك، وإلا لنهاها ﷺ. انظر: الفتح ٨/ ١٤٩.
(٢) ننعاه: نَعَى الميت إذا أذاع موته وأخبر به.
(٣) البخاري برقم ٤٤٦٢.

الحاسدين، ومن شر الوسواس الخناس[١].

٢- عناية النبي ﷺ ببنته فاطمة ومحبته لها؛ ولهذا قال: «مرحباً بابنتي» وقد جاءت الأخبار أنها كانت إذا دخلت عليه قام إليها وقبَّلها، وأجلسها في مجلسه، وإذا دخل عليها فعلت ذلك رضي الله عنها، فلما مرض دخلت عليه وأكبَّتْ عليه تقبله[٢].

٣- يؤخذ من قصة فاطمة رضي الله عنها أنه ينبغي العناية بالبنات، والعطف عليهن، والإحسان إليهن، ورحمتهن، وتربيتهن التربية الإسلامية، اقتداء بالنبي ﷺ، وأن يختار لها الزوج الصالح المناسب.

٤- عناية الولد بالوالد كما فعلت فاطمة رضي الله عنها، فيجب على الولد أن يحسن إلى والديه، ويعتني ببرهما، ولا يعقهما، فيتعرض لعقوبة الله تعالى.

(١) انظر: شرح النووي ١٤/ ٤٣٣، والأبي ٧/ ٣٧٥.

(٢) انظر: فتح الباري ٨/ ١٣٥، ١٣٦.

٥- معجزة النبي ﷺ التي تدل على صدقه وأنه رسول الله ﷺ ، ومن ذلك أنه أخبر أن فاطمة أول من يلحقه من أهله، فكانت أول من مات من أهله بالاتفاق.

٦- سرور أهل الإيمان بالانتقال إلى الآخرة، وإيثارهم حب الآخرة على الدنيا لحبهم للقاء الله تعالى، ولكنهم لا يتمنون الموت لضر نزل بهم؛ لرغبتهم في الإكثار من الأعمال الصالحة؛ لأن الإنسان إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث كما بين النبي عليه الصلاة والسلام.

٧- المريض إذا قَرُبَ أجله ينبغي له أن يوصي أهله بالصبر؛ لقوله ﷺ لفاطمة: «**فاتقي الله واصبري**».

٨- فضل فاطمة رضي الله عنها وأنها سيدة نساء المؤمنين.

٩- المرض إذا احتسب المسلم ثوابه، فإنه يكفر الخطايا، ويرفع الدرجات، وتزاد به الحسنات، وذلك عام في الأسقام، والأمراض ومصائب الدنيا، وهمومها

وإن قَلَّت مشقتها، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم أشد الناس بلاء، ثم الأمثل فالأمثل؛ لأنهم مخصوصون بكمال الصبر والاحتساب، ومعرفة أن ذلك نعمة من الله تعالى ليتم لهم الخير ويضاعف لهم الأجر، ويظهر صبرهم ورضاهم، ويُلحق بالأنبياء الأمثل فالأمثل من أتباعهم؛ لقربهم منهم وإن كانت درجتهم أقل، والسر في ذلك والله أعلم أن البلاء في مقابلة النعمة، فمن كانت نعمة الله عليه أكثر كان بلاؤه أشد؛ ولهذا ضوعف حد الحُرِّ على حد العبد، وقال الله تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ ﴾[1].

والقوي يُحَمَّل ما حمل، والضعيف يرفق به، إلا أنه كلما قويت المعرفة هان البلاء، ومنهم من ينظر إلى أجر البلاء فيهون عليه البلاء، وأعلى من ذلك من يرى أن هذا

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٠، وانظر: شرح النووي ١٦/ ٢٣٨، ٣٦٥، ٣٦٦، ٥/ ١٤، والأبي ٨/ ٣٢٦.

تصرف المالك في ملكه فَيُسلِّم ويرضى ولا يعترض[١].

١٠- التحذير من بناء المساجد على القبور ومن إدخال القبور والصور في المساجد، ولعن من فعل ذلك، وأنه من شرار الخلق عند الله تعالى يوم القيامة، وهذا من أعظم الوصايا التي أوصى بها رسول الله ﷺ قبل موته بخمسة أيام[٢].

(١) انظر: فتح الباري ٨/ ١٣٦، و١٠/ ١١٢، و٣/ ٢٠٨.

(٢) انظر: فتح الباري ٨/ ١٣٦، و١٠/ ١١٢، و٣/ ٢٠٨.

المبحث السابع والعشرون: وصايا النبي ﷺ عند موته

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يوم الخميس وما يوم الخميس(١) اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: «**ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً**» فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي التنازع [فقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله،] [فاختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول: قرِّبوا يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله ﷺ: "[قوموا] وفي رواية: «**دعوني فالذي أنا فيه خير**(٢) **مما**

---

(١) يوم الخميس وما يوم الخميس؛ معناه: تفخيم أمره في الشدة والمكروه، والتعجب منه ، وفي رواية في أواخر كتاب الجهاد عند البخاري: ((ثم بكى حتى خضب دمعه الحصى)). وفي رواية لمسلم: ((ثم جعلت تسيل دموعه حتى رأيتها على خديه...)) انظر: فتح الباري ٨/ ١٣٢، وشرح النووي على صحيح مسلم.

(٢) المعنى: دعوني من النزاع والاختلاف الذي شرعتم فيه فالذي أنا فيه من مراقبة الله تعالى والتأهب للقائه، والفكر في ذلك خير مما أنتم فيه، أو فالذي أعانيه من كرامة=

تدعونني إليه] أوصيكم بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم به»[(١)] وسكت عن الثالثة أو قال فأنسيتها"[(٢)] قال ابن حجر رحمه الله تعالى: "وأوصاهم بثلاث" أي في تلك الحالة، وهذا يدل على أن الذي أراد أن يكتبه ﷺ لم يكن أمراً متحتماً؛ لأنه لو كان مما أُمر بتبليغه لم يتركه لوقوع اختلافهم ولعاقب الله من حال بينه وبين تبليغه، ولبلَّغه لهم لفظاً كما أوصاهم بإخراج المشركين وغير ذلك، وقد عاش بعد هذه المقالة أياماً وحفظوا عنه أشياء لفظاً فيحتمل أن يكون مجموعها ما أراد أن يكتبه والله أعلم[(٣)].

= الله تعالى الذي أعدها لي بعد فراق الدنيا خير مما أنا فيه من الحياة.. وقيل غير ذلك. انظر: فتح الباري ٨/ ١٣٤، وشرح النووي.

(١) وأجيزوا الوفد: أي أعطوهم، والجائزة العطية، وهذا أمر منه ﷺ بإجازة الوفود وضيافتهم وإكرامهم تطييباً لنفوسهم وترغيباً لغيرهم من المؤلفة قلوبهم ونحوهم، وإعانة لهم على سفرهم. انظر: فتح الباري ٧/ ١٣٥ وشرح النووي.

(٢) البخاري برقم ٤٤٣١، ٤٤٣٢، ومسلم برقم ١٦٣٧.

(٣) فتح الباري ٨/ ١٣٤.

والوصية الثالثة في هذا الحديث يحتمل أن تكون الوصية بالقرآن، أو الوصية بتنفيذ جيش أسامة رضي الله عنه . أو الوصية بالصلاة وما ملكت الأيمان، أو الوصية بأن لا يتخذ قبره ﷺ وثناً يُعبد من دون الله، وقد ثبتت هذه الوصايا عنه ﷺ (١).

وعن عبد الله بن أبي أوْفَى رضي الله عنه أنه سُئِلَ هل أوصى رسول الله ﷺ ؟... قال: «**أوصى بكتاب الله عز وجل**»(٢). والمراد بالوصية بكتاب الله: حفظه حسّاً ومعنى، فيكرم ويصان، ويتبع ما فيه: فيعمل بأوامره، ويجتنب نواهيه، ويداوم على تلاوته وتعلمه وتعليمه ونحو ذلك(٣).

وقد أوصى ﷺ بكتاب الله تعالى في مناسبات كثيرة: منها أنه ﷺ أوصى به في خطبته في عرفات(٤)، وفي خطبته

---

(١) المرجع السابق ٨/ ١٣٥.

(٢) مسلم برقم ١٦٣٤، البخاري برقم ٢٧٤٠، ٤٤٦٠، ٥٠٢٢.

(٣) الفتح ٩/ ٦٧.

(٤) مسلم، برقم ١٢١٨ .

في منى[1]، وعندما رجع من مكة في غدير خم قال: «... **وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، [هو حبل الله، من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة] فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به**» فحث على كتاب الله ورغَّب فيه، ثم قال: «**وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي...**» ثلاث مرات[2]، وأوصى بكتاب الله تعالى عند موته ﷺ[3].

وأمر ﷺ وأوصى بإنفاذ جيش أسامة رضي الله عنه، وقد ذكر ابن حجر رحمه الله تعالى أنه كان تجهيز جيش أسامة يوم السبت قبل موت النبي ﷺ بيومين، وكان ابتداء ذلك قبل مرض النبي ﷺ، فندب الناس لغزو الروم في آخر صفر، ودعا أسامة وقال: «**سِرْ إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش...**» فبدأ برسول

---

(١) مسند أحمد، ٢/ ٣٦٨ .

(٢) صحيح مسلم برقم ٢٤٠٨ .

(٣) البخاري، برقم ٢٧٤٠، ومسلم، برقم ١٦٣٤، ورقم ٢٤٠٨ .

الله ﷺ وجعه في اليوم الثالث فعقد لأسامة لواء بيده فأخذه أسامة، وكان ممن انتدب مع أسامة كبار المهاجرين والأنصار، ثم اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: «**أنفذوا جيش أسامة**» فجهزه أبو بكر بعد أن استخلف فسار عشرين ليلة إلى الجهة التي أمر بها، وقتل قاتل أبيه ورجع الجيش سالماً وقد غنموا..»[١].

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: بعث النبي ﷺ بعثاً وأمَّر عليهم أسامة بن زيد فطعن بعض الناس في إمارته فقال النبي ﷺ: «**إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وايم الله إن كان لخليقاً للإمارة[٢] وإن كان لمن أحبِّ الناس إليَّ، وإنَّ هذا لمن أحبِّ الناس إليَّ بعده**»[٣]. وقد كان عُمُرُ أسامة رضي الله عنه حين

(١) انظر: فتح الباري ٨/ ١٥٢، وسيرة ابن هشام ٤/ ٣٢٨.

(٢) خليقاً: حقيقاً بها. النووي ١٥/ ٢٠٥.

(٣) البخاري ٧/ ٨٦، برقم ٣٧٣٠، ٤٢٥٠، ٤٤٦٨، ٤٤٦٩، ٦٦٢٧، ٧١٨٧، ومسلم برقم ٢٤٢٦.

توفي النبي ﷺ ثمان عشرة سنة[١].

وأوصى ﷺ بالصلاة وما مكلت الأيمان، فعن أنس رضي الله عنه قال: كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت: «**الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم**» حتى جعل رسول الله ﷺ يغرغر بها صدره ولا يكاد يفيض بها لسانه»[٢].

وعن علي رضي الله عنه قال: كان آخر كلام النبي ﷺ : «**الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم**»[٣].

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة ومنها:

١- وجوب إخراج المشركين من جزيرة العرب؛ لأن

---

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٥/ ٢٠٥.

(٢) أحمد بلفظه ٣/ ١١٧، وإسناده صحيح، ورواه ابن ماجه ٢/ ٩٠٠، وانظر صحيح ابن ماجه ٢/ ١٠٩.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٢/ ٩٠١، برقم ١٦٢٥، وأحمد برقم ٥٨٥، وانظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ١٠٩.

النبي ﷺ أوصى بذلك عند موته، وقد أخرجهم عمر رضي الله عنه في بداية خلافته، أما أبو بكر فقد انشغل بحروب الردة.

٢- إكرام الوفود وإعطاؤهم ضيافتهم كما كان النبي ﷺ يفعل؛ لأن النبي ﷺ أوصى بذلك.

٣- وجوب العناية بكتاب الله حسّاً ومعنى: فيكرم، ويصان، ويتبع ما فيه، فيعمل بأوامره ويجتنب نواهيه، ويداوم على تلاوته، وتعلمه وتعليمه ونحو ذلك؛ لأن النبي ﷺ أوصى به في عدة مناسبات، فدل ذلك على أهميته أهمية بالغة مع سنة النبي ﷺ .

٤- أهمية الصلاة؛ لأنها أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين؛ ولهذا أوصى بها النبي ﷺ عند موته أثناء الغرغرة.

٥- القيام بحقوق المماليك والخدم ومن كان تحت الولاية؛ لأن النبي ﷺ أوصى بذلك فقال: «الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم».

٦- فضل أسامة بن زيد حيث أمَّره النبي ﷺ على جيش عظيم فيه الكثير من المهاجرين والأنصار، وأوصى بإنفاذ جيشه[١].

٧- فضل أبي بكر حيث أنفذ وصية رسول الله ﷺ في جيش أسامة فبعثه؛ لقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢].

---

(١) انظر: فتح الباري ٨/ ١٣٤ - ١٣٥ و٩/ ٦٧.

(٢) سورة النور، الآية: ٦٣.

المبحث الثامن والعشرون: اختياره ﷺ الرفيق الأعلى

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى يخيَّر بين الدنيا والآخرة، فسمعت النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه وأخذته بُحَّةٌ(١) [شديدة] يقول: ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾(٢) قالت: فظننته خُيِّر حينئذ(٣).

وفي رواية عنها رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ وهو صحيح يقول: «**إنه لم يقبض نبي قط حتى يُرى مقعده من الجنة ثم يخيَّر**» قالت: فلما نزل برسول الله ﷺ(٤) ورأسه على فخذي غُشِيَ عليه ساعة ثم أفاق

---

(١) البُحةُ: غِلظٌ في الصوت. انظر: شرح النووي ١٥/ ٢١٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٣) البخاري برقم ٤٤٣٦، ٤٤٣٧، ٤٤٦٣، ٤٥٨٦، ٦٣٤٨، ٦٥٠٩، ومسلم برقم ٢٤٤٤.

(٤) وفي البخاري ((فلما اشتكى وحضره القبض)) رقم ٤٤٣٧.

فأشخص بصرهُ إلى السقف ثم قال: «**اللهم في الرفيق الأعلى**» فقلت: إذاً لا يختارنا، وعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح، قالت: فكان آخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ: «**اللهم الرفيقَ الأعلى**»(١). وقالت رضي الله عنها: سمعت النبي ﷺ وهو مسند إليَّ ظهره يقول: «**اللهم اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى**»(٢) وكان ﷺ متصل بربه وراغباً فيما عنده، ومُحبّاً للقائه، ومُحبّاً لما يُحبُّه سبحانه، ومن ذلك السواك؛ لأنه مطهرة للفم مرضاة للرب، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (إن من نعم الله عليَّ أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي، وفي يومي، وبين سحري(٣)، ونحري(٤)، وأن الله جمع

---

(١) البخاري برقم ٤٤٣٧، ٤٤٦٣ ومسلم ٢٤٤٤.

(٢) البخاري برقم ٤٤٤٠، ٥٦٦٤.

(٣) سحري: هو الصدر، وهو في الأصل: الرئة وما تعلق بها. الفتح ٨/ ١٣٩، والنووي ١٥/ ٢١٨.

(٤) ونحري: النحر هو موضع النحر. الفتح ٨/ ١٣٩.

بين ريقي وريقه عند موته، دخل عليَّ عبد الرحمن [بن أبي بكر] وبيده السواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ [إلى صدري][(١)] فرأيته ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ «**فأشار برأسه أن نعم**» فتناولته فاشتد عليه، وقلتُ أُليّنه لك؟ «**فأشار برأسه أن نعم**» فلينته [وفي رواية: فقصمته، ثم مضغته[(٢)] [وفي رواية فقضمته ونفضته وطيبته[(٣)] ثم دفعته إلى النبي ﷺ فاستنَّ به[(٤)] فما رأيت رسول الله ﷺ استن استناناً قَطُّ أحسن منه][(٥)] وبين يديه ركوة[(٦)] أو علبة[(٧)] فيها ماء، فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: «**لا إله إلا الله إن للموت**

---

(١) في البخاري رقم ٤٤٣٨.

(٢) في البخاري برقم ٩٨٠.

(٣) طيبته: بالماء، ويتحمل أن يكون تطييبه تأكيداً للينه، الفتح ٨/ ١٣٩.

(٤) أي استاك به وأَمَرَّهُ على أسنانه.

(٥) في البخاري برقم ٤٤٣٨.

(٦) الركوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء. انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/ ٢٦٠.

(٧) شك بعض الرواة وهو عمر، انظر: الفتح ٨/ ١٤٤.

سكرات» ثم نصب يده فجعل يقول: «في الرفيق الأعلى» حتى قبض ومالت يده)[١] ﷺ.

وقالت عائشة رضي الله عنها: مات النبي ﷺ وإنه لبين حاقنتي[٢] وذاقنتي[٣]، فلا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعد النبي ﷺ[٤].

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة، ومنها:

١- إن الرفيق الأعلى: هم الجماعة المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ

---

(١) البخاري ٢/ ٣٧٧، برقم ٨٩٠، وأخرجه البخاري في تسعة مواضع، انظر: ٢/ ٣٧٧، ومسلم برقم ٢٤٤٤.

(٢) الحاقنة: ما سفل من الذقن وقيل غير ذلك، الفتح ٨/ ١٣٩.

(٣) والذاقنة: ما علا من الذقن وقيل غير ذلك، الفتح ٨/ ١٣٩، والحاصل أن ما بين الحاقنة والذاقنة: هو ما بين السحر والنحر، والمراد أنه مات ورأسه بين حنكها وصدرها. الفتح ٨/ ١٣٩.

(٤) البخاري برقم ٤٤٤٦، ومسلم برقم ٢٤٤٣.

ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾[١] فالصحيح الذي عليه جمهور أهل العلم أن المراد بالرفيق الأعلى هم الأنبياء الساكنون أعلى عليين. ولفظة رفيق تطلق على الواحد والجمع؛ لقوله تعالى: ﴿ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾[٢].

٢- إن النبي ﷺ اختار الرفيق الأعلى حين خُيِّر حُبّاً للقاء الله تعالى، ثم حُبّاً للرفيق الأعلى، وهو الذي يقول ﷺ: «من أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءه»[٣].

٣- فضل عائشة رضي الله عنها حيث نقلت العلم الكثير عنه ﷺ، وقامت بخدمته حتى مات بين سحرها ونحرها؛ ولهذا قالت: «إن من نعم الله عليَّ أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي وفي يومي، وبين سحري ونحري».

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٢) انظر: فتح الباري ٨/ ١٣٨، وشرح النووي ١٥/ ٢١٩.

(٣) البخاري برقم ٦٥٠٧، ومسلم برقم ٢٦٨٣.

٤- عناية النبي ﷺ بالسواك حتى وهو في أشد سكرات الموت، وهذا يدل على تأكد استحباب السواك؛ لأنه مطهرة للفم مرضاة للرب.

٥- قول النبي ﷺ في سكرات الموت: «**لا إله الله إن للموت سكرات**» وهو الذي قد حقق لا إله إلا الله، يدل على تأكُّدِ استحبابها والعناية بها والإكثار من قولها وخاصة في مرض الموت؛ لأن «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**».

٦- حرص النبي ﷺ على مرافقة الأنبياء ودعاؤه بذلك يدل على أن المسلم ينبغي له أن يسأل الله تعالى أن يجمعه بهؤلاء بعد الموت في جنات النعيم، اللهم اجعلنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

٧- شدة الموت وسكراته العظيمة للنبي ﷺ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فما بالنا بغيره.

المبحث التاسع والعشرون: موت النبي ﷺ شهيداً

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: «**يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام**[١] **الذي أكلت بخيبر**[٢]**، فهذا أوان وجدت انقطاع أَبْهَري**[٣] **من ذلك السم**»[٤].

وقد عاش ﷺ بعد أكله من الشاة المسمومة بخيبر ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي قُبض فيه[٥] وقد ذُكِرَ

---

(١) ما أزال أجد ألم الطعام: أي أحس الألم في جوفي بسبب الطعام. الفتح ٨/ ١٣١.

(٢) وذلك أنه عندما فتح خيبر أُهديت له ﷺ شاة مشوية فيها سم، وكانت المرأة اليهودية قد سألت: أي عضو من الشاة أحب إليه؟ فقيل لها الذراع فأكثرت فيها من السم، فلما تناول الذراع لاك منها مضغة ولم يسغها، وأكل معه بشر بن البراء فأساغ لقمته، ومات منها، وقال لأصحابه: أمسكوا عنها فإنها مسمومة، وقال لها: ما حملك على ذلك؟ فقالت: أردت إن كُنْتَ نبيّاً فيطلعك الله، وإن كنت كاذباً فأريح الناس منك... انظر: فتح الباري ٧/ ١٩٧، والقصة في البخاري برقم ٣١٦٩، و٤٢٤٩، ٥٧٧٧، والبداية والنهاية لابن كثير ٤/ ٢٠٨.

(٣) الأبهر عرق مستبطن بالظهر متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه. الفتح ٨/ ١٣١.

(٤) البخاري مع الفتح ٨/ ١٣١ برقم ٤٤٢٨ وقد وصله الحاكم والإسماعيلي. انظر: الفتح ٨/ ١٣١.

(٥) انظر: الفتح ٨/ ١٣١ فقد ساق آثاراً موصولة عند الحاكم وابن سعد. الفتح ٨/ ١٣١.

أن المرأة التي أعطته الشاة المسمومة أسلمت حينما قالت: من أخبرك؛ فأخبر ﷺ أن الشاة المسمومة أخبرته، وأسلمت وعفى عنها رسول الله ﷺ أولاً ثم قتلها بعد ذلك قصاصاً ببشر بن البراءة بعد أن مات رضي الله عنه[1] وقد ثبت الحديث متصلاً أن سبب موته ﷺ هو السم، فعن أبي سلمة قال: كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ولا يأكل الصدقة فأهدت له يهودية بخيبر شاة مصلية سمَّتها، فأكل رسول الله ﷺ منها وأكل القوم فقال: **«ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة»** فمات بشر بن البراء ابن معرور الأنصاري، فأرسل إلى اليهودية: **«ما حملك على الذي صنعت»**؟ قالت: إن كنت نبيّاً لم يضرك الذي صنعت، وإن كنت ملكاً أرحت الناس منك **«فأمر بها رسول الله ﷺ فقتلت»** ثم قال في وجعه الذي مات فيه: **«ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت بخيبر فهذا أوان**

---

(١) انظر: التفصيل في فتح الباري ٧/ ٤٩٧، والبداية والنهاية لابن كثير ٤/ ٢٠٨- ٢١٢.

انقطاع أبهري»[١]. وقالت أم بشر للنبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه: ما يتهم بك يا رسول الله؟ فإني لا أتهم بابني إلا الشاة المسمومة التي أكل معك بخيبر. وقال النبي ﷺ: «**وأنا لا أتهم بنفسي إلا ذلك فهذا أوان انقطاع أبهري**»[٢].

وقد جزم ابن كثير رحمه الله تعالى أن النبي ﷺ مات شهيداً[٣]، ونقل: «**وإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله ﷺ مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة**»[٤]. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (لئن أحلف تسعاً أن رسول الله ﷺ قتل قتلاً أحب إلي من أن أحلف واحدة أنه لم يقتل، وذلك؛ لأن الله اتخذه نبيّاً واتخذه شهيداً)[٥].

---

(١) أبو داود برقم ٤٥١٢، وقال الألباني: حسن صحيح. انظر: صحيح سنن أبي داود ٣/ ٨٥٥.

(٢) أبو داود برقم ٤٥١٣ وصحح إسناده الألباني. انظر: صحيح سنن أبي داود ٣/ ٨٥٥.

(٣) انظر: البداية والنهاية ٤/ ٢١٠ و٢١١ و٤/ ٢١٠ – ٢١٢ و٥/ ٢٢٣ – ٢٤٤.

(٤) انظر: المرجع السابق ٤/ ٢١١.

(٥) ذكره ابن كثير وعزاه بإسناده إلى البيهقي. انظر: البداية والنهاية ٥/ ٢٢٧.

وعن أنس رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه كان يصلي بهم في وجع النبي ﷺ الذي توفي فيه حتى إذا كان يوم الإثنين وهم صفوف [في صلاة الفجر] ففجأهم النبي ﷺ وقد كشف سِترَ حجرةِ عائشة رضي الله عنها [وهم في صفوف الصلاة] وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف[1] ثم تبسم رسول الله ﷺ يضحك [وهَمَّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحاً] [برؤية رسول الله ﷺ] [فنكص[2] أبو بكر رضي الله عنه على عقبيه ليصل الصف، وظنَّ أن رسول الله ﷺ خارج إلى الصلاة] [فأشار إليهم رسول الله ﷺ [بيده] أن أتموا صلاتكم [ثم دخل رسول الله ﷺ] [الحجرة] وأرخى الستر فتوفي رسول الله ﷺ من يومه ذلك.

---

(١) كأن وجهه ورقة مصحف: عبارة وكناية عن الجمال البارع وحسن البشرة وصفاء الوجه واستنارته. شرح الأبي على صحيح مسلم ٢/ ٣١٠.

(٢) فنكص على عقبيه: أي رجع القهقرى فتأخر، لظنه أن النبي ﷺ خرج ليصلي بالناس، الفتح ٢/ ١٦٥.

وفي رواية: [وتوفي من آخر ذلك اليوم][(١)]. وفي رواية: [لم يخرج النبي ﷺ ثلاثاً][(٢)]. فأقيمت الصلاة فذهب أبو بكر يتقدم، فقال نبي الله ﷺ بالحجاب فرفعه فلما وضح وجه النبي ﷺ ما نظرنا منظراً كان أعجب إلينا من وجه النبي ﷺ حين وضح لنا، فأومأ النبي ﷺ بيده إلى أبي بكر أن يتقدم وأرخى النبي ﷺ الحجاب فلم يُقدر عليه حتى مات[(٣)].

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة، ومنها:

١ـ موت النبي ﷺ وانتقاله إلى الرفيق الأعلى شهيداً؛

---

(١) وقد ذكر ابن إسحاق أنه ﷺ مات حين اشتد الضحى، ويجمع بينهما بأن إطلاق الأخير بمعنى: ابتداء الدخول في أول النصف الثاني من النهار وذلك عند الزوال واشتداد الضحي يقع قبل الزوال ويستمر حتى يتحقق زوال الشمس، وقد جزم موسى بن عقبة عن ابن شهاب بأنه ﷺ مات حين زاغت الشمس. الفتح ٨/ ١٤٣ -١٤٤.

(٢) ابتداء من صلاته بهم قاعد يوم الخميس كما تقدم. انظر: فتح الباري ٢/ ١٦٥، والبداية ٥/ ٢٣٥.

(٣) البخاري برقم ٦٠٨، ٦٨١، ٧٥٤، ١٢٠٥، ٤٤٤٨، ومسلم برقم ٤١٩ والألفاظ مقتبسة من جميع المواضع، وانظر: مختصر صحيح الإمام البخاري للألباني ١/ ١٧٤ برقم ٣٧٤.

لأن الله اتخذه نبيّاً واتخذه شهيداً ﷺ .

٢ـ عداوة اليهود للإسلام وأهله ظاهرة من قديم الزمان فهم أعداء الله ورسله.

٣ـ عدم انتقام النبي ﷺ لنفسه، بل يعفو ويصفح؛ ولهذا لم يعاقب من سمَّت الشاة المصلية، ولكنها قُتِلتْ بعد ذلك قصاصاً ببشر ابن البراء بعد أن مات بِصُنعها.

٤ـ معجزة من معجزاته ﷺ وهي أن لحم الشاة المصلية نطق وأخبر النبي ﷺ أنه مسموم.

٥ـ فضل الله تعالى على عباده أنه لم يقبض نبيهم إلا بعد أن أكمل به الدين وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

٦ـ محبة الصحابة رضي الله عنهم لنبيهم ﷺ حتى أنهم فرحوا فرحاً عظيماً عندما كشف الستر في صباح يوم الاثنين وهو ينظر إليهم وصلاتهم فأدخل الله بذلك

السرور في قلبه ﷺ؛ لأنه ناصح لأمته يحب لهم الخير؛ ولهذا ابتسم وهو في شدة المرض فرحاً وسروراً بعملهم المبارك.

المبحث الثلاثون: من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[١]. ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾[٢]. ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[٣]. ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[٤].

مات محمد بن عبد الله أفضل الأنبياء والمرسلين ﷺ وكان آخر كلمة تكلم بها عند الغرغرة كما قالت عائشة رضي الله عنها: أنه كان بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء، فجعل يدخل يديه ﷺ في الماء فيمسح بها وجهه ويقول:

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٣٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

(٤) سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

«لا إله إلا الله إن للموت سكرات» ثم نصب يده فجعل يقول: «في الرفيق الأعلى» حتى قبض ومالت يده[١]. فكان آخر كلمة تكلم بها: «اللهم في الرفيق الأعلى»[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسُّنح[٣] فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ . قالت: وقال: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنَّه الله فليقطع أيدي رجال وأرجلهم[٤]، فجاء أبو بكر رضي الله عنه [على فرسه من مسكنه بالسُّنْح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة رضي الله عنها فتيمم[٥] رسول الله ﷺ

(١) البخاري برقم ٨٩٠ وما بعدها من المواضع، ومسلم ٢٤٤٤.
(٢) البخاري برقم ٤٤٣٧، ٤٦٣، ومسلم ٢٤٤٤.
(٣) السُّنح: العالية وهو مسكن زوجة أبي بكر رضي الله عنه وهو منازل بني الحارث من الخزرج بينه وبين المسجد النبوي ميل. الفتح ٨/ ١٤٥ و٧/ ١٩، ٢٩.
(٤) أي يبعثه في الدنيا ليقطع أيدي القائلين بموته. انظر: الفتح ٧/ ٢٩.
(٥) أي قصد. الفتح ٣/ ١١٥.

وهو مغشًّى بثوب حِبرة[١] فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبّله[٢] [ثم بكى] فقال: بأبي أنت وأمي [يا نبي الله] [طبت حيّاً وميتًا والذي نفسي بيده] [لا يجمع الله عليك موتتين][٣] [أبداً] [أما الموتة التي كُتبت عليك قد مُتَّها] [ثم] خرج وعمر رضي الله عنه يكلم الناس فقال: [أيها الحالف على رسلك] [اجلس] [فأبى فقال: اجلس فأبى] [فتشهد أبو بكر] [فلما تكلم أبو بكر جلس عمر] [ومال

---

(١) وفي رواية للبخاري: وهو مسجًّى ببرد حبرة. البخاري برقم ١٢٤١، ومعنى مغشى ومسجى أي مغطى، وبرد حبرة: نوع من برود اليمن مخططة غالية الثمن. الفتح ٣/ ١١٥.

(٢) أي قبّله بين عينيه كما ترجم له النسائي. انظر: الفتح ٣/ ١١٥، وانظر: ما نقله ابن حجر من الروايات في أنه قبّل جبهته. الفتح ٨/ ١٤٧.

(٣) قوله: لا يجمع الله عليك موتتين: فيه أقوال: قيل هو على حقيقته وأشار بذلك إلى الرد على من زعم أنه سيحيا فيقطع أيدي رجال..؛ لأنه لو صح ذلك للزم أن يموت موتة أخرى.. وهذا أوضح الأجوبة وأسلمها، وقيل أراد لا يموت موتة أخرى في القبر كغيره إذ يحيا ليسئل ثم يموت، وهذا أحسن من الذي قبله؛ لأن حياته ﷺ لا يعقبها موت بل يستمر حيّاً والأنبياء حياتهم برزخية لا تأكل أجسادهم الأرض، ولعل هذا هو الحكمة في تعريف الموتتين... أي المعروفتين المشهورتين الواقعتين لكل أحد غير الأنبياء. انظر: فتح الباري ٣/ ١١٤ و٧/ ٢٩.

إليه الناس وتركوا عمر] [فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه] وقال: [أما بعد فمن كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[1] وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾[2]] [فوالله لكأن الناس لم يكونوا يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر رضي الله عنه فتلقاها منه الناس كلهم فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها] [وأخبر سعيد بن المسيب] [أن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت[3] حتى ما تقلني رجلاي وحتى أهويت إلى

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٣) عقِرت: دهشت وتحيرت، أما بضم العين فالمعنى هلكت. الفتح ٨/ ١٤٦.

الأرض حين سمعته تلاها علمت أن النبي ﷺ قد مات] [قال: ونشج الناس[١] يبكون، واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقالوا: منَّا أمير ومنكم أمير[٢]، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيَّأت كلاماً قد أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر. ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل منَّا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب داراً وأعربهم

---

(١) نشج الناس: بكوا بغير انتحاب، والنشج ما يحصل للباكي من الغصة. انظر: الفتح ٧/ ٣٠.

(٢) إنما قالت الأنصار رضي الله عنهم: منا أمير ومنكم أمير على ما عرفوه من عادة العرب أنه لا يتأمر على القبيلة إلا من يكون منها فلما سمعوا حديث الأئمة من قريش رجعوا إلى ذلك وأذعنوا. الفتح ٧/ ٣٢.

أحساباً[1] فبايعوا عمر أو أبا عبيدة فقال عمر: بل نبايعك أنت فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس، فقال قائل: قتلتم سعد بن عبادة، فقال عمر: قتله الله[2].

قالت عائشة رضي الله عنها: في شأن خطبة أبي بكر وعمر في يوم موت النبي ﷺ: فما كان من خطبتهما من خطبة إلا نفع الله بها، فلقد خوَّف عمر الناس وإن فيهم لنفاقاً فردهم الله بذلك، ثم لقد بصَّر أبو بكر الناس الهُدى وعرَّفهم الحق الذي عليهم وخرجوا به يتلون ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾[3].

---

(١) أي قريش. انظر: الفتح ٧/ ٣٠.

(٢) البخاري برقم ١١٤١، ١٤٢، ٣/ ١١٣، و٣٦٦٧، ٣٦٦٨، ٧/ ١٩ و٤٤٥٢، ٤٤٥٣، ٤٤٥٤، ٨/ ١٤٥. وقد جمعت هذه الألفاظ من هذه المواضع لتكتمل القصة وأسأل لله أن يجعل ذلك صواباً.

(٣) البخاري برقم ٣٦٦٩، ٣٦٧١، والآية من سورة آل عمران، ١٤٤.

وخطب عمر ثم أبو بكر يوم الثلاثاء خطبة عظيمة مفيدة نفع الله بها والحمد لله.

قال أنس بن مالك ﷺ: لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر، وقام عمر فتكلم قبل أبي بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس إني كنت قلت لكم بالأمس مقالة[1] ما كانت وما وجدتها في كتاب الله، ولا كانت عهداً عهدها إليَّ رسول الله ﷺ، ولكني كنت أرى أن رسول الله سيدبر أمرنا - يقول: يكون آخرنا - وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي هدى به رسول الله، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه الله له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ، وثاني اثنين إذ هما في الغار فقوموا فبايعوه، فبايع الناس أبا بكر ﷺ البيعة العامة بعد بيعة السقيفة. ثم تكلم أبو بكر، فحمد الله

---

(١) هي خطبته التي خطب يوم الاثنين حينما قال: إن النبي ﷺ لم يمت.

وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: (أما بعد، أيها الناس فإني وليت عليكم ولست بخيركم[١] فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوِّموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف منكم قوي عندي حتى أزيح علته[٢] إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ منه الحق إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا يشيع قوم قط الفاحشة إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله)[٣] ثم استمر الأمر لأبي بكر والحمد لله.

وقد بُعِثَ ﷺ فبقي بمكة يدعو إلى التوحيد ثلاث

---

(١) وهذا من باب التواضع منه ﷺ وإلا فهم مجمعون على أنه أفضلهم وخيرهم ﷺ. البداية والنهاية ٥/ ٢٤٨.

(٢) والمعنى: الضعيف فيكم قوي حتى آخذ الحق له وأنصره وأعينه.

(٣) البداية والنهاية ٥/ ٢٤٨ وساق سند محمد بن إسحاق قال: حدثني الزهري، حدثني أنس بن مالك قال: لما بويع أبو بكر... الحديث. قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح ٥/ ٢٤٨.

عشرة سنة يُوحى إليه، ثم هاجر إلى المدينة وبقي بها عشر سنين، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة صلى الله عليه وآله وسلم[١].

ورجّح الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى أن آخر صلاة صلاها ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم هي صلاة الظهر يوم الخميس، وقد انقطع عنهم عليه الصلاة والسلام يوم الجمعة، والسبت، والأحد، وهذه ثلاثة أيام كوامل[٢].

وبعد موته ﷺ وخطبة أبي بكر رضي الله عنه دارت مشاورات – كما تقدم – وبايع الصحابة رضي الله عنهم أبا بكر في سقيفة بني ساعدة، وانشغل الصحابة ببيعة الصديق بقية يوم الاثنين، ويوم الثلاثاء، ثم شرعوا في تجهيز رسول الله ﷺ [٣] وغُسل من أعلى ثيابه، وكفن في ثلاثة أثواب بيض

---

(١) انظر: البخاري مع الفتح ٨/ ١٥ برقم ٤٤٦٦، وفتح الباري ٨/ ١٥١ مختصر الشمائل للترمذي للألباني ص١٩٢.

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير، ٥/ ٢٣٥.

(٣) انظر: المرجع السابق ٥/ ٢٤٥.

سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة، ثم صلى عليه الناس فرادى لم يؤمهم أحد، وهذا أمر مجمع عليه: صلى عليه الرجال، ثم الصبيان، ثم النساء، والعبيد والإماء، وتوفي يوم الاثنين على المشهور[1]، ودفن ليلة الأربعاء، أُلحد لحداً ﷺ ونصب عليه اللبن نصباً[2]، ورُفع قبره من الأرض نحواً من شبر[3]، وكان قبره ﷺ مسنماً[4]، وقد تواترت الأخبار أنه دفن في حجرة عائشة رضي الله عنها شرقي مسجده ﷺ في الزاوية الغربية القبلية من الحجرة، ووسع المسجد النبوي الوليد بن عبد الملك عام ٨٦هـ

---

(١) توفي ﷺ سنة إحدى عشرة للهجرة في ربيع الأول يوم الاثنين، أما تاريخ اليوم فقد اختلف فيه: فقيل لليلتين خلتا من ربيع الأول، وقيل لليلة خلت منه، وقيل غير ذلك، وقيل مرض في التاسع والعشرين من شهر صفر، وتوفي يوم الاثنين في الثاني عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة ، فكان مرضه ثلاثة عشر يوماً، وهذا قول الأكثر. انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٥/ ٢٥٥ – ٢٥٦، وتهذيب السيرة للنووي ص ٢٥، وفتح الباري ٨/ ١٢٩-١٣٠.

(٢) مسلم برقم ٩٦٦.

(٣) ابن حبان في صحيحه ١٤/ ٦٠٢، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٤) كما قال سفيان التمار في البخاري مع الفتح ٣/ ٢٥٥.

وقد كان نائبه بالمدينة عمر بن عبد العزيز فأمره بالتوسعة فوسعه حتى من ناحية الشرق فدخلت الحجرة النبوية فيه[(١)].

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة، ومنها:

١ـ إن الأنبياء والرسل أحب الخلق إلى الله تعالى وقد ماتوا؛ لأنه لا يبقى على وجه الكون أحد من المخلوقات، وهذا يدل على أن الدنيا متاع زائل، ومتاع الغرور الذي لا يدوم، لا يبقى للإنسان من تعبه وماله إلا ما كان يبتغي به وجه الله تعالى، وما عدا ذلك يكون هباءً منثوراً.

٢ـ حرص النبي ﷺ أن يكون مع الرفيق الأعلى؛ ولهذا سأل الله تعالى ذلك مرات متعددة، وهذا يدل على عظم هذه المنازل لأنبيائه وأهل طاعته.

٣ـ استحباب تغطية الميت بعد تغميض عينيه، وشد

---

(١) انظر: البداية والنهاية ٥/ ٢٧١-٢٧٣، وفتح الباري ٨/ ١٢٩-١٣٠.

لحبيه؛ ولهذا سجِّي وغطي النبي ﷺ بثوب حبرة.

٤ـ الدعاء للميت بعد موته؛ لأن الملائكة يؤمنون على ذلك؛ ولهذا قال أبو بكر ﷺ للنبي ﷺ : (طبت حيّاً وميتاً).

٥ـ إذا أصيب المسلم بمصيبة فليقل: (إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها).

٦ـ جواز البكاء بالدمع والحزن بالقلب.

٧ـ النهي عن النياحة وشق الجيوب وحلق الشعر ونتفه والدعاء بدعوى الجاهلية وكل ذلك معلوم تحريمه بالأدلة الصحيحة.

٨ـ إن الرجل وإن كان عظيماً قد يفوته بعض الشيء ويكون الصواب مع غيره، وقد يخطئ سهواً ونسياناً.

٩ـ فضل أبي بكر وعلمه وفقهه؛ ولهذا قال: (من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله

فإن الله حي لا يموت).

١٠- أدب عمر ﷺ وأرضاه وحسن خلقه؛ ولهذا سكت عندما قام أبو بكر يخطب ولم يعارضه بل جلس يستمع مع الصحابة رضي الله عن الجميع.

١١- حكمة عمر العظيمة في فض النزاع في سقيفة بني ساعدة، وذلك أنه بادر فأخذ بيد أبي بكر فبايعه فانصب الناس وتتابعوا في مبايعة أبي بكر، وانفض النزاع والحمد لله تعالى.

١٢- بلاغة أبي بكر فقد تكلم في السقيفة فأجاد وأفاد حتى قال عمر عنه: (فتكلم أبلغ الناس).

١٣- قد نفع الله بخطبة عمر يوم موت النبي ﷺ قبل دخول أبي بكر فخاف المنافقون، ثم نفع الله بخطبة أبي بكر فعرف الناس الحق.

١٤- ظهرت حكمة أبي بكر وحسن سياسته في خطبته

يوم الثلاثاء بعد الوفاة النبوية، وبيّن أن الصدق أمانة والكذب خيانة، وأن الضعيف قوي عنده حتى يأخذ له الحق، والقوي ضعيف عنده حتى يأخذ منه الحق، وطالب الناس بالطاعة له إذا أطاع الله ورسوله، فإذا عصى الله ورسوله فلا طاعة لهم عليه.

١٥ـ حكمة عمر رضي الله عنه وشجاعته العقلية والقلبية حيث خطب الناس قبل أبي بكر ورجع عن قوله بالأمس واعتذر، وشد من أزر أبي بكر، وبيّن أن أبا بكر صاحب رسول الله وأحب الناس إليه، وثاني اثنين إذ هما في الغار.

١٦ـ استحباب بياض الكفن للميت، وأن يكون ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة، وأن يلحد لحداً، وأن ينصب عليه اللبن نصباً، وأن يكون مسنماً بقدر شبر فقط.

المبحث الحادي والثلاثون: مصيبة المسلمين بموته ﷺ

من المعلوم يقيناً أن محبة النبي ﷺ محبة كاملة من أعظم درجات الإيمان الصادق؛ ولهذا قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين**»[١]. فإذا فقد الإنسان أهله، أو والده، أو ولده، لا شك أن هذه مصيبة عظيمة من مصائب الدنيا، فكيف إذا فقدهم كلَّهم جميعاً في وقت واحد؟

ولا شك أن مصيبة موت النبي ﷺ أعظم المصائب على المسلمين؛ ولهذا جاءت الأحاديث الصحيحة بذلك، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: فتح رسول الله ﷺ باباً بينه وبين الناس، أو كشف ستراً فإذا الناس يصلون وراء أبي بكر، فحمد الله على ما رآه من حسن حالهم، ورجاء أن يخلفه الله فيهم بالذي رآهم، فقال: «**يا أيها الناس أيما**

(١) البخاري مع الفتح ١/ ٥٨ برقم ٥، ومسلم ١/ ٦٧، برقم ٤٤ .

أحد من الناس أو من المؤمنين أُصيب بمصيبة فلْيتعزَّ بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري؛ فإن أحداً من أُمتي لن يُصاب بمصيبة أشدَّ عليه من مُصيبتي»[١].

وعن أنس رضي الله عنه قال: (لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء[٢]، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، وما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدي[٣] وإنا لفي دفنه[٤] حتى أنكرنا[٥]

(١) أخرجه ابن ماجه برقم ١٥٩٩، وغيره وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ١/ ٢٦٧، والأحاديث الصحيحة برقم ١١٠٦، وانظر: البداية والنهاية ٥/ ٢٧٦.

(٢) أضاء منها كل شيء: أشرق من المدينة كل شيء. انظر: تحفة الأحوذي ١٠/ ٨٧.

(٣) وما نفضنا: من النفض: وهو تحريك الشيء ليزول ما عليه من التراب والغبار ونحوهما. انظر تحفة الأحوذي ١٠/ ٨٨.

(٤) وإنا لفي دفنه: أي مشغولون بدفنه بعد. انظر: تحفة الحوذي ١٠/ ٨٨.

(٥) حتى أنكرنا قلوبنا: يريد أنهم لم يجدوا قلوبهم على ما كانت عليه من الصفاء والألفة لانقطاع مادة الوحي وفقدان ما كان يمدهم من الرسول ﷺ من التأييد والتعليم، ولم يرد أنهم لم يجدوها على ما كانت عليه من التصديق؛ فإن الصحابة رضي الله عنهم أكمل الناس إيماناً وتصديقاً. انظر: تحفة الحوذي ١٠/ ٨٨.

قلوبنا)[١].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال أبو بكر رضي الله عنه - بعد وفاة رسول الله ﷺ - لعمر: انطلق بنا إلى أمِّ أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فلما انتهيا إليها بكت فقالا لها: ما يبكيك؟ فما عند الله خير لرسوله ﷺ. قالت: إني لأعلم أن ما عند الله خير لرسوله ﷺ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها[٢].

وما أحسن ما قال القائل:

اصبر لكلِّ مصيبة وتجلّدِ ... واعلم بأن المرء غير مُخلَّد

فإذا ذكرت مصيبة تسلو بها ... فاذكر مصابك بالنبي محمد

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر

(١) أبو داود، برقم ٨٦٤، ٨٦٦، وأحمد ٣/ ٦٨، برقم ٦٤٨٣، ورقم ٢٦٦٨٤، وابن ماجه برقم ١٦٣١، وقال ابن كثير في البداية والنهاية: إسناده صحيح على شرط الصحيحين ٥/ ٢٧٤، وانظر: صحيح ابن ماجه ١/ ٢٧٣.

(٢) مسلم برقم ٢٤٥٤، وابن ماجه برقم ١٦٣٥، واللفظ من المصدرين. وانظر: شرحه في شرح النووي ١٦/ ٢٤٢.

المستفادة هذا المبحث كثيرة، ومنها:

١ـ موت النبي ﷺ أعظم مصيبة أصيب بها المسلمون.

٢ـ إنكار الصحابة قلوبهم بعد موت النبي ﷺ؛ لفراقهم نزول الوحي وانقطاعه من السماء.

٣ـ النبي ﷺ أحب إلى المسلمين من النفس، والولد، والوالد، والناس أجمعين، وقد ظهر ذلك عند موته بين القريب والبعيد من أصحاب النبي ﷺ، بل وجميع المسلمين.

٤ـ محبة الصحابة للاقتداء والتأسي برسول الله ﷺ في كل شيء من أمور الدين حتى في زيارة النساء كبار السن، كما فعل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

المبحث الثاني والثلاثون: ميراثه ﷺ

عن عمرو بن الحارث رضي الله عنه قال: (ما ترك رسول الله ﷺ عند موته: دِرْهماً، ولا ديناراً، ولا عبداً، ولا أَمَةً، ولا شيئاً، إلا بغلته البيضاء [التي كان يركبها] وسلاحه، [وأرضاً بخيبر] جعلها [لابن السبيل] صدقة)[١]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً، ولا درهماً، ولا شاة، ولا بعيراً، ولا أوصى بشيء)[٢][٣].

وقال ﷺ: «**لا نورث ما تركنا فهو صدقة**»[٤] وذلك

---

(١) البخاري ٥/ ٣٥٦، برقم ٢٧٣٩، ٢٨٧٣، ٢٩١٢، ٣٠٩٨، ٤٤٦١، واللفظ من هذه المواضع.

(٢) مسلم برقم ١٦٣٥.

(٣) أي لم يوص بثلث ماله ولا غيره إذ لم يكن له مال، أما أمور الدين فقد تقدم أنه أوصى بكتاب الله وسنه نبيه، وأهل بيته، وإخراج المشركين من جزيرة العرب، وبإجازة الوفد، والصلاة وملك اليمين وغير ذلك. انظر: شرح النووي ١١/ ٩٧.

(٤) البخاري في عدة مواضع من حديث عائشة ومالك بن أوس، وأبي بكر رضي الله عنهم، برقم ٣٠٩٣، ٣٧١٢، ٤٠٣٦، ٤٢٤٠، ٥٣٥٨، ٦٧٢٦، و٦٧٢٧، ٧٣٠٥. ومسلم برقم ١٧٥٧، و١٧٥٨، ١٧٥٩، و١٧٦١، واللفظ لعائشة عند مسلم.

لأنه لم يبعث ﷺ جابياً للأموال وخازناً إنما بعث هادياً، ومبشراً، ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه، وسراجاً منيراً، وهذا هو شأن أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام؛ ولهذا قال ﷺ : «**إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يُوَرِّثوا ديناراً ولا درهماً إنما وَرَّثُوا العلم فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر**»(١).

وقد فَهِمَ الصحابة رضي الله عنهم ذلك، فعن سليمان ابن مهران: بينما ابن مسعود رضي الله عنه يوماً معه نفر من أصحابه إذ مرّ أعرابي فقال: على ما اجتمع هؤلاء؟ قال ابن مسعود رضي الله عنه : (على ميراث محمد ﷺ يقسّمونه)(٢).

فميراث النبي ﷺ هو الكتاب والسنة والعلم والاهتداء بهديه ﷺ ؛ ولهذا توفي ﷺ ولم يترك درهماً، ولا ديناراً، ولا

---

(١) أبو داود ٣/ ٣١٧، برقم ٣٦٤١، والترمذي ٥/ ٤٩، برقم ٢٦٨٢، وابن ماجه ١/ ٨٠، برقم ٢٢٣، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ١/ ٤٣.

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي بسنده في شرف أصحاب الحديث ص ٤٥.

عبداً، ولا أمة، ولا بعيراً، ولا شاة، ولا شيئاً، إلا بغلته وأرضاً جعلها صدقة لابن السبيل.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (توفي النبي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير)[١]. وهذا يبين أن النبي ﷺ كان يتقلل من الدنيا، ويستغني عن الناس؛ ولهذا لم يسأل الصحابة أموالهم أو يقترض منهم؛ لأن الصحابة لا يقبلون رهنه وربما لا يقبضوا منه الثمن، فعدل إلى معاملة اليهودي؛ لئلا يضيِّق على أحد من أصحابه ﷺ[٢]. وقد كان ﷺ يصيبه الجوع وهو حي؛ ولهذا يمر ويمضي الشهر والشهران وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار، قال عروة لعائشة رضي الله عن الجميع: ما كان يقيتكم؟ قالت: (الأسودان: التمر

---

١) البخاري برقم ٢٠٦٨ وكرره بفوائده في عشرة مواضع ، ومسلم برقم ١٦٠٣ ، وانظر: جميعها في مختصر البخاري للألباني ٢/ ٢١.

٢) انظر: شرح النووي ١١/ ٤٣.

والماء...)[١]. ومع هذا كان يقول ﷺ : «**مالي وللدنيا ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها**»[٢].

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة، ومنها:

١ـ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يُبعثوا لجمع الأموال وإنما بُعِثُوا لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور؛ ولهذا لم يُوَرِّثُوا ديناراً ولا درهماً وإنما وَرَّثُوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر.

٢ـ زهد النبي ﷺ في الدنيا وحطامها الفاني؛ وإنما هو كالراكب الذي استظل تحت شجرة ثم راح وتركها.

---

١) انظر: البخاري مع الفتح ١١/ ٢٨٣ ، برقم ٦٤٥٩ .

(٢) أحمد ٦/ ١٥٤ وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٥/ ٢٨٤، وإسناده جيد، وأخرجه الترمذي، برقم ١٣٧٧، وابن ماجه، برقم ٤١٠٩، وانظر: الأحاديث الصحيحة برقم ٤٣٩، وصحيح الترمذي ٢/ ٢٨٠.

٣ـ استغناء النبي ﷺ عن سؤال الناس فهو يقترض ويرهن حتى لا يكلف على أصحابه؛ ولهذا مات ودرعه مرهونة في ثلاثين صاعاً من شعير.

٤ـ شدة الحال وقلة ما في اليد عند النبي ﷺ ؛ ولهذا يمضي الشهر والشهران ولم تُوقَدْ في أبياته نار، وإنما كان يقيتهم الأسودان.

فصلوات الله وسلامه عليه ما تعاقب الليل والنهار، وأسأل الله العلي العظيم أن يجعلنا من أتباعه المخلصين، وأن يحشرنا في زمرته يوم الدين.

المبحث الثالث والثلاثون: حقوقه على أمته ﷺ

للنبي الكريم ﷺ حقوق على أمته وهي كثيرة، منها: الإيمان الصادق به ﷺ قولاً وفعلاً وتصديقه في كل ما جاء به ﷺ، ووجوب طاعته والحذر من معصيته ﷺ، ووجوب التحاكم إليه والرضى بحكمه، وإنزاله منزلته ﷺ بلا غلوٍّ ولا تقصير، واتباعه واتخاذه قدوة وأسوة في جميع الأمور، ومحبته أكثر من النفس، والأهل والمال والولد والناس جميعاً، واحترامه وتوقيره ونصر دينه والذب عن سنته ﷺ، والصلاة عليه؛ لقوله ﷺ: «**إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه: خلق آدم، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليَّ**» فقال رجل: يا رسول الله! كيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ يعني بليت. قال: «**إن الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»[1].

(١) أبو داود ١/ ٢٧٥، برقم ١٠٤٧، وابن ماجه ١/ ٥٢٤، برقم ١٦٣٦، والنسائي ٣/ ٩١، برقم ٣٧٤، وصححه الألباني في صحيح النسائي ١/ ١٩٧.

وإليك هذه الحقوق بالتفصيل والإيجاز على النحو الآتي:

١ـ الإيمان الصادق به ﷺ وتصديقه فيما أتى به قال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(١)، ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(٢)، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٣)، ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾(٤)، وقال ﷺ: «أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله

(١) سورة التغابن، الآية: ٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٨.

(٤) سورة الفتح، الآية: ١٣.

إلا الله ويُؤمنوا بي وبما جئت به»[١].

والإيمان به ﷺ هو تصديق نبوته، وأن الله أرسله للجن والإنس، وتصديقه في جميع ما جاء به وقاله، ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان، بأنه رسول الله، فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة باللسان ثم تطبيق ذلك العمل بما جاء به تمَّ الإيمان به ﷺ[٢].

٢ ـ وجوب طاعته ﷺ والحذر من معصيته، فإذا وجب الإيمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته؛ لأن ذلك مما أتى به، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ﴾[٣]، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾[٤]،

---

(١) مسلم ١/ ٥٢، برقم ٢١.

(٢) انظر: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ للقاضي عياض ٢/ ٥٣٩.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٠.

(٤) سورة الحشر، الآية: ٧.

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾(١)، ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٢)، ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(٣)، ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾(٤)، ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝١٣ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من

---

(١) سورة النور، الآية: ٥٤.

(٢) سورة النور، الآية: ٦٣.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٧١.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

(٥) سورة النساء، الآيتان: ١٣، ١٤.

أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله»[١]، وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل الناس يدخل الجنة إلا من أبى**» قالوا يا رسول الله! ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»[٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجُعِلَ رزقي تحت ظلِّ رمحي، وجُعِلَ الذِّلُّ والصَّغارُ على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم**»[٣].

٣ـ اتباعه ﷺ واتخاذه قدوة في جميع الأمور والاقتداء بهديه، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٤]،

---

(١) البخاري مع الفتح ١٣/ ١١١ برقم ٧١٣٧.

(٢) البخاري مع الفتح ١٣/ ٢٤٩ برقم ٧٢٨٠.

(٣) أحمد في المسند ١/ ٩٢، والبخاري مع الفتح معلقاً ٦/ ٩٨، وحسّنه العلامة ابن باز، وانظر: صحيح الجامع ٣/ ٨.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[٢] فيجب السير على هديه والتزام سنته والحذر من مخالفته، قال ﷺ: «فمن رغب عن سنتي فليس مني»[٣].

٤ ـ محبته ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾[٤]،

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.
(٣) البخاري مع الفتح ٩/ ١٠٤ برقم ٥٠٦٣.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»(١). وقد ثبت في الحديث أن من ثواب محبته الاجتماع معه في الجنة وذلك عندما سأله رجل عن الساعة فقال: «**ما أعددت لها**»؟ قال يا رسول الله ما أعددت لها كبير صيام، ولا صلاة، ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله. قال: «**فأنت مع من أحببت**»(٢). قال أنس فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبي ﷺ: «**فأنك مع من أحببت**»، فأنا أحب الله ورسوله، وأبا بكر، وعمر. فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم(٣).

ولما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي فقال النبي ﷺ: «**لا**

---

(١) البخاري مع الفتح ١/ ٥٨ برقم ١٥، ومسلم ١/ ٦٧، برقم ٤٤ .

(٢) البخاري مع الفتح ١٠/ ٥٥٧ برقم ٦١٦٨-٦١٧١، و١٣/ ١٣١، ومسلم ٤/ ٢٠٣٢، برقم ٢٦٣٩ .

(٣) مسلم ٤/ ٢٠٣٢، برقم ٦٣ – (٢٦٣٩).

والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك»، فقال له عمر فإنه الآن والله لأنت أحب إليّ من نفسي فقال النبي ﷺ : «الآن يا عمر»[١]، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله ﷺ : «المرء مع من أحب»[٢].

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً»[٣].

وقال ﷺ : «ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجد بِهِنَّ حلاوة الإيمان: من كان اللهُ ورسولهُ أَحبّ إليه مما سواهما، وأن يُحِبَّ المرء لا يُحِبّه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه

(١) البخاري مع الفتح ١١/ ٥٢٣، برقم ٦٦٣٢ .
(٢) البخاري مع الفتح ١٠/ ٥٥٧، برقم ٦١٦٨ .
(٣) مسلم في صحيحه ١/ ٦٢، برقم ٣٤ .

الله منه كما يكره أن يقذف في النار»[١].

ولاشك أن من وفَّقه الله تعالى لذلك ذاق طعم الإيمان ووجد حلاوته، فيستلذ الطاعة ويتحمل المشاق في رضى الله عز وجل ورسوله ﷺ، ولا يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد ﷺ؛ لأنه رضي به رسولاً، وأحبه، ومن أحبه من قلبه صدقاً أطاعه ﷺ؛ ولهذا قال القائل:

تعصي الإله وأنت تُظْهر حُبَّهُ ... هذا لعمري في القياسِ بديعُ

لو كان حُبَّكَ صادقاً لأطعته ... إن المُحبَّ لمن يُحِبُّ مُطيعُ[٢]

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله:

شرطُ المحبةِ أن توافِقَ مَنْ تحبَّ ... على محبَّته بلا عصيان

فإذا ادَّعيتَ له المحبةَ مع خلافِكَ ... ما يُحبُّ فأنت ذو بُهتانِ

أتحبُّ أعداء الحبيب وتدَّعي ... حُبّاً له ما ذاك في إمكان

(١) البخاري مع الفتح ١/ ٧٢، برقم ٢١، ومسلم ١/ ٦٦، برقم ٤٣ .

(٢) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ ٢/ ٥٤٩ و٢/ ٥٦٣.

وكـــذا تُعــادي جَاهـــداً أَحبَابَـــهُ   أيـن المحبَّـةُ يـا أخـا الـشيطانِ[١]

ولا شك أن العبد إذا أحب الله ورسوله، فإنه يحبُّ ما يحبه الله ورسولُه؛ لأن من أحبَّ أحداً أحب من يحبه؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «**من أحبَّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومَنَعَ لله، فقد استكمل الإيمان**»[٢].

وعلامات محبته ﷺ تظهر في الاقتداء به ﷺ، واتباع سنته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه، في الشدة والرخاء، وفي العسر واليسر، ولا شك أن من أحب شيئاً آثره، وآثر موافقته، وإلا لم يكن صادقاً في حبه ويكون مدّعياً[٣].

قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي

---

(١) النونية لابن القيم مع شرح الهراس (٢/ ١٣٤).

(٢) أبو داود، برقم ٤٦٨١، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣/ ٨٨٦).

(٣) انظر: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ ٢/ ٥٧١ -٥٨٢.

﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[(١)].

ويقال لهذه الآية آية المحنة؛ لأن الله امتحن بها العباد، فعلامة المحبة لله تعالى اتباع الرسول ﷺ والابتعاد عما نهى عنه.

ولا شك أن من علامات محبته: النصيحة له؛ لقوله ﷺ: «**الدين النصيحة**» قلنا لمن؟ قال: «**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[(٢)]، والنصيحة لرسوله ﷺ: التصديق بنبوته، وطاعته فيما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، ومُؤازرته، ونصرته وحمايته حياً وميتاً، وإحياء سنته والعمل بها وتعلمها، وتعليمها والذب عنها، ونشرها، والتخلق بأخلاقه الكريمة، وآدابه الجميلة[(٣)].

٥ـ احترامه وتوقيره كما قال تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١ .

(٢) مسلم ١/ ٧٤، برقم ٥٥ .

(٣) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ للقاضي عياض ٢/ ٥٨٢ -٥٨٤.

وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾[١]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٢]، ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًاۚ ﴾[٣].

وحرمة النبي ﷺ بعد موته، وتوقيره لازم كحال حياته وذلك عند ذكر حديثه، وسنته، وسماع اسمه وسيرته، وتعلم سنته، والدعوة إليها، ونصرتها[٤].

٦- وجوب نصرته ﷺ وحكم من سبّه:

من صِدْقِ المحبة للنبي ﷺ: نُصرته، وتعزيره، وتوقيره، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا

(١) سورة الفتح، الآية: ٩.
(٢) سورة الحجرات، الآية: ١.
(٣) سورة النور، الآية: ٦٣.
(٤) الشفاء ٢/ ٥٩٥ و٦١٢.

وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٢).

ومعنى ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ ﴾ ذكر ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما (تعظموه) وقال البغوي: ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ ﴾ تعينوه وتنصروه. ﴿ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ من التوقير وهو الاحترام(٣).

وقد لعن الله تعالى من آذاه وآذى رسوله ﷺ فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾(٤). وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾(٥).

---

(١) سورة الفتح، الآيتان: ٨، ٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٣) ابن كثير (ص ١٢٣٣) والبغوي المختصر (٢/ ٨٧٢).

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٥٧.

(٥) سورة النساء، الآية: ٥٢.

ولا شك أن من استهزأ بالنبي ﷺ يستحق لعنة الله تعالى، وقد لعنه، ﴿وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾.

فإذا كان مسلماً قبل سبّه ارتدَّ ولا تقبل توبته عندنا ولو تاب؛ لقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾(١). ويجب قتله بدون استتابة على القول الصحيح.

أما إذا كان السابُّ ذميًّا أو معاهداً فإنه ينتقضُ عهدهُ ويقتل ولا يجوز المنُّ عليه ولا مفاداته بل يقتل على كل حال. وإذا تاب السابُّ فالصواب أنه يقتل ولو كان أصله مسلماً فلا تقبل توبته عندنا، أما عند الله فهذا إليه سبحانه.

وقد ضَمَّن ذلك شيخ الإسلام في كتابه (الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ) قال رحمه الله: (وقد رتبته على أربع مسائل:

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٥، ٦٦.

المسألة الأولى: أن السابَّ يقتل: سواء كان مسلماً أو كافراً.

المسألة الثانية: في أنه يتعين قتله وإن كان ذميًّا فلا يجوز المنُّ عليه ولا مفاداته.

المسألة الثالثة: في حكمه إذا تاب، وكذا لو أسلم الكافر بعد السبِّ.

المسألة الرابعة: في بيان السبّ وما ليس بسبٍّ والفرق بينه وبين الكفر. وقد أجاد وأفاد رحمه الله تعالى[١].

وقد وعد الله تعالى من قام بحقوق النبي ﷺ بالفوز والنجاة والهداية، قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ

(١) يراجع الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ.

إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(١).

وأرسل الله تعالى هذا النبي الكريم رحمة للعالمين كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾(٢). وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين، ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾(٣). فلا نبي بعده ﷺ، وهو الداعي لكل خير، المحذر من كل شر

---

(١) سورة الأعراف، الآيات: ١٥٦ – ١٥٨.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

لجميع الجن والإنس، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾[١].

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[٢].

وهو ﷺ منةٌ من الله تعالى على المؤمنين خاصة، ﴿ لَقَدۡ

---

(١) سورة الأحزاب، الآيات: ٤٥ – ٤٨.

(٢) سورة المائدة، الآيتان: ١٥، ١٦.

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1]. وقد عصمه الله تعالى وتكفل بحمايته فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2]. وكفاه الله تعالى المستهزئين فقال: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٣) سورة الحجر، الآيات: ٩٤ – ٩٩.

فيا عبدالله المؤمن كن من الطائعين المتبعين لهذا النبي الكريم ولا تُعِن الكافرين بل أبغضهم لله رب العالمين ولا تتشبه بهم؛ فإن «من تشبه بقوم فهو منهم»، وانصر نبيك محمداً ﷺ باتباعه، ومحبته، والله تعالى ناصرُ نبيه، ومُعلي كلمته، ولو كره المشركون، ولو كره الكافرون، ولو كره المنافقون، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾(١). وقال ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة: يهودي أو نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلتُ به إلا كان من أصحاب النار**»(٢).

فدعوته ﷺ عامة للإنس والجن إلى قيام الساعة، ومن آذاه وسبه فقد تولى الله عقابه في الدنيا والآخرة. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٢) رواه مسلم ١٥٣.

﴿وَٱلْأَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾(١). وقال: ﴿وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾(٢).

وقد أحسن حسانُ بن ثابت رضي الله عنه حين قال لمن هجى النبي ﷺ:

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه ... وعند الله في ذلك الجزاءُ

فإن أبي ووالدتي وعرضي ... لعرضِ محمدٍ منكم وِقاءُ

٧ـ وجوب التحاكم إليه والرضى بحكمه ﷺ، قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٢.

(٣) سورة النساء الآية: ٥٩.

حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[١] ويكون التحاكم إلى سنته وشريعته بعده ﷺ.

٨ ـ إنزاله مكانته ﷺ بلا غلو ولا تقصير فهو عبد لله ورسوله، وهو أفضل الأنبياء والمرسلين، وهو سيد الأولين والآخرين، وهو صاحب المقام المحمود والحوض المورود، ولكنه مع ذلك بشر لا يملك لنفسه ولا لغيره ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله كما قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[٣]،

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.

﴿ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾[1]، وقد مات ﷺ كغيره من الأنبياء ولكن دينه باقٍ إلى يوم القيام ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[2]، ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ ﴾[3]، وبهذا يعلم أنه لا يستحق العبادة إلا الله وحده لا شريك له ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[4].

٩ – الصلاة عليه ﷺ قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

(١) سورة الجن، الآيتان: ٢١، ٢٢.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

(٣) سورة الأنبياء، الآيتان: ٣٤، ٣٥.

(٤) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢، ١٦٣.

صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[١]، وقال ﷺ: «.. من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً»[٢]، وقال ﷺ : «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»[٣]، وقال ﷺ : «البخيل من ذكرت عنده فلم يصلِّ عليّ»[٤]، وقال ﷺ : «ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه، ولم يصلّوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم»[٥]، وقال ﷺ : «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام»[٦]، وقال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ: «رَغِمَ أنف عبد – أو بَعُد – ذُكِرتَ عنده فلم يُصَلِّ عليك»

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

(٢) أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ١/ ٢٨٨، برقم ٣٨٤ .

(٣) أبو داود ٢/ ٢١٨، برقم ٢٠٤٢، وأحمد ٢/ ٣٦٧، وانظر: صحيح أبي داود ١/ ٣٨٣.

(٤) الترمذي ٥/ ٥٥١، برقم ٣٥٤٦، وغيره، وانظر: صحيح الترمذي ٣/ ١٧٧.

(٥) الترمذي، برقم ٣٣٨٠، وانظر: صحيح الترمذي ٣/ ١٤٠.

(٦) النسائي ٣/ ٤٣، برقم ١٢٨٢، وصححه الألباني في صحيح النسائي ١/ ٢٧٤.

فقال ﷺ : «آمين»[١]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «ما من أحد يسلّم عليَّ إلا ردّ الله عليَّ روحي حتى أردّ عليه السلام»[٢].

* وللصلاة على النبي ﷺ مواطن كثيرة ذكر منها الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى واحداً وأربعين موطناً منها على سبيل المثال: الصلاة عليه ﷺ عند دخول المسجد، وعند الخروج منه، وبعد إجابة المؤذن، وعند الإقامة، وعند الدعاء، وفي التشهد في الصلاة، وفي صلاة الجنازة، وفي الصباح والمساء، وفي يوم الجمعة، وعند اجتماع القوم قبل تفرقهم، وفي الخطب: كخطبتي صلاة الجمعة، وعند كتابة اسمه، وفي أثناء صلاة العيدين بين التكبيرات، وآخر دعاء القنوت، وعلى الصفا والمروة، وعند الوقوف على قبره، وعند الهم والشدائد وطلب المغفرة، وعقب

---

(١) ابن خزيمة ٣/ ١٩٢، وأحمد ٢/ ٢٥٤، وصححه الأرنؤوط في الأفهام.

(٢) أخرجه أبو داود ٢/ ٢١٨ برقم ٢٠٤١، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود ١/ ٢٨٣.

الذنب إذا أراد أن يُكَفَّر عنه، وغير ذلك من المواطن التي ذكرها رحمه الله في كتابه(١).

ولو لم يَرِدْ في فضل الصلاة على النبي ﷺ إلا حديث أنس رضي الله عنه لكفى «من صلى عليَّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات(٢). [كتب الله له بها عشرة حسنات](٣) وحط عنه بها عشر سيئات، ورفعه بها عشر درجات»(٤).

وصلى الله، وسلم، وبارك على عبده، ورسوله، وخيرته من خلقه، وأمينه على وحيه، سيدنا ونبينا محمد بن عبدالله، وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) راجع كتاب جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ﷺ للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى.

(٢) السياق يقتضي (و).

(٣) هذه الزيادة من حديث طلحة في مسند أحمد ٤/ ٢٩.

(٤) أحمد ٣/ ٢٦١، وابن حبان الرقم ٢٣٩٠ (موارد)، والحاكم ١/ ٥٥١، وصححه الأرنؤوط في تحقيقه لجلاء الأفهام ص ٦٥.

الفهـــــارس العامــــة

١ - فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة

سورة البقرة

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنتُم بِهِۦ ... ﴾	١٣٧	٣٠٧
﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا ... ﴾	٢٣، ٢٤	٢٨٣
﴿ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾	١٩٠	٥٨
﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾	٢٨٦	١٣١

سورة آل عمران

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ... ﴾	٢٠	٣١٦
﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ... ﴾	٣١	٤٣٤، ٤٣٩
﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ... ﴾	٨١، ٨٢	٣١٢
﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ .. ﴾	٨٥	٤٤٨
﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ... ﴾	١٤٤	٣٩، ٤١٠، ٤١٢

﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ...﴾	١٦٤	٤، ٤٤٦
﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ...﴾	١٥٩	٦٥، ١١٠، ٢٢٥
﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ... ﴾	١٦٤	١١٠، ٤٤٦
﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ...﴾	١٨٥	٤٠٧
﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...﴾	١٩٠	٨٣

سورة النساء

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ...﴾	١٣، ١٤	٤٣٣
﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ...﴾	٤١	٨٤
﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ ... ﴾	٥٨	١٢٨
﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ ...﴾	٥٩	٤٤٩
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ...﴾	٦٥	٤٤٩
﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم ... ﴾	٦٩	٣٩٤، ٣٩٧
﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا ﴾	١٢٨	١٣٣

﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ ... ﴾	١٢٩	١٣١
﴿ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾	٥٢	٤٤٢، ٤٤٣
﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ... ﴾	٦٩	٣٩٧

سورة المائدة

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ... ﴾	٣	٣٤٠
﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا ... ﴾	١٥، ١٦	٤٤٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ... ﴾	٦٧	٣٠٧، ٤٤٧
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا ... ﴾	٨٢	٣٣١
﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ... ﴾	١١٨	٩٣

سورة الأنعام

﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ ... ﴾	١٩	٣١٦
﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ... ﴾	٣٣	٢٩
﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ... ﴾	٥٠	٤٥٠
﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ... ﴾	٥٩	٢٨٦

سورة الأعراف

سورة الأنفال

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ... ﴾	٩	٢٤٢، ٣٠٥
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ... ﴾	٢٠	٤٣٢
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ... ﴾	٢٩	١١٣
﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً ... ﴾	٥٨	٦٠
﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ... ﴾	٦٧-٦٩	٩٢
﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ... ﴾	٧٥	٢٦١

سورة التوبة

﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ ... ﴾	٢٤	٤٣٥
﴿ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ... ﴾	٢٦	٣٠٦
﴿ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ... ﴾	٤٠	٣٠٤
﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ... ﴾	٦٥، ٦٦	٤٤٣
﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ... ﴾	١٢٨	٦٤، ١١٠

سورة يونس

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ...﴾	٣٨	٢٨٣

سورة هود

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ...﴾	١٣	٢٨٣

سورة يوسف

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾	٢٦	٣٢٠، ٣٢٧

سورة إبراهيم

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ ...﴾	٣٦	٩٢

سورة الحجر

﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ...﴾	٩٤، ٩٥	٣٠٦، ٤٤٧

سورة الإسراء

﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا...﴾	١	٢٩٢
﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ...﴾	٩	٢٨٨
﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ ...﴾	٨٨	٢٨٢، ٢٨٤

سورة الكهف

سورة الأنبياء

سورة المؤمنون

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة الأحزاب

سورة سبأ

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ...﴾	٢٨	٣١٧

سورة الزمر

﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾	٣٠	٤٠٧، ٤١٠، ٤٥١

سورة غافر

﴿أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ...﴾	٢٨	٢١٤

سورة فصلت

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ...﴾	١-٥	٢٠٧
﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ...﴾	١٣	٢٠٧
﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ...﴾	٤٢	٢٨٠
﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ...﴾	٥٣	٢٩٠

سورة الأحقاف

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ...﴾	١٠	٣٢٤
﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ...﴾	٢٩	٤

سورة محمد

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ .. ﴾	٢	٤٠
﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ... ﴾	١٩	١١٢

سورة الفتح

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ... ﴾	٨-٩	٤٤١
﴿ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ ... ﴾	٩	٤٤٠
﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ... ﴾	١٣	٤٣١
﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾	٢٩	١١٠،٤٠

سورة الحجرات

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ ... ﴾	١	٤٤١

سورة قٓ

﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ ... ﴾	٤٥	١٤١

سورة الطور

﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ... ﴾	٣٣-٣٤	٢٨٢

سورة المنافقون

﴿ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ﴾	٧	١٦٠
﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾	٨	١٦٠

سورة التغابن

﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ... ﴾	٨	٤٣١
﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾	١٦	١٣١

سورة الملك

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾	١٤	٢٨٧

سورة القلم

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	٤	١٠، ١٠٦، ١٥١

سورة الجن

﴿ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ...﴾	٢١، ٢٢	٤٥١

سورة المدثر

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴾	١-٢	٢٨
﴿ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ﴾	٥	٢٨

سورة العلق

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ... ﴾	١-٥	٢٦
﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴾	٦	٢١١

سورة العصر

﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ... ﴾	السورة	١١٣

سورة النصر

﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾	١	٣٣٣
﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾	٣	٣٣٤

سورة المسد

﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ ... ﴾	١-٢	١٩٧

٢- فهرس الأحاديث النبوية

٣ - فهرس الآثار

تسلسل	طرف الأثر	صاحب الأثر	الصفحة
١٧.	بأبي أنت وأمي يا نبي الله طبت حياً وميتًا...	أبو بكر ﷺ	٤٠٩
١٨.	توفي النبي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي ...	عائشة رضي الله عنها	٤٢٧
١٩.	ثم أطلع الله رسوله على أمر الصحيفة ...	أثر الصحيفة	٢٢١
٢٠.	ثم صلى عليه الناس فرادى لم يؤمهم أحد ...	الصحابة	٤١٦
٢١.	جئتكم من عند خير الناس.	رجل	١٠٨
٢٢.	جاء الأمين.	قوم النبي ﷺ	٢٥
٢٣.	خَدَمْتُ النبي ﷺ عشر سنين فما بعثني ...	أنس ﷺ	٣٨
٢٤.	خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أفٍّ...	أنس ﷺ	٤٢، ١٤٣
٢٥.	خرج النبي ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير.	عائشة رضي الله عنها	٥١
٢٦.	خطبنا رسول الله ﷺ ونحن بمنى ...	ابن معاذ التيمي ﷺ	٣٤٤
٢٧.	رأيتُ رسولَ الله ﷺ يُقبِّل ابن مظعون وهو ميِّتٌ...	عائشة رضي الله عنها	٨٧
٢٨.	رضينا لدنيانا من رضيه رسول الله ﷺ لديننا.	الصحابة	٣٦٧
٢٩.	سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطُّور ...	ابن مطعم ﷺ	٢٧٣
٣٠.	عَقلتُ من النبي ﷺ مَجَّةً مجَّها في وجهي ...	محمود ﷺ	٩٤
٣١.	على ميراث محمد ﷺ يقسّمونه	ابن مسعود ﷺ	٤٢٦
٣٢.	فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن.	عائشة رضي الله عنها	١٠، ٥٠، ١٠٦
٣٣.	فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي...	هرقل	١٠، ٣٣٠

٤ - فهرس الأشعار

٥ - فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

* * *



كتب للمؤلف

١ - قضية التكفير بين أهل السنة وفرق الضلال
٢ - من أحكام سورة المائدة
٣ - آفات اللسان في ضوء الكتاب والسنّة
٤ - الربا: أضراره وآثاره في ضوء الكتاب والسنّة
٥ - الذكر والدعاء والعلاج بالرقى من الكتاب والسنّة (٤/١)
٦ - الدعاء من الكتاب والسنّة
٧ - حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنّة
٨ - شرح العقيدة الواسطية
٩ - شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنّة
١٠ - الجهاد في سبيل الله: فضله، وأسباب النصر على الأعداء
١١ - الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى
١٢ - العلاج بالرقى من الكتاب والسنّة
١٣ - مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة
١٤ - العمرة والحج والزيارة في ضوء الكتاب والسنّة
١٥ - مرشد المعتمر والحاج والزائر
١٦ - ورد الصباح والمساء في ضوء الكتاب والسنّة
١٧ - العروة الوثقى في ضوء الكتاب والسنّة
١٨ - طهور المسلم في ضوء الكتاب والسنّة
١٩ - وداع الرسول ﷺ لأمته
٢٠ - شروط الدعاء وموانع الإجابة
٢١ - الفوز العظيم والخسران المبين
٢٢ - بيان عقيدة أهل السنّة والجماعة ولزوم اتباعها
٢٣ - فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري رحمه الله (٢/١)
٢٤ - نور الشيب وحكم تغييره في ضوء الكتاب والسنّة
٢٥ - النور والظلمات في الكتاب والسنّة
٢٦ - نور التوحيد وظلمات الشرك في ضوء الكتاب والسنّة
٢٧ - نور الإخلاص وظلمات إرادة الدنيا بعمل الآخرة
٢٨ - نور الإسلام وظلمات الكفر في ضوء الكتاب والسنّة
٢٩ - نور الإيمان وظلمات النفاق في ضوء الكتاب والسنّة
٣٠ - نور السنة وظلمات البدعة في ضوء الكتاب والسنّة
٣١ - نور التقوى وظلمات المعاصي في ضوء الكتاب والسنّة
٣٢ - نور الهدى وظلمات الضلال في ضوء الكتاب والسنّة
٣٣ - منزلة الصلاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنّة
٣٤ - الأذان والإقامة في ضوء الكتاب والسنّة
٣٥ - شروط الصلاة في ضوء الكتاب والسنّة
٣٦ - قرة عيون المصلين ببيان صفة صلاة المحسنين في ضوء الكتاب والسنة
٣٧ - أركان الصلاة وواجباتها في ضوء الكتاب والسنّة
٣٨ - سجود السهو: مشروعيته ومواضعه وأسبابه في ضوء الكتاب والسنة
٣٩ - صلاة التطوع: مفهوم وفضائل وأقسام وأنواع في ضوء الكتاب والسنة
٤٠ - قيام الليل: فضله وآدابه في ضوء الكتاب والسنّة
٤١ - صلاة الجماعة: مفهوم، وفضائل، وأحكام، وفوائد، وآداب
٤٢ - المساجد: مفهوم، وفضائل، وأحكام، وحقوق، وآداب
٤٣ - الإمامة في الصلاة في ضوء الكتاب والسنّة
٤٤ - صلاة المريض في ضوء الكتاب والسنّة
٤٥ - صلاة المسافر في ضوء الكتاب والسنّة
٤٦ - صلاة الخوف في ضوء الكتاب والسنّة
٤٧ - صلاة الجمعة في ضوء الكتاب والسنّة
٤٨ - صلاة العيدين في ضوء الكتاب والسنّة
٤٩ - الاعتصام بالكتاب والسنّة
٥٠ - تبريد حرارة المصيبة في ضوء الكتاب والسنّة
٥١ - أنواع الصبر ومجالاته في ضوء الكتاب والسنّة
٥٢ - الجنة والنار: تأليف عبدالرحمن بن سعيد بن علي رحمه الله
٥٣ - صلاة الكسوف في ضوء الكتاب والسنّة
٥٤ - صلاة الاستسقاء في ضوء الكتاب والسنّة
٥٥ - المفاهيم الصحيحة للجهاد في ضوء الكتاب والسنّة
٦٥ - غزوة فتح مكة: تأليف عبدالرحمن بن سعيد بن علي رحمه الله
٥٧ - أحكام الجنائز في ضوء الكتاب والسنّة (قسمان)
٥٨ - صلاة المؤمن: مفهوم، وفضائل، وآداب، وأنواع، وأحكام (٣/١)
٥٩ - سيرة الشاب الصالح عبدالرحمن بن سعيد بن وهف رحمه الله
٦٠ - أبراج الزجاج في سيرة الحجاج: تأليف عبدالرحمن بن سعيد رحمه الله
٦١ - مواقف النبي ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى
٦٢ - مواقف الصحابة رضي الله عنهم في الدعوة إلى الله تعالى
٦٣ - مواقف التابعين وأتباعهم في الدعوة إلى الله تعالى
٦٤ - مواقف العلماء عبر العصور في الدعوة إلى الله تعالى
٦٥ - مفهوم الحكمة في ضوء الكتاب والسنّة
٦٦ - كيفية دعوة أهل الكتاب إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة
٦٧ - كيفية دعوة المشركين إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة
٦٨ - كيفية دعوة الملحدين إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة
٦٩ - كيفية دعوة عصاة المسلمين إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة
٧٠ - منزلة الزكاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنّة
٧١ - زكاة بهيمة الأنعام في ضوء الكتاب والسنّة
٧٢ - زكاة الخارج من الأرض في ضوء الكتاب والسنّة
٧٣ - زكاة عروض التجارة في ضوء الكتاب والسنّة
٧٤ - زكاة الفطر في ضوء الكتاب والسنّة
٧٥ - زكاة التطوع في ضوء الكتاب والسنّة
٧٦ - زكاة المحسن في ضوء الكتاب والسنّة (٢/١)
٧٧ - زكاة الأثمان: الذهب والفضة في ضوء الكتاب والسنّة
٧٨ - مصارف الزكاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنّة
٧٩ - صلة الأرحام في ضوء الكتاب والسنّة
٨٠ - بر الوالدين في ضوء الكتاب والسنّة
٨١ - سلامة الصدر في ضوء الكتاب والسنّة
٨٢ - ثواب القرب المهداة إلى أموات المسلمين في ضوء الكتاب والسنّة
٨٣ - تصحيح شرح حصن المسلم في ضوء الكتاب والسنّة
٨٤ - رحمة العالمين محمد رسول الله سيد الناس ﷺ
٨٥ - الغفلة: خطرها وأسبابها وعلاجها

كتب (مترجمة) للمؤلف

※ أولاً : حصن المسلم باللغات التالية :

١ ـ حصن المسلم باللغة الإنجليزية
٢ ـ حصن المسلم باللغة الفرنسية
٣ ـ حصن المسلم باللغة الأوردية
٤ ـ حصن المسلم باللغة الإندونيسية
٥ ـ حصن المسلم باللغة البنغالية
٦ ـ حصن المسلم باللغة الأمهرية
٧ ـ حصن المسلم باللغة السواحلية
٨ ـ حصن المسلم باللغة التركية
٩ ـ حصن المسلم باللغة الهوساوية
١٠ ـ حصن المسلم باللغة الفارسية
١١ ـ حصن المسلم باللغة الماليبارية
١٢ ـ حصن المسلم باللغة التاميلية
١٣ ـ حصن المسلم باللغة اليوربا
١٤ ـ حصن المسلم باللغة البشتو
١٥ ـ حصن المسلم باللغة اللوغندية
١٦ ـ حصن المسلم باللغة الهندية
١٧ ـ حصن المسلم باللغة المالیزية
١٨ ـ حصن المسلم باللغة الصينية
١٩ ـ حصن المسلم باللغة الشيشانية
٢٠ ـ حصن المسلم باللغة الروسية
٢١ ـ حصن المسلم باللغة الألبانية
٢٢ ـ حصن المسلم باللغة البوسنية
٢٣ ـ حصن المسلم باللغة الألمانية
٢٤ ـ حصن المسلم باللغة الإسبانية
٢٥ ـ حصن المسلم باللغة الفلبينية «مرناو»
٢٦ ـ حصن المسلم باللغة الفلبينية «تجالوج»

※ ثانياً : كتب مترجمة للغة الأوردية :

٢٧ ـ نور السنة وظلمات البدعة في ضوء الكتاب والسنّة
٢٨ ـ شروط الدعاء وموانع الإجابة
٢٩ ـ الدعاء من الكتاب والسنّة
٣٠ ـ نور التوحيد وظلمات الشرك في ضوء الكتاب والسنّة
٣١ ـ بيان عقيدة أهل السنّة والجماعة ولزوم اتباعها
٣٢ ـ نور الإيمان وظلمات النفاق في ضوء الكتاب والسنة
٣٣ ـ الربا: أضراره وآثاره في ضوء الكتاب والسنّة
٣٤ ـ نور الإخلاص وظلمات إرادة الدنيا بعمل الآخرة
٣٥ ـ نور التقوى وظلمات المعاصي (تحت الطبع)
٣٦ ـ نور الإسلام وظلمات الكفر (تحت الطبع)
٣٧ ـ الفوز العظيم والخسران المبين (تحت الطبع)
٣٨ ـ النور والظلمات في الكتاب والسنّة (تحت الطبع)
٣٩ ـ قضية التكفير بين أهل السنة وفرق الضلال (تحت الطبع)
٤٠ ـ صلاة التطوع (تحت الطبع)، ترجمة محمد إسحاق، الكويت

※ ثالثاً : كتب مترجمة للغات أخرى :

٤١ ـ مرشد الحاج والمعتمر والزائر في ضوء الكتاب والسنّة (باللغة المالیبارية)
٤٢ ـ الدعاء من الكتاب والسنة (باللغة الفارسية)
٤٣ ـ بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ولزوم اتباعها (باللغة الإندونيسية)
٤٤ ـ نور السنة وظلمات البدعة في ضوء الكتاب والسنة باللغة الماليبارية (تحت الطبع)
٤٥ ـ الدعاء من الكتاب والسنة (باللغة اللوغندية)